المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الرابع من المجلد الخامس والسبعين

١ نوفمبر سنة ١٩٢٩ — ٢٩ جمادى الاولى سنة ١٣٤٨

خاصة للمقتطف

للسر أدمر كيث

مقومات الامم في نظر العلم

اصول الوطنية ونشوءها

كيف يعلّل العلماء الشعور القومي

نظر الاستاذ هكسلي الى مسألة الاقوام البشرية نظرة عالم بالحيوان . فطبّق على النساء والرجال الاساليب التي جرى عليها في درس الكلاب والطيور . وكان يذهب الى ان الرجال والنساء الذين يدّعون أنهم جنس خاص من البشر قائم بنفسه منفصل عن غيره يجب ان يتصفوا بصفات جسدية تمكن العالم بالاجناس من معرفتهم اذا اختلطوا بجمهور من الناس مختلفي الاجناس . « فالقومية » في نظره ليس لها مكان ما في نظام حيواني . والامة في رأيه ليست الا مجموعة من الناس تربطهم بعضهم ببعض الارض التي يقطنونها واللغة التي يتكلمونها والسياسة والتقاليد التي يجرون عليها . ولا نستطيع أن ننظر اليها كجنس مستقل نظراً علميًّا

أما الرأي الذي اريد أن اعرضه على القارئ فاكثر مرونة من رأي هكسلي المتقدم الذي وضعه سنة ١٨٧١ واكثر مسايرة لمذهب النشوء. ولما كان هذا المذهب الجديد ينطبق على سكان القارات العالمية فعلينا ان نطوّف الارض بنظرنا لنرى تفرق الشعوب والاجناس فيها التي انقسم اليها الجنس البشري

ولا نستطيع ان نفعل شيئاً افضل من الجري على آثار هكسلي لان التقسيم الجنسي الذي وضعهُ في العقد السابع من القرن الماضي لم يفقهُ تقسيم آخر في نظري دقة ووضوحاً . فلنتبع الحوادث التي افضت بهكسلي الى هذا التقسيم

في سنة ١٨٦٢ كان هكسلي يعدُّ كتابهُ المشهور الذي عنوانهُ «مكان الانسان في الطبيعة». فكان حتماً عليه ان يحقق نسبة الجمجمتين القديمتين اللتين كانتا قد وجدتا قبل ذلك وهما جمجمة زنجا التي وجدت سنة ١٨٣٣ في بلاد البلجيك وجمجمة نياندرتال التي عثر عليها في المانيا سنة ١٨٥٧ فكان عليهِ ان يتناول اجناس البشر الحيَّة بالدرس والبحث ليرى هل يجد فيها اخداناً لصاحبي هاتين الجمجمتين . وهكذا نرى هكسلي سنة ١٨٦٢ وهو في السابعة والثلاثين من عمرهِ مكبًّا على درس منتظم لاجناس البشر. فأصبح بذلك من علماء الاتنولوجيا (تفرق الاجناس البشرية) وبسرعة الرجل الذكي قبض على ناصية الموضوع وادرك ادراكاً شاملاً اهم الحقائق التي ينطوي عليها تفرق الاجناس البشرية كما ترى من العبارة التالية المقتبسة منهُ قال :

ارسم خطاً على الكرة الارضية من الشاطىء الذهبي في غرب افريقية الى مراعي التتار في تركستان تجد ان في الطرف الغربي من هذا الخط تعيش شعوب هي اكثر الشعوب استطالة في الرأس وبروزاً في الفك وجعودة في الشعر وسمرة في البشرة هؤلاء هم الزنوج الحقيقيون وفي الطرف الآخر تعيش شعوب هي اكثر الشعوب استدارة في الرأس وارتداداً في الفك وسبطاً في الشعر وصفرة في الجلد هؤلاء هم التتار والكلمك. فطرفا هذا الخط الوهمي هما قطبا الاتنولوجيا المتقابلان

وبعد ما رسم هكسلي هذا الخط الوهمي وقطبيه في مقدمة صورته الاتنولوجية رسم خطاً آخر يخترق الكرة الارضية من بريطانيا الى استراليا قاطعاً الخط السابق في الشرق الادنى وماراً بالهند . ففي طرف هذا الخط من جهة بريطانيا تقطن الشعوب الشقراء وفي طرفه الاسترالي سكان استراليا الاصليون

اجناس البشر

وجرياً على هذه الخطة التي اتبعها هكسلي سنة ١٨٦٥ قسم سكان الارض الى احد عشر جنساً او الى احد عشر «نوعاً دائماً من الجنس البشري» اذا جرينا على تعبيره الذي كان يؤثرهُ. فكل جنس من هذه الاجناس كان خاضعاً ببقعة من الارض يقطنها او ظلَّ محصوراً فيها من اقدم الازمنة الى زمن التاريخ الحديث. فلنمرَّ سراعاً بالاقسام الاساسية التي وضعها هكسلي وهي : (الاول) الاسترالي (الثاني) النسماني (الثالث) النجريتو او شعوب الباسفيكي الشبيهة بالزنوج (الرابع) الامفيزي ويطلق على الشعوب البحرية التي تقطن

جزائر الباسفيك وارخيل ملقا وجانباً من مدغشقر (الخامس) سكان اميركا الاصليون المنتشرون فيها من رأس القرن بجنوب اميركا الجنوبية الى سواحل لبرادور (السادس) الاسكيمو (السابع) الشعوب المغولية — المنتشرة من تيبت الى اليابان ومن تونكين بالهند الصينية الى بلاندا في شمال اموج وتروج (الثامن) الزنوج (التاسع) البوشمن . واخيراً الشعوب التي تقطن غرب آسيا وكل اوربا وهؤلاء قسمهم الى قسمين اولهما وهو (العاشر) من اقسامه العامة، الشقر في المنطقة الشمالية وثانيهما او (الحادي عشر) السمر في المنطقة الجنوبية او منطقة البحر الابيض المتوسط. وكانت الشعوب التي تقطن جنوب الهند مصدر حيرة كبير للاستاذ هكسلي ولكنهُ بعد لأي وضعهم مع سكان استراليا في صفٍ واحد

ولنعد النظر الآن في المقياس الذي جرى عليه هكسلي حين تقسيم الشعوب الى الاجناس الآنف ذكرها — وهو مقياس يجري عليه العلماء في علم الحيوان. ذلك ان كل فرد في كل طائفة يجب ان يتصف بالصفات التي تمتاز بها طائفته عن غيرها من الطوائف. فاذا كانت الاقسام التي وضعها هكسلي حاسماً ان كل واحدٍ منها تمتاز عن الآخر وأخذ مائة شخص من كل طائفة منها وعرّوا جميعاً من ثيابهم واختلط حابلهم بنابلهم وجب ان يكون من السهل على العالم الانثولوجي ان يعرف كل فردٍ منهم وان يضعهُ في الطائفة التي ينتمي اليها اصلاً . فكل جنسٍ من اجناس البشر تستطيع ان تعرف افراده حال رؤيتهم هو جنس نقيّ قلباً وقالباً (مائة في المائة) في سلم الاختلاف الجنسي . ولكن اذا صحّ مذهب النشوء وجب ان نجد شعوباً خليطة متدرجة في الصفات الجنسية التي تفرّق بين جنس وآخر

على ان هكسلي عدّل نظرهُ الى تفرق الاجناس الجغرافي لاسباب جمّة . فقد بدأ مباحثهُ وهو ينتظر ان يثبت لهُ ان شكل الجمجمة هو المقياس الاساسي الذي يبنى عليه تفريق الناس الى اجناس . فخاب نظره في ذلك اذ وجد ان صفات الجمجمة انما هي صفات لها مقام ثانوي من هذا القبيل . ووجد ان من الشقر من يكون مستطيل الجمجمة او مستديرها . ومن المغول من هم كذلك . وتحقق ان الصفات التي عليها يبنى التفريق بين الشعوب انما هي الصفات السطحية كلون البشرة وشكل الشعر . وانا اضيف الى هاتين الصفتين سمات الوجه التي يصعب قياسها ولكنها لا تخفى على احد

الفرد والاجناس

وقد اخذ العلماء في هذا العصر يلقون النور بمباحثهم على الاساليب التي تجري عليها الطبيعة في خلق الاجناس البشرية. فلدينا الآن ادلة مقنعة تشير الى ان نموّ الجسم وظهور الصفات الجنسية

المختلفة فيه يتوقفان الى حد بعيد على التركيب الفسيولوجي الذي مركزه في الغدد — الغدد الصماء او غدد الافراز الداخلي . فهذه الغدد تفرز مفرزات تدعى « هرمونات » لها اثر كبير في السيطرة على نمو الاعضاء . والعجب كل العجب اننا لم نكتشف عن وجود نظام مسيطر على النمو كهذا النظام من قبل لانهُ كان معروفاً من اقدم الازمنة الى الآن ان خصي الفتيان (اي ازالة الخصيتين وهما من غدد الافراز الداخلي والخارجي معاً) لهُ اكبر اثر في تغيير اتجاه النمو . فهذه العملية تنشىء رجلاً لهُ صفات كانها صفات جنس مستقل هو الخصي . فلدينا الآن ادلة ثابتة على ان الخصيتين فضلاً عن توليد الحيوط المنوية تفرز مفرزات داخلية تدور مع الدم في كل الجسم ولها اثر كبير في ضخامة الجسم وطول الاطراف وتكوين العظم وقوة العضلات وتخن العنق وحجم الفكين وشكل الانف والحاجبين ونمو الشعر ونعومة البشرة

وهذه الصفات هي هي الصفات التي يمتاز بها جنس من البشر عن جنس آخر . ففي جسم الخصي أبلغ مثل على فعل هذا التركيب الحيوي الذي يغيّر صفات الجسم التي يمتاز بها . فاذا شئنا ان ندرك شيئاً من الاساليب التي تجري عليها الطبيعة في خلق الاجناس الجديدة فلنولِّ وجوهنا شطر هذا التركيب الحيوي الذي يسيطر على النمو ولنحاول فهمهُ

التجمع والانعزال

من المسلَّم بهِ ان اكثر الاجناس البشرية المعروفة الآن نشأت في احوال مماثلة للاحوال التي يعيش فيها سكان استراليا الاصليون الى يومنا هذا . فهذا الجنس من البشر مقسَّمٌ الى قبائل كل قبيلة تعيش في منطقة معيَّنة من ارض الصيد والقنص واضحة المعالم والحدود لا تعدوها الى غيرها . فاذا عدت القبيلة الحدود الى منطقة جيرانها حسب هذا تعدياً وعليها حينئذٍ اما ان تلجأ الى القتال او ان يولي رجالها الادبار ويتراجعوا الى منطقتهم . فالغيرة والمقاومة التي تفصل بين قبيلة واخرى تعزلان كل قبيلة عن جارتها . ولكن قوى اشد فعلاً من هذه العواطف تربط كل قبيلة بارضها . فابناء كل قبيلة يتكلمون لغة واحدة ويجرون على طائفة واحدة من العادات والمعتقدات والتقاليد ولهم مصالح مشتركة وهم فوق كل ذلك ذوو قربى . فكل فرد من افراد القبيلة متصل بارضه اتصالاً عاطفياً قوياً . فاذا بعد عنها تاق الى العودة اليها . واذا حفَّ بارضه خطر ما اثار فيه انفعالاً عقلياً قوياً اساسهُ ثورة العاطفة وهذا الانفعال يعرف بالوطنية . هذا الانعزال هو العامل الاقوى في تكوين صفات جديدة يمتاز بها فريق من البشر دون فريق آخر . وعليه فهو سبيل الطبيعة المهَّد لتوليد الاجناس البشرية

فنظام القبائل هو سبب انضمام الشعوب الى التجمع والانعزال وهذا الانعزال لا مندوحة عنهُ للافعال الفزيولوجية حتى تخلق صفات جديدة يتألف من مجموعها مميزات الاجناس الجديدة

والآثار التي تدل على وجود نظام القبائل في القدم تعثر عليها في كل انحاء العالم وكانت لاتزال باقية الى عصرنا في «انخاذ» امكنتنا. وقد كان هذا النظام عامًّا يشمل جميع بلدان الارض عصوراً متطاولة . فدماغ الانسان نشأ في الزمان الذي كان فيه نظام القبائل سائداً . ان كل قوى العقل والشعور فيه وكل انفعالاته نشأت نشوءًا يمكنها من قضاء مطالب النظام الاجتماعي السائد حينئذ ومن طريق الصدفة أسدت هذه القوى يداً الى الارتقاء البيولوجي العام

ومن العوامل الطبيعية التي ساعدت الشعوب على التجمع في بقع معينة والانعزال عن غيرها الحواجز الطبيعية التي لم يقوَ عليها الانسان في عهد العمران كسلاسل الجبال كجبال الهملايا مثلاً — والصحارى الشاسعة المقفرة كالصحراء الكبيرة — والبحار الواسعة كالاوقيانوس الاتلنتيكي

واقتسام الارض مناطق يقطن كلَّ منطقة منها قبيلةٌ خاصة لنظام لا ينفرد به الانسان بل تجري عليه الحيوانات البونة العليا كذلك. ولكن في احوال خاصة تتحول الغرائز التي تربط الحيوان بارضه الى ضدّها فتحملهُ على هجرتها في طلب ارض اخرى. فطائفة الغرائز الاولى ترغم النوع في ارضه وتولّد فيه الصفات التي يمتاز بها عن غيره والطائفة الثانية تحملهُ على التوزع والانتشار . والمدوّنات التاريخية لا تتركنا في ريب ما من اتصاف الانسان بهاتين الطائفتين من الغرائز . على ان الهجرة كانت عاملاً ثانويًّا من عوامل النشوء ليس لها مقام كبير في نشوء الانسان ولولا الانعزال لما تمنى لجماعة من الناس ان ينشئوا جنساً جديداً

وهنالك عامل آخر من عوامل الانعزال هو ذلك الانفعال الفطري الذي نطلق عليه اسم الشعور الجنسي . فكل الحيوانات تعرف بفطرتها الحيوانات التي من نوعها . وهي كذلك تعرف الحيوانات التي ليست من نوعها . وهذه المعرفة الاخيرة يصحبها في الغالب الشعور بنفور شديد . فالشعور الجنسي يبقى كامناً في صدور الرجال والنساء ما زالوا يروحون ويجيئون بين أبناء جنسهم . ولكنهم متى عدوا حدود المنطقة الخاصة بهم الى منطقة قبيلة أخرى او جنس آخر تيقظ في نفوسهم عواطف فطرية قوية هي اصول الشعور الجنسي. وفي بعض الاحوال قد تؤجج هذه العواطف في صدورهم نار التحمس والانفعال وتخرج باصحابها من ميدان الحكمة الى ميدان التهوّر . واني انظر الى هذا الشعور الجنسي كاسلوب

من اساليب النشوء للاحتفاظ بنقاء الجنس ومنعه عن الاختلاط بالاجناس الاخرى حتى لا يفقد مقومات شخصيته . فما يثور في صدور البشر من عناصر الغضب لهُ في الغالب اصل بيولوجي وفائدة بيولوجية

التزاوج والاجناس الخليطة

كان هكسلي يميل الى ان يحسب الاجناس الخليطة المتوسطة بين الاجناس الصافية ناشئة عن التزاوج . ولكن اذا كانت افعال النشوء سارية في الخلق منذ فجر البشرية واذا كانت لاتزال تفعل في جسم الانسان وعقله وجب ان نجد اجناساً متوسطة بين الاجناس الصافية نتيجة لازمة للتغيُّر الطبيعي من غير ان نلجأ الى مذهب التزاوج لتعليل وجودها . ان مذهب النشوء اذا صحّ تطبيقه على الموضوع الذي تنظر فيه ، يقضي بوجود اجناس في كل درجات التفاوت والاختلاط بين الاجناس الصافية . وهذا ما نجدهُ . لذلك اختلف علماء الانثرولوجيا في عدد الاجناس البشرية الاساسية . فذهب هكسلي اولاً الى وجود احد عشر جنساً ثم هبط بالعدد الى اربعة . وبدأ الاستاذ هيكل باثني عشر جنساً في سنة ١٨٧٣ وجعلها اربعة وثلاثين جنساً سنة ١٨٧٩ واخيراً رأى وجوب الاعتراف بوجود ١٧ جنساً اصليًّا و٢٩ جنساً فرعيًّا

ان عدد الاجناس يتوقف على درجة الاختلاف بين الاجناس التي نتخذها مقياساً

انا لا اقول ان التزاوج لم يحدث قط في الماضي ولا هو حادث الآن على الحدود الفاصلة بين بلدان الاجناس المختلفة . ففي بعض الاماكن بلغ التزاوج حدًّا بعيداً . ولكن بعد كل ذلك نجد ان التزاوج ليس الاّ عاملاً ثانويًّا في نشوء الاجناس . انا لا نستطيع ان نعلّل به حالة الاجناس البشرية ولكنا بمذهب النشوء نستطيع ذلك

فقد بلغنا الآن درجة من العلم يجب معها ان يفهم كلُّ المشتغلين بالمباحث الانثولوجية ان كل سعي لتقسيم البشر الى اجناس يجب ان يقوم على اساس تشوئي . ففي انحاء الارض نجد شعوباً تمتاز كلَّ الامتياز عن غيرها وفيها يستطيع العالم ان يعرف كلَّ فرد من افرادها ويعيّنهُ للجنس الخاص به اذا رآهُ في قوم خليط . ثم هنالك اجناس هي على درجة تسعين في المائة من الصفاء اي انك اذا عرضت على عالم مائة فرد منها في خليط من الناس لم يستطع ان يعرف اكثر من تسعين فرداً منهم اتكالاً على ظهور الصفات الخاصة التي يمتاز بها جنسهم عن غيره من الاجناس . وهكذا نجد اجناساً على درجة ثمانين او سبعين او ستين من الصفاء فهذه الطوائف من الناس كلها اجناس بالمعنى البيولوجي الحقيقي . كلها درجات في سلّم النشوء

الزراعة

وحين نعمد الى البحث عن القوى التي قضت على نظام القبائل الذي كان سائداً في اوربا في العصور القديمة يجب ان نرجع الى الشرق الادنى في العصور السابقة لتاريخ المدوّن . ففي بقعة من الشرق الادنى كشف عن الفن الذي تقوم عليها الحضارة الحالية اعني الزراعة. فالقبيلة او طائفة القبائل التي وفقت الى هذا الاكتشاف سبقت جاراتها وتفوقت عليها فزاد عدد ابنائها لما زاد مقدار الطعام الذي تنتجهُ الارض. ولم يلبث ان ضاقت المنطقة الخاصة بهم عن ان تسعهم فاخذوا في الانتشار . فالمذهب القائل بان الشرق الفوقاني هو مهد الحضارة متفق وكلّ الحقائق العلمية المثبتة لدينا . ومن هذا الشرق اخذ الناس يتدفقون موجةً اثر موجة الى اوربا . فزالت الحدود الفاصلة بين مناطق القبائل الخاصة ونظام القبائل القديمة الذي جرت عليه الطبيعة لخلق الاجناس الجديدة اصابهُ اختلال وتشويش . ولكن هذا النظام لم يزل كلّ الزوال . فان العلماء الى الساعة يعلمون ان اوربا لا تزال مقسمة الى مناطق ففي الجنوب تقطن شعوب مستطيلة الرؤوس سمراء البشرة وفي الشمال شعوب مستطيلة الرؤوس شقراء البشرة وفي المناطق المتوسطة بين الشمال والجنوب تقطن شعوب متفاوتة الدرجة من حيث استدارة رؤوسها ولون بشرتها . فالحضارة قد شوشت نظام الطبيعة النشوئي في كل المنطقة الفوقانية

الحرب

واجال هكسلي نظرهُ في سكان بريطانيا فدرك ، وهو العالم بعلم الحيوان ، انهم ككل اوربا خليط من الاجناس المختلفة وان القومية البريطانية مزيج من الاجناس القاطنة اوربا سمراء وشقراء لذلك حمل حملة شعواء على كل من يدعي انفصال القومية البريطانية عن سائر القوميات الاوروبية قائلاً ان الذين تألف منهم هذه القومية جنس خاص منفصل عن بقية الاجناس الاوروبية . ومذ اعرب الاستاذ هكسلي عن رأيه هذا ثارت الحرب الكبرى الدامية فكشفت عن الميول الفطرية الاصيلة في الطبيعة البشرية واطلقت لها العنان . وبعد ماوضعت الحرب اوزارها هبّت القوميات الصغيرة تطالب بكيانها المستقل جرياً على مبدإ تقرير المصير فاقبل رجال السياسة على عملهم وهم يحسبون ان بين ايديهم مسائل سياسية لامسائل بيولوجية . واذا صحّ المذهب الذي بسطناهُ في نشوء الاجناس وجب ان تعالج مسألة القوميات معالجة بيولوجية نشوئية . ان حركة المطالبة باستقلال القوميات الصغيرة سببها ثورة الذكرى في طبيعة الانسان لنظام القبائل القديم . فهو جوّ الحرب انطلقت الميول الفطرية التي كانت كامنة في صدور البشر بعد ما ازال عنها القتال طلاء الحضارة الحديث

يوبيل النور الكهربائي

بروميثيوس وادبصن

اخذا النار والنور من الآلهة فصارا بها طريق العمران

قلّب صفحات التاريخ باحثاً عن شخصية حقيقية او خرافية تضعها وشخصيةَ ادبصن في كفتي ميزان فلا يستقرُّ بك النوى الا وقد طويت الوف السنين راجعاً الى جاهلية اليونان فتقف في خرافتهم وسيَر ابطالهم على قصة البطل بروميثيوس الذي سرق النار من الآلهة ليمنحها للناس لانها كانت في رأيهِ اعظم النعم . فهو في نظر بعض الكتاب الاقدمين « منقذ المعرفة على البشر » بل هو « مكوّنهم ومعلمهم »

قيل : ونظر اوروس آله الحب الى الارض وقد اكتستحلة سندسية تمرح في ربوعها انواع الاحياء على اختلافها فرأى ان يغدق عليها من الغرائز ما يمكنها من التمتع بطايب الحياة فدعا اليهِ اصغر ابناءِ ايابيتس — وهما بروميثيوس وابيميثيوس — وعهد اليهما في توزيع العطايا الالهية على الكائنات الحية واوصاهما بان يخلقا كائناً سامياً ويغدقا عليهِ الهبات حتى يسود الكائنات الاخرى (الانسان) فطلب ابيميثيوس الى اخيهِ ان يتولى هو المنحَ ففعل فلما انتهى من الاغداق على الكائنات السفلى نفد كل مافديهِ من الهبات العلوية ولم يبق لديهِ ما يهبهُ للانسان . فأخذا كتلة من الطين وصنعا منها هيكلاً وقد اشار هوراس الى ذلك بقولهِ : « وحوّل بروميثيوس الجواهر الفردة الى دلفان بشري » ثم طلبا الى اروس ان ينفخ فيهِ روح الحياة والى مينرفا الاهة الحكمة ان تهبهُ نفساً . فلما رأى بروميثيوس صنع يديهِ موضعاً للفخر اراد ان ينعم عليهِ بقوة لا يشاطرهُ اياها كائن على الارض فتعلو بهِ فوق كل الكائنات وتقربه من مقام الآلهة

ولكي يفعل ذلك لم يجد قوة اعظم من قوة « النار » . ولكن « النار » كانت من المزايا التي تملكها الآلهة دون غيرها ، وكان بروميثيوس يدري ان الآلهة لن تقبل ان تنعم بها على الانسان واذا فاز بها احد خلسة عوقب معاقبة السارق . فتأمل المسألة طويلا واخيراً عزم ان يفوز « بالنار » او يموت في طلابها . وفي احدى الليالي الظلماء قصد الى جبل اولمبوس مقرّ الآلهة ودخل مخدعها من غير ان يشعر بهِ احدٌ وقبض على مشعال مضيء واخفاهُ في

صدره ورحل طرباً جذلاً بما قسم له من النجاح . فلما وصل الى الارض انعم بالكنز على الانسان فاخذه وجعل يستعمله في مئات من الاغراض. اما ما حدث بعد ذلك وكيف اكتشف الآلهة سرقة بروميثيوس وكيف عاقبوه وكيف خلصه هرقل فحوادث في تاريخ اليونان الخرافي لا متسع للتبسط فيها هنا

نحن لا نقول ان اديسن علم البشر كيف يستضيئون . ان المصابيح التي كانت تضيء باحتراق زيت من الزيوت او دهن من الادهان يرجع تاريخها الى العصر الحجري. فقد كان رجال ذلك العصر يحرقون الادهان الحيوانية في قطع محوفة من الخشب للاستنارة بها . وكان الرومان يحرقون زيت السمك او غيره من الزيوت الحيوانية في مصابيح من الطين المشوي. وقد كان القصد من اصطياد الحيتان في العصور الماضية الحصول على زيتها للاستضاءة به وكان الصينيون يصنعون مصابيحهم الجميلة ويشعلون فيها زيوتاً نباتية

المدالية التي ضربت للاحتفاء بويل النور الكهربائي

كذلك لا ندعي ان اديسن هو اول رجل صنع نوراً كهربائياً باطلاق المعنى . فقد جاء في مدونات المعهد الملكي البريطاني ان السر همفري دايفي اثبت في مطلع القرن التاسع عشر ان التيار الكهربائي الخاص من عمود فولطائي مؤلف من الفي خلية يحدث قوساً من النور اذا أجري في عمودين من الكربون مفصول احدهما عن الآخر قليلاً . هذا هو نور القوس الكهربائي الاول . ولكن استنباط السر همفري دايفي ظل مطوياً حتى استنبط المولد الكهربائي واشتغل فراداي بالموضوع فما وافت سنة ١٨٧٠ حتى كان الدكتور شارل برش والسترادورد وستن قد جعلا الانارة بنور القوس الكهربائي صناعة رائجة في اوربا واميركا

هنا دخل اديسن الميدان وبسرعة الرجل العبقري الذي يخترق ستر الغيب ببصره الناقد رأى ان نور القوس الكهربائي لا يجدي نفعاً في توسيع نطاق الانارة الكهربائية حتى تعم البيوت والمدارس والمعامل. وصناعة النور الكهربائي لا تتسع ولا تتقن الا اذا راجت ولا تروج الا اذا عمت الاماكن التي تقدم ذكرها . لذلك صرف اديسن نظره عن نور القوس الكهربائي واخذ يبحث عن طريقة تمكنه من الانارة بالكهربائية بطريقة الشمعان اي بامرار تيار كهربائي في سلك من مادة معينة

فيحمى السلك لمقاومته التيار فيحمرُّ ثم يبيضُّ بالحرارة ومتى ابيضَّ يسطع منهُ نور باهر يخطف الابصار. وقد كان مسألة النور الكهربائي اعقد المسائل التي اشتغل اديسن بحلّها. فانهُ لما شرع يبحث في هذا الموضوع لم يكن يُعرف شيء تقريباً عن النور الكهربائي مما تلزم معرفتهُ. لذلك لما فاز اولاً بصنع المصباح الكهربائي الاول على مثال المصابيح المستعملة الآن عرضت لهُ مصاعب كثيرة وجب تذليلها قبل الفوز بجعل الانارة الكهربائية عملاً تجاريًّا رابحاً. واديسن من الذين يرون ان تصوّر الاختراع سهل على نوع ما واخراجهُ من التصور الى الفعل اختراعاً عليًّا قد يكون سهلاً ايضاً. ولكن الصعوبة كل الصعوبة في اخراجهِ من التصوُّر الى الفعل اخراجاً تجاريًّا حتى يشيع استعمالهُ ويربح منهُ صانعهُ فيغري بموالاة اتقانهِ بمزيد

ان قصة مباحث اديسن واعوانهِ التي افضت الى اكتشاف النور الكهربائي اللامع (نستعمل لفظة لامع هنا بمعنى *incandescent*) وصنع المصباح الكهربائي الاول تكاد تحسبها من بنات الخيال او حديث خرافة لو سمعتها. كانوا لا يبالون بمرور الزمن ولا باوقات الطعام حتى ولا بالنوم لان اكبابهم على خلق شيء جديد كان قد اوقظ كل قوة من قوام العقلية والعصبية. فانفقوا نحو ثمانية آلاف جنيه قبلما تمكنوا من صنع مصباح ينير متى اتصل بالدورة الكهربائية. ولما انارهُ ظلَّ منيراً اربعين ساعة متوالية. ولكن السلك السريع الانكسار الذي استعملوه اولاً لم يفِ بمطالب التجارة اذ ما الفائدة من مصباح ينير اذا كانت اقل هزة تصيبهُ تفتت سلكهُ وتذروهُ. لذلك اخذ اديسن يكرّ على كل شيء تقع عينهُ عليه وفي مدوناته الخاصة تقع على اسماء بعض الاشياء التي كرّبها محاولاً ان يصنع منها سلكاً للمصباح الكهربائي لا يكون سريع التكسر والتفتت، فاذا راجعتها وجدت بينها كل انواع الورق على اختلاف درجاتها من القوة والنخانة وكلَّ انواع الخيوط حتى الاسلاك التي يستعملها الصيادون في اصطياد السمك. وانواع الخيوط النباتية كخيوط جوز الهند وتيلة الكتان والسلولويد وغيرها كثيراً من انواع الاخشاب والنباتات. ولما خطر لهُ ان يجرب خيوط الخيزران بثَّ العيون والارصاد في اليابان وجنوب اميركا وغيرها من البلدان التي يزرع فيها الخيزران فبعثوا اليه بكل اصنافهِ وكانت نحو ستة آلاف صنف فجرّب تجاربهُ فيها حتى وصل الى افضلها ويقال انهُ انفق في هذا السبيل عشرين الف جنيه او اكثر

وبعد ما صنع المصباح الكهربائي اللامع وجب عليهِ ان يبدع نظاماً كهربائيًّا جديداً يمكنهُ من توليد الكهربائية وتوزيعها وتقسيم التيار حتى ينير بهِ حيث يشاء المصابيح الصغيرة والكبيرة على السواء فاقدم على هذا العمل غير هيَّاب مع ان علماء من مقام الاستاذ تندل كانوا يهزؤن بهِ. وبعد ذلك اخذ النور الكهربائي يرتقي ويُتقن وخصوصاً في صنع السلك

الذي فيه فصع سنة ١٩٠٤ من معدن الاكميوم ثم من معدن التنتالوم ثم من معدن التنستن

في تاريخ العلم والعمران مستنبطات اعظم من النور الكهربائي اثراً في احوال الشعوب الاقتصادية كالسكك الحديدية والبواخر والتلغراف والتليفون وغيرها . ولكن استنباط النور الكهربائي اللامع الرخيص الثمن احدث ثورة في عادات الناس واسلوب معيشتهم . فقد اشترك هذا النور مع المطبعة في اطلاق العقل البشري من القيود التي كبّل بها والقضاء على الخرافات والمخاوف التي كانت تظلم امامه طريق الفكر فاعدّه لعمله العظيم وهو تأييد سيطرة الانسان على الارض . وعلاوة على ذلك بدّد غياهب الظلام من المدن فقضى بذلك على مراتع الجناة ومدّ اجل العمل امام العمال الفقراء . وقد مكنت الانوار الكهربائية الساطعة طائفة العلماء من درس طبائع المكروبات على لوحة المكرسكوب وابداع الطرق لمكافحتها واتقائها

***

نكتب هذه الكلمات ونشوة الفرح تهزّنا لان العالم المتمدن باسره شعوبهُ وحكوماته ومعاهدهُ وصحافتهُ تشترك اليوم في الاحتفال بعيد النور الكهربائي الخمسيني . ان النبطة التي يشعر بها اديسن اليوم لا تفوقها نبطة اخرى على الارض . فقد ابدع من دماغه النير شيئاً يظلّ يذكر مقروناً باسمه مازال العمران الحالي قائماً . شيئاً افاد العمران فائدة مازالت تنمو حتى صارت الاموال المثمّرة في صناعات الانوار الكهربائية والصناعات المتصلة بها تفوق الحصر — فقد بلغت الاموال التي ثمّرت في هذه الصناعات في هذه السنة وحدها ١٤٠ مليوناً من الجنيهات . واذا اضفت الى ذلك ابواب العمل العديدة التي فتحت للعمّال في اعمال شريفة مفيدة اتضح لك تضل هذا الرجل الشيخ الذي ما زال حتى الساعة يشتغل كل يوم ما لا يقلّ عن خمس عشرة ساعة مع انهُ قد اوفى على الثانية والثمانين . وهو على مقامه وشيخوخته لا يأنف من ان يتلقى درساً عن اصغر الناس همة فتحجل الشبان ودعة فيها ابلغ عظة للمتكبرين ! لقد اصبح اسمهُ مقروناً باسماء الابطال الخرافيين لما نسج حوله من القصص والحكايات ولكنهُ يفوقهم براعة وابداعاً . ومع ذلك فهو حيٌّ يرزق ولشبان العصر في اكبابه على العمل ودعته واحتقاره للابهة الفارغة واجلال العالم لهُ لافرق بين قوم وقوم ودين ودين اعلى مثل للرجولة الحقة التي تقوم على اثنين من الخلق الكريم والفائدة العامة

فالمقتطف الذي وُجد قبلما وجد نور اديسن الكهربائي وما زال منذ اربع وخمسين سنة يذيع مستنبطات اديسن ومناقبهُ يضمّ صوتهُ الى جوق الاصوات المرتفعة اليه في هذا اليوم بالتكبير والشكر والدعاء

٢١ اكتوبر ١٩٢٩ فؤاد صروف

إلمامة تاريخية ساذجة

بعصر أبي بكر الصديق

بقلم الدكتور احمد فريد رفاعي

— ١ —

قصة ظريفة لا اتذكر تماماً أين قرأتها ، ثم لا اذكر الفاظها وكلماتها ، كما لا أذكر كاتبها ومؤلفها ولكني اذكر شيئاً واحداً واذكره جيداً . . . . . ذلك اني تأثرت بها وكان تأثري بها عظيماً وبليغاً وعميقاً . . لأنها كانت ساذجة والعقول الساذجة تحب ما هو ساذج وتتأثر بما هو ساذج . ثم هي تنطبق على الواقع بقدر ما تنطبق على تصوير الحق واختلاف الناس في تصوير الحق . . والحق نسبي كما تعلم ولا يستطيع العلم مهما كان قوياً وناضجاً ، ومهما كان دقيقاً او كاملاً ، ان يزعم انهُ وصل الى الحق الكامل غير المنقوص ولا المبتور

قصتي التي رأيت ان استفتح بها حديثي معك ، والتي زعمت لك انها ظريفة ، وزعمت لك انها ساذجة ، ثم زعمت لك انها تنطبق على الواقع بقدر ما تنطبق على تصوير الحق واختلاف الناس في تصوير الحق — هي عن عميان سبعة اجتمعوا بفيل ، فرأى كلٌّ ان يصف الفيل للآخر ، واعتقد كل انهُ مصيب لباب الحق وسدرة الصواب فيما هو واصف وفيما هو متكلم . ولماذا لا يعتقد انهُ مصيب الحق والصواب وهو لا يتكلم الا بما يحسُّ انهُ الحق والصواب . . . . لقد وصف الاول الفيل بانهُ كجذع النخلة لأنهُ امسك بيده ساق الفيل وساق الفيل بجذع النخلة شبيهة ومثيلة . . . ووصف الثاني الفيل بانهُ كالأفعى لأن امسك بيده خرطوم الفيل . . . . ووصفهُ الثالث بانهُ كالحائط لأن يده وقعت على جنبهِ . . . . وان الرابع الا وصفه بالمروحة لأنهُ عثر على اذنهِ . . . وان الخامس غير السادس والسادس غير السابع . . . . وكلٌّ استمسك برأيهِ ودافع عن وصفهِ . وكلٌّ آمن بحقهِ وكذَّب بحق غيره . . .

تلك قصة لا تعدو ما نقع فيهِ كل يوم . . . . ومن زعم انهُ بصير بكل صحيح ، ثاقب النظر في كل امر ، وانهُ ليس عرضة لأن يصيبهُ الباطل ولو « رشاشاً » ولا اقول عن يمينهِ او يسارهِ فأخشى ان يكون حالهُ كحال احد السبعة الكرام

ولكنا نرجو ، وهذا كل ما نملكهُ في ميدان العلم ، وفي ميدان كتابة التاريخ وقد اصبح

فرعاً من العلم ، وفي كتابة التاريخ الاسلامي وهو اشقُّ فروعِ في تاريخ هذا العلم ، لانهُ لم يخضع بعدُ الخضوع العلمي الصحيح . . . لم يخضع بعد للشرحة ولم يذعن بعد للتحليل — نرجو — ونحن نؤمن بقصتنا — ان نستوعب وصف السادة السبعة ، ونجمع من وصفهم شيئاً يقربنا في مجموعه مما هو حق ومما هو صواب

اجل نرجو ان يكون لنا من اقوال الشيعي وغير الشيعي ، الاموي والعباسي ، والخارجي وغير الخارجي ، ما ينكب بنا عن ضلالة الامعان مع هذا او ذاك . كما نرجو ان يكون ايانا بضرورة البحث عن الحق في شتى نواحيه ، مدعاة للتقرب منهُ واعداداً لتذليل صعابه وازالة عثابه . ولو تميلًا . . . ولو خطوة واحدة الى الامام . . . في سبيل تفهم هذا التاريخ المجيد العظيم

—٢—

وليس من جديد عليك ياصاح ، أن تعلم غير معلَّم ، ان التاريخ الناقع المجدي هو ما كان ناضحاً مجدياً للانسانية . وللانسانية عامة . ذلك لانك تعلم ما كان من أمر تلك المحاضرات التي ألقيت في مؤتمر « التربية والمدن » الذي عقد في تورنتو عام ١٩٢٣ ثم تعلم ما كان من أثرها في تطور التاريخ . . . وفي تطوره الى وجهته « الانسانية » العامة لا « الأممية » الخاصة فيما بعد

كذلك ليس من جديد عليك ، ان تعلم اثر ولز في « تبسيط » التاريخ واثر « لدوج » في تمجيد التاريخ . اما تبسيط التاريخ فبأن يكون سهلاً معقولاً ، واما تمجيده فبأن يكون رائعاً أخاذاً

كذلك ليس من جديد عليك ، ان تعلم ان صاحبة « الجلالة » المطبعة التي هي الوالدة الشرعية لصاحبات « الجلالة » ان شئتَ ، أو « السمو » إن أحببت — الصحافة والمكتبة ، والحرية ، والمدنية — هذه الوالدة الجليلة الشأن . . . . تلد فيما تلد — او بعبارة اصح واقرب الى الدقة — تخلق فيما تخلق — نواحي من الاقناع قوية . وتترك بالفعل نواحي من العظمة قوية . ثم تصل من وراء ما تقدم على نشر الايمان بالعظمة ، واذاعة التخلق باخلاق العظمة ، والايمان بصفات العظمة ، لانها خير منظار مكبر للقليل من صفات العظمة فما بالك بكثيرها . . . .

واخيراً ليس من جديد عليك ان تعلم ان الرأي العام بعد الحروب يندفع في تيارات من المبالغات . ثم يتراجع سريعاً في المناقصات . . فهو بين مدٍّ وجزر في المعتقدات والآثار . . . . والحياة معتقدات وآثار . . . .

تلك هي اعتبارات اربعة هي « في ذهنك » بلا ريب وانت تدرس معي تاريخ عصر ابي بكر بروح « الانسانية » العامة لا « الاممية » الخاصة ، وبجدة البساطة الحديثة التي لا تحفل بتعقيدات الوقائع والحروب . وانت تدرسهُ غير عازبٍ عن فكرك ان عظمة الماضي كانت عظمة ساذجة لم تسبغ عليها صاحبة الجلالة المطبعة بشيء من ياشينها واوشامها ، ولم تتل من

زينة الدعاية وطلاوة الاذاعة وبريق النشر وقوة البطولة المكتسحة ما أمامها . وتدوسه معي وانت متحصن بما تقدم من الاعتبارات، غير آبه بالطبع الاعتصام من تيارات المبالغات والمناقصات

—٣—

«جيوفاني پاپيني» عقلية ايطالية ماردة . ذهبت في الشهوات مذهباً حاداً ينطبق كثيراً عليها قول الحريري « أيها السادر في غلوائه ، السادل ثوب خيلائه ، الجانح في جهالاته ، الجانح الى خزعبلاته . . . . » ولكن هذه الشخصية الماردة في شهواتها وكفرياتها وفلسفياتها ونظرياتها وزندقتها وتألهها إنقلبت بعد بوتقات المحن ومصاهر التجاريب الى شخصية ورعة ممتعة في الورع. شخصية متقنة تقية متبتلة ينطبق عليها في مرحلتها الاخيرة وصف عَدِيّ بن حاتم في أحد معاصري ابي بكر . . . . « يقول عدلاً ويحكم فصلاً ، تتفجر الحكمة من جوانبه، والعلم من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يحاسب نفسه اذا خلا ، ويقلب كفيه على ما مضى ، وكان .... وكان .... وأقسم لقد رأيته ليلةً ، وقد مثل في محرابه وأرخى الليل سربال . . . . . يبكي بكاء الحزين، فكأني الآن اسمعه وهو يقول: يا دنيا إليّ تعرضتِ أم إليّ اقبلتِ ، غُرّي غيري لا حانَ حينك، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها » . . . .

وإذا كان « جيوفاني پاپيني » أصبح خير من كتب عن المسيح بعد حياة كفر وزندقة ، واصبح الورع المؤمن بعد حياة شهوة واستهتار . . فالامم كالافراد كفر فايمان ، وإذا كان نابليون بونابارت كان واعظاً في اوليات ايامه لاخيه يوسف . وكان زاهداً في كل شيء قبل جوزفين وبولين فانهُ انقلب فجأة الى ما انقلب اليه من نقيض الى نقيض.... كذلك الحال في الكثير من العرب بعد ايمانهم وبعد متربتهم وعوزهم ، وبعد بأبهم الى تحضيرهم ، وبعد خيامهم الى آطامهم ... فنترجع معي . . الى نظرية المبالغات والمناقصات ، والمناقصات الى المبالغات . .

ولكنك ستقول إن الفكرة أو العقيدة هي التي تفعل هذا كله . وهي الى ان «تتركز» تمر بتلك التيارات . وانت محق بلا شك . وحروب الردة تحزم بانك محق بلاشك . وحروب الردة كانت بوتقة لتجديد الاسلام ، وكان مصهراً لخلق العرب خلقاً جديداً

— ٤ —

يقول كارليل في كتابه القيم « الابطال وعبادة البطولة » في معرض كلامه عن البطل في صورة نبي : « هل رأيتم قط ـ معشر الاخوان أن رجلا كاذباً يستطيع ان يوجد ديناً عجباً . . . ! والله إن الرجل الكاذب لا يقدر ان يبني بيتاً من الطوب . . . ! فهو إن لم يكن عليماً بخصائص الحجر، والجص والتراب ، وما شاكل ذلك فما الذي يبنيه بيت ، وإنما هو

تل من الانقاض ، وكثب من اخلاط المواد . . . . الى ان يقول « . . . . ! ما الرسالة التي أداها إلا حق صراح ، وما كلمه إلا صوت صادق صادر من العالم المجهول . . . . ! كلا ، ما محمد بالكاذب ، ولا الملفق ، وإنما هو قطعة من الحياة ، قد تفطر عنها قلب الطبيعة . . . . فاذا هي شهاب قد اضاء العالم اجمع »

ولست أدري يا صاحبي هل كان كاتب الانسانية « كارليل » قد اطلع على كل جزئيات حياة بطله « محمد » ؟ هل كان قد اطلع على كل ما ناله من أذى وتشريد ؟ هل كان قد اطلع على فقره يافعاً وصغيراً ، وزهده شيخاً وكبيراً ، وحكمه وسداده مبشراً ونذيراً ؟ هل كان قد اطلع على ما كان بينه وبين عتبة بن ربيعة حينما قال له : « إنك قد اتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جمعهم ، وسفهت به احلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني اموراً لعلك تقبل منها بعضها . . . فقال له رسول الله . . . قل يا أبا الوليد . . . قال « إن اردت بالذي فعلت مالاً جمعناه لك ، او شرفاً سودناك علينا ، فلا نقطع امراً دونك ، وإن كان يأتيك رؤيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه اموالنا حتى نبرئك منه . . . قال . . . « افرغت يا أبا الوليد . . قال نعم فاسمعه آيات من سورة السجدة وسجد . . . فقام عتبة الى اصحابه بغير الوجه الذي ذهب به ، فقالوا ما وراءك يا أبا الوليد . . . قال وراءي اني سمعت قولاً ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة . . . . اطيعوني يا معشر قريش ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ . قالوا . . « سحرك يا أبا الوليد . . ؟ » قال لنجمع أشراف كل قبيلة عند ظهر الكعبة ، ونبعث اليه ، ففعلوا فجاءهم حتى جلس اليهم ، فقالوا انا والله ما نعلم رجلاً من العرب ادخل على قومه الذي ادخلت ، الى آخر ما قاله عتبة . . فقال مالي ما تقولون . . « ما جئت بما جئت ، لأطلب اموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن بعثني الله اليكم رسولا ، وانزل علي كتاباً وامرني ان اكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالات ربي ، ونصحت لكم ، فان تقبلوا مني ماجئتكم به ، فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي اصبر لأمر الله حتى يحكم بيني وبينكم »

أجل ، لست ادري شيئاً من هذا ، ولكني اجزم بأن « كارليل » على حق ان الرجل الكاذب لا يقدر ان يبني بيتاً من الطوب . . . وان الرسالة التي اداها محمد حق صراح ، وانه قطعة من الحياة تفطر عنها قلب الطبيعة . . . ! ثم اجزم لك ان القاضي عياض وشراح القاضي عياض « وميور » و« أميل درمنغم » . . . . وعشرات الرواة والمؤلفين كانوا على حق في تنزيههم بصفات رسول الاسلام وباعث دولة الاسلام . كما اجزم لك ان

من يقول « السعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ بنفسه . . ويقول . . اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك . . ويقول . . طوبى لمن شغله عيبه عن الناس ، وطوبى لمن انفق من مال اكتسبه في غير معصية . . ويقول . . ضع المعروف الى من هو اهله ، ولمن ليس اهله . . . » اجزم ان من يقول ذلك ثم من كان من صفاته التي هي على غرار واحد وطراز واحد ومن معدن واحد انه كان « سهل الخلق ، لين الجانب ، دائم الفكرة ، متواصل الاحزان ، طويل السكوت ، لا يتكلم في غير حاجة . . . . يخزن لسانه إلا في ما يعنيه ، كلامه فصل لا نزر ولا هذر . لا يذم أحد ولا يعيبه ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيما رجى ثوابه ، مجلسه مجلس حلم وحياء وأمانة وصبر . . نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء ، تنام عيناه ولا ينام قلبه . . . يتفقد اصحابه ويسأل الناس عما في الناس ، ويحسن الحسن ويقويه ، ويقبح القبيح ويوهيه ، أفضل الناس عنده أعمهم نصيحة ، وأعظم الناس عنده منزلة احسنهم مواساة ومؤازرة ، يرفد صاحب الحاجة ، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه . . . . يزور ضعفاء المسلمين ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم . . . يمر بالصبيان فيسلم عليهم . . . . واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس . . . » اجزم ان من تكون هذه بعض صفاته — لافضلي حسناته — لا بد وان يكون عظيماً في اثره ، صادقاً في رسالته ، مثقفاً لامته . ولا بد وان يكون عصره وعصر خلفائه عصر نور وعرفان ، وهدى وايمان

وكيف لا يكون عصره وعصر خلفائه عصر نور وعرفان ، وهدى وايمان ، وقد تأدب القوم فيه بأدب القرآن ، وليس من قصدنا ان نتحدث اليك عن اعجاز القرآن وقد قرأت ما كتبه الاوائل والاواخر من الزمخشري والرازي والجرجاني والرماني والواسطي والعسكري وابن رشد والباقلاني والرافعي وغيرهم

اجل تأدب القوم بأدب القرآن ، وعمت في عروقهم روح الايمان . حتى رأينا النساء كالرجال في التضحية في سبيل الوطن ورفعة شأنه ، ولعلك قد قرأت في السير ما كان من صفية بنت عبد المطلب ، وقد شهدت بعينها تمثيل المشركين في واقعة أحد بسيدنا حمزة عم النبي ، وكانت هند وصاحباتها قد جدعنه ، وبقرن عن كبده ، ولاكتها ولم تسغها فلما رأى النبي ذلك في حمزة ، وأقبلت اخته صفية أشار عليه السلام على ابنها الزبير ليردها حتى لا ترى ما حلّ بأخيها ؛ فلقيها واعلمها . . . فقالت . . . وهي الكبيرة القلب ، الدامية الفؤاد ، ولكنها المترعة الايمان ، القوية العقيدة ، الخالصة الاخلاص . . . قالت : « بلغني انهُ مُثّل بأخي ، وذلك في الله قليل ، فما ارضانا بما كان من ذلك لأحتسبن ولأصبرن ! »

تأدب القوم بأدب القرآن ، وأدب نبي القرآن ، ولعلك تذكر ما كان من قوم عطشى من جند المسلمين في تلك الايام ، يجودون بارواحهم في سبيل الله وسبيل الوطن قد طلب احدهم ماء فأتى بالماء . . . وإذ بالثاني قد طلب الماء وإذ بالثالث قد طلب الماء . . . وإذ بغيرهم قد طلب الماء ، فآثر كلٌّ اخاه على نفسه واستقبل الموت في سبيل انسانيته وبرّه وايثاره !

تأدب القوم بأدب القرآن ، وأدب نبي القرآن ، فلماذا لا يفوز جند قليل على جند كثير ، ولماذا لا ننتظر من كل قائد من قواد العرب في تلك الايام إن يصيح في جنده قائلا مقالة عبد الله بن رواحة . « انتم إنما خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة إلا بهذا الدين الذي اكرمنا الله به . . . . ! »

يقول توماس كارليل : « ان عرب الجاهلية أمة كريمة تسكن بلاداً كريمة ، وكأنما خلق الله البلاد وأهلها على تمام وفاق ، فكان ثمت شبه قريب بين وعورة جبالها ووعورة أخلاقهم ، وبين جفاء منظرها وجفاء طباعهم ، وكأنهُ يبسط من قسوة قلوبهم مزاج من الفين والدماثة ، كما كان يبسط من عبوس وجوه البلاد رياض خضراء ، وقيعان ذات أمواه ، وأكلاء » وإن كارليل لو وقف على اعجاز القرآن بقدر ما تفهم أسرار عبقرية محمد لكان يسمعنا الكثير المطرب من شجي كلامه وعذب منثوره عن مبلغ تطور الخلق العربي تطوراً الى خير الانسانية في عصرنا الذي نتكلم عنه . . ذلك العصر الذي كان من أولى مميزاته الايمان العميق والاخلاص العميق ولا غرو فان محمداً وصحابة محمد كانوا على ايمان واخلاص والاخلاص كما يقول كارليل عن البطل في صورة نبي : « هو أول خواص الرجل العظيم كيفما كان . . . . . ! »

إذن فليس بغريب ان نشاهد من أبي بكر وصحابة أبي بكر قيامهم جميعاً قومة رجل واحد ، بدافع الايمان والاخلاص ، لحرب الردة ، ولبسط سلطان الاسلام ، لا للغنائم والسبي ، ولا للفتح أو طلب المال ، وإنما في سبيل الايمان ، وفي سبيل تحرير بني الانسان

—٦—

ولكنك تطالبني الآن بالتحدث اليك في الردة من حيث كونها بوتقة صهر بها الاسلام وخرج منها قويًّا متماسكاً ، وثابت من بعدها نجاحاً مؤزراً . وأنت تعلم ان الردة في جملتها امتناع فريق من العرب كبير عن اداء فريضة الزكاة باعتبارها نوعاً من الاتاوة ، وفاتهم انها نوع من المعونة والرحمة والعطف من غنيهم لفقيرهم ومن قويهم لضعيفهم . وتعلم ان تيار الردة كان قويًّا وجباراً في قوته حتى كاد يكتسح الاسلام اكتساحاً ، لولا انهُ دين الله ولولا ان ثبت للمرتدين مثل ابي بكر فرماهم بشجعان العرب وفرسان الهزاهز وابطال المواقع أمثال خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ، وشرحبيل بن حسنة ، والمهاجر بن ابي أمية ،

وحذيفة بن محصن، وعرفجة بن هرثمة، وسويد بن مقرن، والعلاء بن الحضرمي، وطريفة ابن حاجز، وعمرو بن العاص، وخالد بن سعيد والمئات من امثالهم وفي بسالتهم

تعلم هذا وتعلم من الطبري وغير الطبري النصوص التي كتبها ابو بكر لأمير كل بعث ولجماعة المرتدين في كل قطر، وقد هالك طبعاً ان نيران الفتنة قد التهبت في كل صقع من بلاد العرب، وهالك طبعاً انه الى جانب هذا الارتداد الجزئي ارتداد اوسع لطاقاً وابلغ خطراً هو ادعاء النبوة عند الكثيرين ممن يصح ان اتحدث في أمرهم معك تشكيكة ودعابة. بيد اني الآن أريد ان أتحدث اليك في شيء جزئي هو الآخر ولكن له معناه وله فلسفته وله درسه وله تهذيبه . . ذلك الشيء هو انفاذ أبي بكر الصديق لجيش أسامة بن زيد، وأعتقد انك ستوافقني بعد وقوفنا على ذلك الشيء الجزئي فنؤمن معاً بضرورة نجاح اصحاب هذه الدعوة الاسلامية، لما لهم من مميزات خلقية من عزمة حذاء، وهمة شماء، وإرادة ومضاء

اجل سأحدثك عن أسامة وبطولة أسامة وهو لم يزل بعد في طراوة إهابه وعنفوان شبابه، وهو جدير باعجابك وتقديرك لانك معجب بنابليون وبطولة نابليون وهو لم يزل بعد كأسامة في طراوة إهابه وعنفوان شبابه . . . ولكنني اعلم حبك للنصوص التاريخية لأن رسميات ذلك العصر وما هو شبيه بالرسميات مما يقع من قلبك الكبير موقع التقدير والاجلال . . . ولست في حاجة أن أذكرك ان نية رسول الله كانت منصرفة الى ان يبعث بأسامة وجيش أسامة لتأديب بعض العصاة والخارجين، ولست في حاجة لأن أقول لك ان المنية قد عاجلت الرسول دون انفاذ هذه البعثة، وان ارتداد المسلمين والذهول الذي استولى على المؤمنين بوفاة نبيهم لم يحولا بعد مما ستحدثك به النصوص والرسميات، والمصادر الشبيهة بالرسميات

يحدثنا الطبري عن مشيخته عن عاصم بن عدي: انه قد نادى منادي أبي بكر من بعد الغد من متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتم بعث أسامة إلا يبقين بالمدينة أحد من من جند أسامة إلا خرج . . . ويحدثنا بأن ابا بكر قد خطب هذا الجند بما ستجده في أخبار السنة الحادية عشر . . . . . ثم يحدثنا الطبري بأن الحسن بن أبي الحسن البصري قد قال ما نصه: ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بعثاً على أهل المدينة ومن حولهم وفيهم عمر بن الخطاب وأمر عليهم أسامة بن زيد، فلم يجاوز بهم آخر الخندق حتى قبض رسول الله صلعم، فوقف أسامة بالناس ثم قال لعمر: أرجع الى خليفة رسول الله فاستأذنه بأذن لي ان أرجع بالناس، فان معي وجوه الناس وحدهم، ولا آمن على خليفة رسول الله، وثقل رسول الله، واثقال المسلمين أن يخطفهم المشركون . . . . . ! فخرج عمر بأمر أسامة، وأتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامة. فقال ابو بكر: لو حفظتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به

رسول الله صلعم ، قال : قال الانصار امروني ان ابلغك وانهم يطلبون اليك ان تولي امرهم رجلا اقدم سناً من اسامة ، فوثب ابو بكر وكان جالساً ، فأخذ بلحية عمر فقال له ثكلتك امك وعدمتك يا ابن الخطاب ، استعمله رسول الله صلعم وتأمرني ان انزعه . . . . . الخرج عمر الى الناس فقالوا ما صنعت فقال : امضوا ثكلتكم امهاتكم ما لقيت في سببكم من خليفة رسول الله . . . . ثم خرج ابو بكر حتى اتاهم واشخصهم وشيعهم وهو ماش ، واسامة راكب ، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة ابي بكر ، فقال له اسامة يا خليفة رسول الله والله لتركبن او لانزلن ، فقال والله لا تنزل ووالله لا اركب ، وما عليّ ان اغبر قدميّ في سبيل الله ساعة . . ان للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له ، وسبعمائة درجة ترفع له ، وترفع عنه سبعمائة خطيئة . . . . . حتى اذا انتهى قال ان رايت ان تعينني بعمر فافعل ، فأذن له ثم قال : يا ايها الناس قفوا اوصيكم بعشر فاحفظوها عني ، لا تخونوا ولا تغلوا ، وتغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيرا ولا شيخاً كبيراً ولا ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً الا لمأكلة ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها الوان الطعام فاذا اكلتم شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها ، وتلقون اقواماً قد فحصوا اوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقاً ، اندفعوا باسم الله . . . . . اه

وانك بلاريب ستلفت نظري ياصاح الى قوة ارادة ابي بكر المتمثلة في قوله « لو خطفتني الكلاب والذئاب لم ارد قضاء قضى به رسول الله » ، وستشير اليّ بما في تصميم ابي بكر على امرة اسامة من احترام ارادة الرسول ، وستذكرني بأدبه في مشيته ، وايمانه في خطوته وادبه مع قادته . . . . ستلفت نظري الى ذلك كله مما يجب عليّ ان اذكره واتدبره واما انا فأرى في عنقي بعد ان فهمت ما ترمي اليه من تبيان رسوخ ابي بكر واستصغاره للخطب وتقديره للكفايات واحترامه لحقوق الامير وهو الخليفة دونه استئذانهُ في النزول له عن احد رجاله عمر بن الخطاب — اما انا فأرى من قبلي ان الفت نظرك سيما في ايامنا هذه وجيلنا الراهن وحروبنا الحاضرة الى ما تضمنتهُ وصيتهُ لجنده من ضروب الانسانية وآداب المقاتلة . . . . اليس كذلك ؟

احمد فريد رفاعي

[تتمة هذا البحث التاريخي الطريف في متنطف ديسمبر القادم]

شترزمان

رجل الرهيب

كان الدكتور شترزمان يعرف خطورة المرض الذي يهدد حياته وكان يعلم من اطبائه انفسهم انه لن يعمر اكثر من ثلاث سنوات ابتدأت في الشتاء الماضي وكان منذراً بانه لن يأتي على آخر هذه السنوات الثلاث الا اذا اعتزل مهام منصبه وانصرف الى الاهتمام بمعالجة صحته. ولكنه لم يحفل بانذار اطبائه ولم يكترث لتفاقم مرضه لاستخفافاً برأي اجمع الاطباء عليه أو استهتاراً بآلام مرض اشتدت وطأته، بل رغبة منه في انضي في عمله وعدم مغادرة ميدان الجهاد قبل الوصول الى آخره لا حبًّا بمنصب أعمى بصيرته أو شغفاً بشهوة وهنت أمامها حكمته ولكن تأدية لواجب كان لا يقتأ يشعر بوجوب تأديته ارضاء لنداء ضميره وارتياحاً لصوت وجدانه — فاني لما حظيت بمقابلته في مكتبه بوزارة الخارجية في برلين في آخر شهر يونيو الماضي اخذ يحدثني عن امنية قديمة كان يظن ان المنية تمهله من الوقت ما يكفي لتحقيقها وهي امنية زيارة مصر لمشاهدة اعلامها وآثارها وتمتيع النفس باعتدال اقليمها. فقد قص عليَّ رحمه الله يوماً انه عزم على المجيء الى مصر اربع مرات لامرة واحدة وحدث في مرة منها انه اشترى تذاكر السفر وتأهب للرحيل فعلاً ولكن اعمالاً مستعجلة طرأت عليه في تلك المرة كالاعمال التي كانت تطرأ عليه في كل مرة فمنعته عن السفر. وهنا سكت لحظة ثم حدق اليَّ وقال « واظن انكم ترون معي ان الواجب يجب ان يقدم على كل اعتبار آخر في هذه الدنيا ». وقد ظن هو يقدم الواجب على كل اعتبار آخر الى ان ادركته المنية وهو مكب على معالجة شؤون بلاده الداخلية والخارجية فقضى شهيد الواجب وكان حقًّا على المانيا ان تبكيه كما بكته وعلى صحافة العالم ان ترثيه كما رثته وحسبه فخراً بعد مماته ان تقول عنهُ صحيفة « الديلي هرالد » الانجليزية « من كان يقول لما وضعت الحرب العظمى اوزارها انا ستبكي سياسياً المانياً بعد عشر سنوات كما تبكي الدكتور شترزمان الآن »

السياسي والزعيم

وقد كان الدكتور شترزمان من اصحاب الرأي القائل بانه ينبغي على السياسي ان يختلف اختلافاً عظيماً عن الزعيم بخططه والوسائل التي يتعين عليه ان يتوسل بها لتحقيق اغراضه كي ينهض بالمهام الملقاة على عاتقه بما يعود بالمنفعة على بلاده وبالرفاهية على ابناء وطنه. فبينما

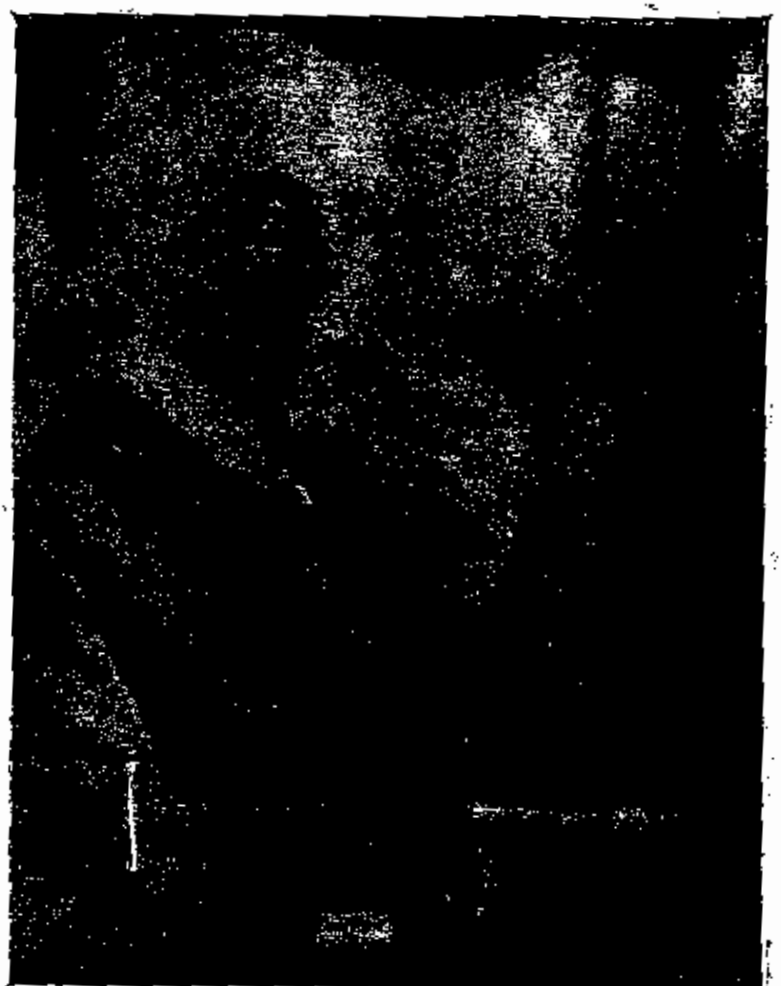

برتراند رسل
الفيلسوف الانكليزي المشهور

مقتطف نوفمبر ١٩٢٩
أمام الصفحة ٧٨٩

رأس تمثال لشترزمان

مقتطف يونيه ١٩٢٩

أمام الصفحة ٣٨٥

شترزمان وتوقيعه

تحت الصورة التي أهداها الى الاستاذ كاتب هذا المقال

[اتيح للاستاذ كريم ثابت ان يسافر في هذا الصيف الى اوربا لمرافقة « المقطم » بابان الرحلة الملكية ذاشهر هذه الفرصة وقابل اقطاب السياسة في البلدان التي زارها امثال السنيور موسوليني والمسيو ماساريك والدكتور شترزمان والدكتور بنش وغيرهم وقد وافانا بهذا المقال عن وزير المانيا الكبير على ذكر وفاته في الشهر الماضي]

الزعيم مضطر في احوال شتى الى مراعاة رغائب انصاره وتكييف تصرفاته بما يطابق شعور شعبه لئلا يحرم من عضده أو يفقد شيئاً من ولائه يتعين على السياسي ان يكون نافذ البصر بعيد النظر فيتنبأ بمصير الحوادث وعواقبها ويعمل في كل ظرف من ظروفها بما يكفل تحقيق النتيجة النهائية على ما تقتضيه مصلحة بلاده وسعادة شعبه ولو أدى هذا المسلك في بادىء الأمر الى نقد خططه والنفور من سياسته

وفي الواقع انهُ لم يكن في الدكتور شترزمان شيء من تلك القوة المغنطيسية التي تجذب الجماهير اليها فكان يفتقر والحالة هذه الى اول صفة من الصفات الجوهرية اللازمة للزعامة الحقيقية. فقد كان ربعة القامة ممتلىء الجسم اصلع الرأس كبير الوجه بتنفخ الخدين أشقر الحاجبين والشاربين اخن الصوت قليلاً. وقد تبين لي من كلامه معي انهُ ليس المانيًا بشكله فقط ولكنهُ المانيٌ بطبعه وبحديثه ايضاً فانهُ كان في حفاوته غير متصنع وفي جلسته وحركاته غير متكلف وكان حديثه بسيطاً صريحاً لا تجد فيه اثراً للتزويق والتمويق وكان لا يعرف من المجاملة الاَّ ما تقضي به آداب المجاملة — فرجل كهذا وان كان لا يستطيع ان يصير زعيماً الاَّ ان من شأنه ان يكتسب حالاً ثقتك باقواله لانك تطمئن فوراً الى صراحته وترتاح الى بساطته. فلا غرو اذا كان قد عرف كيف يفوز بثقة ساسة الحلفاء حتى حملهم على الموافقة على دخول المانيا في جمعية الامم واشتراكها في معاهدات السلم واهمها معاهدة لوكارنو. وكان بعدُ مسألة قبول المانيا في سلك جمعية الامم اكبر مرحلة خطتها المانيا بعد الحرب العظمى في سبيل استرداد المقام الذي كانت تتبوأه قبلاً في عالم السياسة الدولية ولذلك كان يعلق فوق مكتبه نص التلغراف الذي ارسلهُ اليه السكرتير العام لجمعية الامم ليبلغهُ فيه نبأ قبول المانيا في سلكها. غير انهُ اذا كانت الثقة التي كان الدكتور شترزمان يولدها في نفوس عارفيه وسامعيه قد خدمته أجل خدمة في الاتفاق مع الحلفاء على تسوية مشاكل المانيا الخارجية فان تطبيق رأيه القائل « بان ينبغي على السياسي ان يختلف عن الزعيم بخططه وتدابيره » اضرَّه حيناً من الزمن وكاد يفضي الى اغتياله في وقت من الاوقات أي قبل ان يدرك الالمان حقيقة مرمى سياسته ويقدرون تانجها حق قدرها. ويقول كبار الكتاب الاوربيين ان هذه الصفحة في حياة شترزمان هي اعظم صفحات سيرته وأغرها

لوكارنو

فانهُ لما تقلد الدكتور شترزمان منصب وزارة الخارجية في حكومة بلاده من نحو سبع سنوات رأى ان المانيا لا تستطيع ان تجاهد في سبيل استرداد المقام الذي كان لها قبل الحرب العظمى في اسواق العالم التجارية ما لم يسد جوّها الهدوء والسكينة وإذهب الى ان هذا الوطر لا يدرك الاَّ اذا سويت العلاقات بين المانيا والحلفاء تسوية نهائية على اساس العدل والانصاف سواء كان ذلك من الوجهة السياسية أو من الوجهة المالية والاقتصادية. فاذا تم لالمانيا اجراء هذه التسوية كما تمنى غدت في حالة تستطيع فيها ان توجه كل جهودها الى استرداد ذلك المقام المنشود . ولما ايقن ان هذه السياسة هي الخطة الرشيدة التي يجب عليه انتهاجها لمصلحة بلاده قرر المضي فيها مهما كلفهُ ذلك من جهد ومشقة وتضحية

وأخذ من ذلك الحين يتحين الفرصة الملائمة لشروع في تحقيق خطته الى ان كانت اوائل سنة ١٩٢٥ فأرسل الى دول الحلفاء مذكرة سياسية قال فيها انهُ يقترح ابدال الضمانات العسكرية التي اتخذها الحلفاء في بلاد الرين وعلى حدود المانيا باتفاقات دولية تعقد بين الفريقين ثم ختم مذكرتهُ بقوله انهُ في الاستطاعة ايضاً البحث في عقد ميثاق لتأييد السلم تشترك في امضائه الدول التي ترغب في احلال الوفاق محل الشقاق . فكان لهذه المذكرة وقع عظيم في بلدان الحلفاء ولاسيما لندن ووشنطن وفي باريس نفسها فاغتبط شترزمان بوصوله الى النتيجة التي كان يسعى اليها وهي ان يثبت لشعوب تلك البلدان حسن نية المانيا واستعدادها للتعاون معها على تعزيز السلم في اوربا . وكان من نتيجة المساعي التي بذلها بعد ذلك ان قرر وزراء الخارجية البريطانية والفرنسية والايطالية والالمانية الاجتماع في لوكارنو للبحث في مشروع الميثاق الجديد الذي اقترح الدكتور شترزمان عقده

ولكن الجانب الاكبر من الشعب الالماني لم يدرك في بادىء الامر الغاية الحقيقية التي يهدف اليها الدكتور شترزمان ويسعى بكل قواه اليها فأنكر سياسة « المسالمة » انكاراً شديداً حتى ان بعض شعب الكتلة الوطنية ذهبت الى اتهامه بالتساهل في حقوق البلاد فهاج عليه الرأي العام ورماه بالخيانة العظمى وحملت عليه الصحف المناوئة لسياسته حملة شعواء زادت في اثارة الخواطر حتى ان ولاة الامور خشوا على سلامته فاحاطوه برجال الحفظ والبوليس السري في غدواته وروحاته وكتموا مواعيد اسفاره وتنقلاته — كل ذلك والدكتور شترزمان مصرٌّ على المضيّ في السياسة التي اعتقد ان فيها مصلحة المانيا مهما كلفه الامر مع ان الجرائد كانت قد بالغت بوشنر في التهجم عليه وطلبت محاكمته امام محكمة الدولة العليا فلم يبال بهذا الاتهام الشنيع اكثر من مبالاته بصحته

ولما ذاع في المانيا نبأ انعقاد مؤتمر في لوكارنو لامضاء الميثاق الجديد الذي عرف بميثاق لوكارنو اشتد هياج الوطنيين الالمان خاف ولاة الامور عاقبته فأمسكوا عن اعلان موعد سفر الدكتور شترزمان الى لوكارنو وأحاطوا محطة سكة الحديد بالحرس ومنعوا الناس من دخولها وبثوا رجال البوليس السري في القطرات يفتشون مركباتها ويراقبون ركابها وقبل ان يغادر الوزير مدينة برلين بوقت قصير اكتشف ولاة الامور مؤامرة سياسية لاغتياله فأبى ان يرجىء سفره غير انه لما وصل به القطار الى الحدود السويسرية رضي ان ينزل منه وان يستانف سفره مع سائر المندوبين الالمان الى لوكارنو بالسيارات

جمعية الامم

وأفضى امضاء ميثاق لوكارنو الى دخول المانيا جمعية الامم مع موافقة الدول على التحفظات التي ابدتها فاطمأن الجمهور الالماني الى سياسة وزير خارجيته بعض الاطمئنان فلما اعلن بعد ذلك ان المانيا تتهيأ فرصة انتظامها في سلك الجمعية لتجاهر بانها ليست مسؤولة عن تبعة الحرب زالت المخاوف التي كانت تساور الجمهور وبدأ يرتاح الى سياسة وزيره فلما خطا خطوته الثالثة طالباً اعادة النظر في مسألة التعويضات وعقبها بخطوته الرابعة طالباً وضع حد لاحتلال الحلفاء لبلاد الالمانية المحتلة انقلب سخط الجمهور عليه الى ارضاء عن سياسته والثناء عليها اذ ادرك الالمان في تلك الساعة ان وزيرهم المحنك لم يكن يقل عن اكثرهم تحمساً ووطنية واخلاصاً وانما اراد ان يأخذ سياسة الحلفاء باللين والحسنى ليحقق اغراضه في جو يسوده الوفاق والوئام . فأجلوه واحبوه وبدأوا يقابلون بعض صفاته بالصفات التي امتاز بها بسمارك الكبير . وصفوة القول ان الدكتور شترزمان اصبح من ذلك اليوم يعتبر منقذ المانيا من المشكلات الخطيرة التي واجهتها بعد الحرب العظمى واكتسب في قلوب الالمان منزلة لم يعهد مثلها من قبل الا بسمارك الكبير

ولما كان الدكتور شترزمان قد اهتم بمسألة دخول المانيا لجمعية الامم ذلك الاهتمام الكبير عنَّ لي ان اسأله هل يعتقد ان الجمعية ستوفق الى تحقيق غايتها فأجابني بقوله :

« ان مهمة جمعية الامم محفوفة بالصعاب ولكن كل محب للانسانية يتمنى نجاحها ولا شك في ان الجمعية قد تقدمت تقدماً محسوساً يبعث على الارتياح وعندي ان جمعية الامم تسدي الى الدول خدمة جليلة تضاف الى الغاية الكبرى التي تسعى لها وذلك انها تتيح لساسة الدول المشتركة فيها فرصة الاجتماع بعضهم ببعض حول طاولة واحدة فيتجاذبون اطراف الحديث في مقام متساوٍ وفي جو يسوده السلام والصفاء فتساعد تلك الاحاديث في كثير من الاحيان

على حل مشكلات وازالة التباسات قد يتفاقم امرها اذا ظل كل فريق قابعاً في عفر داره ولا يسعى الى الوقوف على وجهة نظر غيره وآرائه ولا يعنى هو من جهته ببسط وجهة نظره والادلاء بانكاره. وصفوة القول اني اعلق شأناً خطيراً على مثل هذه الاجتماعات والمحادثات لاعتقادي انها كبيرة الفائدة بعيدة الاثر وأرى ان السياسة ليست علماً موضوعاً له اصول ثابتة وقواعد معينة بل هي مرهونة بحكم الاحوال وعندي ان الوقت يعالج احياناً مسائل خطيرة تعجز جبابرة العقول عن معالجتها قبل حلول الاوان الطبيعي لحلها. فالسياسي الماهر هو الذي يعرف كيف يعطي الزمان حقه حتى اذا فعل الوقت فعله عرف كيف ينتهز الفرصة ويستفيد من الانتظار في الاوان المناسب »

علمه وأدبه

وأرى ان هذا البحث الوجيز في سيرة الدكتور شترزمان لاينكتمل الا اذا تناول بعضاً من نواحيه الشخصية ومن ذلك ان عارفيه يقولون ان ميله الفطري الى العزلة عن الناس والايجاز في الكلام بدأ يتجلى فيه منذ نعومة اظفاره فانه كان وهو حدث لا يتجاوز الخامسة عشرة من عمره يفرُّ من المجتمعات والمنتديات ليخلو بنفسه في زاوية من زوايا بيته فيمضي الساعة تلو الساعة في المطالعة او التأمل والتفكير حتى ان اهله ما عدا والدته كانوا يعنفونه على هذا السلوك الشاذ. اما والدته فكانت الشخص الوحيد الذي ادرك حقيقة خلقه وثمنه بعطفه ووعاه بحنانه

وجاء ذكر الرياضة البدنية في حديث الدكتور شترزمان معي فقال انه لا يمارس ضرباً من ضروب الرياضة. ثم ذكر فجأة انه يمقت الملاكمة مقتاً عظيماً فسألته بتهاً عن سبب مقته لها فأجاب بقوله « لا اعلم. وكل ما أعلمه هو اني اكرهها. واني افضل الآداب عليها » وقد كان رحمه الله من المولعين « بجوتي » الشاعر الالماني الكبير وكان يختلس دائماً اوقات فراغه ليعكف على المطالعة في كتاباته ومنظوماته وقد وجد من نحو سنتين الوقت الكافي رغم مهامه الكثيرة ليعد محاضرة شائقة عنه القاها في النادي الذي ينتسب اليه على مسامع جمهور من الادباء الالمان. وكان من المعجبين ايضاً بشكسبير وقد ظلَّ حتى السنوات الاخيرة يحضر بانتظام كل محاضرة تلقى عنه في برلين وكان لكتابات « ماكولي » منزلة رفيعة في نفسه لايقل شيء اعجابه بمؤلف « فولتير » المسمى « محمد »

كريم ثابت

درة من درر الفلسفة الحديثة

كيف تكونت عقيدتي الفلسفية

لبرتراند رسل

الفيلسوف الانكليزي المشهور

وقعت الرسالة التي وضعها محرر هذه المجلة في تحليل جمهورية افلاطون وقعاً حسناً لدى جمهور القراء فطلبوا الاستزادة من هذه المباحث الفلسفية. وفيما نحن نعد العدة لبحث من هذا القبيل طلعت علينا احدى المجلات الاميركية بمقالة للفيلسوف الانكليزي المعاصر برتراند رسل بسط فيها عقيدته الفلسفية واصولها. قرأينا ان ننقلها الى القراء لان ما تحتوي عليه من الآراء يعالج المشكلات التي يعانيها الانسان في العصر الحاضر. وقد قال في مطلعها « ان نظري الى الكون والحياة كنظر سائر الناس وليد الحوادث والايام قدر ما هو وليد الطبع الموروث » وقال احد الكتاب المشهورين في برتراند رسل ما يأتي : انه فيلسوف متصوف . والفلاسفة كالصوفيين يرون رؤى اعلى ان اصحاب الرؤى ليسوا اضعف القوى التي تسير هذا العالم ولا هم اخمل الناس فيما يبذلونه من السعي لرفع مستوى الحياة». قال :

الدين

اما فيما يتعلق بالمعتقد الديني فيظهر ان الذين تعهدوا تربيتي الدينية لم يسلكوا اقوم السبل ليغرسوا في نفسي التسليم باصول المعتقد المستقيم الرأي من غير تساؤل عن صحتها او تردد في الاخذ بها . فقد كان ابي وامي من احرار المفكرين ولكن امي توفيت لما كنت في السنة الثانية من عمري وتبعها ابي في السنة التالية فلم اعرف آراءها الدينية الا بعد ما بلغت دور الشباب . وبعد وفاة والدي اخذتني جدتي وعنيت بتنشئتي وتهذيبي وقد كانت من اتباع المذهب البرسبيتاري الاسكتلندي ولكنها انقلبت وهي في السبعين من عمرها واعتنقت مذهب « الموحدين » (اليونيتاريان) وكانت تسير بي كل يوم احد الى الكنيسة فكنا نذهب في الاحد الاول الى كنيسة المقاطعة وهي « ايبسكوبالية » وفي الاحد التالي الى كنيسة اخرى تابعة للمذهب « البرسبيتاري » وكانت هي في البيت تعلمني اصول المذهب « الموحد ». على اني لم انشأ على حسبان كل ما تحتويه التوراة صحيحاً بحرفه ولا ان اعتقد

صحة العجائب والعذاب الاخير. ولا ازال اذكر معلماً سويسريًّا قال لي ذات يوم، وكنت في الحادية عشرة من عمري « اذا كنت داروينيًّا فني اشفق عليك اذ يتعذر ان يكون الانسان داروينيًّا ومسيحيًّا في آنٍ واحد » . لم اكن في ذلك العمر اعتقد انهُ يتعذر الجمع بين الاتين في حيّز نفسي واحدة على انهُ كان قد اتّضح لي حينئذٍ اني لو خيّرت بين الاتين لاخترت ان اكون داروينيًّا . ولكني ظللت اؤمن باصول المعتقد الموحد حتى بلغت الرابعة عشرة اذ تملكتني عاطفة التديّن حتى اخذت عليَّ مذاهبي وصرت شديد التوق الى معرفة امر واحد هو : هل هنالك سبب كافٍ لاقناعي بان الدين صحيح ؟ وقضيت السنوات الاربع التالية من عمري في التفكير والتأمل في هذا الموضوع . ولم اكن استطيع ان اقنع احداً من ذويَّ بما يجول في ذهني لئلا اؤلمهُ . وكانت تتنازعني ثروات من الالم المبرح لما كنت اشاهدهُ في نفسي من تداعي اركان الايمان وضرورة السكوت عليه. واول المعتقدات التي نبذتها عقيدة « الارادة الحرة » ذلك اني كنت احسب حينئذٍ ان كلَّ حركات المادة حتى المادة التي يتركب منها جسم الانسان خاضعة لنواميس الحركة الدينامية وانها لذلك لا يمكن للارادة الانسانية ان تؤثر فيها . والمعتقد الثاني الذي نبذتهُ معتقد « الخلود » ولكني لا استطيع ان اذكر الآن ما كانت الاسباب التي حملتني على نبذهِ. وظللت اؤمن بوجود الله لان التدليل على وجودهِ بدليل « السبب الاول » كان في نظري لا يدحض . ولكني قرأت سيرة الفيلسوف جون ستيورت مِلّ لما بلغت الثامنة عشرة من السر فظهر لي ما في هذا الدليل من الضعف وعليهِ تخليت عن كل المعتقدات التحكية المسيحية . ولشدَّ ما كانت دهشتي حين وجدتني اسعد حالاً واهنأ معيشةً مني حين كنت اغالب نفسي للاحتفاظ بمعتقد ديني

ولما بلغت هذه الرتبة من مراتب التفكير انتظمتُ في سلك جامعة كمبردج حيث وجدت للمرة الاولى اناساً استطيع ان احدثهم في شؤونٍ تهمني . في كمبردج درست الفلسفة واصبحت من اتباع الفيلسوف هيجل وبقيت كذلك ثلاث سنوات . وبعد خروجي منها قضيت بضع سنوات في درس علوم متفرقة فقضيت ثنتين متواليتين في برلين ادرس علم الاقتصاد السياسي . وفي سنة ١٨٩٦ حاضرت الطلبة في جامعتي جونز هبكنز وبرنمور الاميركيين في موضوع « الهندسة غير الاقليدسية » ثم قضيت زمناً بين هواة الفن في فلورنسا وقرأت « بايتر » و« فلور » من امراء الادب في العقد الاخير من القرن التاسع عشر . واخيراً اعتزلت في بيت بالريف عازماً على الاشتغال بوضع كتاب كبير في « مبادئ الرياضيات » كانت مطامحي منذ صرت في الحادية عشرة من عمري تتجه اليه

الرياضيات

كنت في الحادية عشرة حين حدث لي حادث كان لهُ اكبر اثر في حياتي . ذلك ان اخي — وهو في الثامنة عشرة حينئذٍ — اخذ على عاتقه تعليمي هندسة اقليدس فكان فرحي بذلك لا يوصف لانه كان قد انتهى اليَّ ان اقليدس يبرهن ما يقول فأمّلت ان احصل من وراء درسه على معرفة راسخة . ولن انسى ما خامرني من خيبة الامل حين وجدت ان اقليدس يبدأ بالاوليات وهي امور سلّم بها . فلما قرأ اخي الاولية الاولى لم ار سبباً يحملني على التسليم بصحتها فقال اخي « اذن فلا فائدة تجنى من التمادي في هذا الدرس » ولما كنت توّاقاً الى درس الهندسة سلّمت بصحتها جدلاً ولكن اعتقادي ان في مكان من الكون يستطاع الحصول على معرفة ثابتة صُدِم صدمة عنيفة . ان ميلي هذا الى الكشف عن معرفة راسخة كان محور كل عملي ومصدر وحيه الاعلى الى ان بلغت الثامنة والثلاثين من عمري . وكان من الواضح حينئذٍ ان الرياضيات هي اقرب العلوم الى قدس المعرفة الراسخة . لذلك عنيت باصول الرياضيات وتعمقتُ فيها . وفي السنة الثامنة والثلاثين من عمري شعرت اني قد بذلت كلَّ ما استطيع بذلهُ في هذا الميدان مع اني كنت لا ازال بعيداً عن محجتي « الحقيقة المطلقة » لا بل ان النتائج التي اسفرت عنها مباحثي حملتني على الارتياب في علم الحساب وهو ريب لم يتطرق اليَّ قبلاً . وقد كنت معتقداً ولا ازال ان الطريقة التي جريت عليها هي اقرب الى المعرفة الحقيقية من كل الطرق المعروفة ولكن المعرفة التي أفضت اليها ليست الا معرفة تقريبية وليست معرفة مدققة كما يبدو لاول وهلة . وشعرت حينئذٍ اني لا اميل الى وقف نفسي على المجرّدات بعد ما بذلت في سبيلها كلَّ ما في وسعي من غير تحقيق غرضي . وبعد ما انعمت مع الاستاذ هويتهد وضع كتاب « مبادىء الرياضة » بقيت ثلاث سنوات متوالية مترددا فيما اتجه اليه من المباحث والاعمال . وكنت حينئذٍ ادرّس في كمبردج ولكني أيقنتُ اني لا اريد ان استمر في عملي هذا الى ما شاء الله . وكنت بحكم الاستمرار لا ازال مشغولاً ببحث المنطق الرياضي ولكنّ ميلاً خفيًّا تولاني الى تغيير الموضوع برمته

الحرب

ونشبت الحرب الكبرى فعلمت من غير ظلّ من الريبة او التردد ماذا عليَّ ان افعل . لم اشعر في حياتي قط كما شعرت حينئذٍ ان كلَّ كياني مصوَّب الى عمل كما كان مصوَّباً الى عمل الدعاية السلمية التي قمت بها في اثناء الحرب . ولا اذكر اني ترددت في اي عمل آخر اقلّ من ترددي في هذا العمل . ولاول مرة في حياتي وجدت شيئاً يشغل طبيعتي باسرها . ذلك ان اشتغالي بالمجردات من قبل كان قد ترك غرائزي الاجتماعية دون ما يكفيها مع اني كنت قد افسحت

لها المجال من حين الى آخر في كتابة المقالات والقاء الخطب السياسية وخصوصاً فيما يتعلق بحرية التجارة واصوات النساء. وكانت التقاليد الارستقراطية التي درجت عليها في صغري تحملني على ان اشعر شعوراً فطرياً بوجوب القيام بالتبعة الملقاة على عاتقي فيما يتعلق بالشؤون العامة. والفطرة الوالدية التي لم تكن محققة في تحقيقاً شخصياً حينئذٍ حمتني على ان اغضب وانفر لمنظر شبان اوربا يخدعون ويساقون الى المجزرة لاكفاء الشهوات الشديدة التي تكتسح صدور كبارهم. واستقامتي الفكرية منعتني عن تصديق الخرافات التي اتخذتها الدول المتحاربة سبباً تسوّغ به اثارة الفتن. والواقع ان المفكرين الذين صدقوا هذه الخرافات كانوا قد تخلوا عن عملهم الصحيح ليقوموا بالشعور أتم واحد من القطيع. وهذا في نظري كان عملاً غير شريف. لانهُ اذا كان للمفكر عمل في المجتمع فعمله الاحتفاظ بحكم هادئ مجرّد حين ثورة العواطف والشهوات ولكني وجدت ان اكثر المفكرين لا يثقون بفائدة العقل الاّ في ايام السلم

وأثار في شعور العامة في شهور الحرب الاولى عناية علمية وان تكن مؤلمة. خطت اراقب الجمهور فاتضح لي ان اكثر المتحلقين في الوطن كانوا يطربون لانباء الحرب مما يدل على تأصل البغض وضعف المحبة في الطبيعة الانسانية المهذبة باساليب العصر. وشاهدت كذلك الفضائل السامية كالاقتصاد والاجتهاد والروح العامة تستغلّ لتنظيم الخطب بحمل اصحابها على بذل اقصى ما عندهم من النشاط والقوة في سبيل التقتيل والتدمير. فتولاني جزع من فناء الحضارة الاوربية. ولو استمرت الحرب سنة اخرى لكانت تقوضت اركانها وعفت معالمها. والشعور بالامن والضمان الذي امتاز به القرن التاسع عشر زال ولكني ظللت معتقداً بفائدة المثل العليا التي كنت ارعرعها وأغذيها في نفسي. وافضى اليأس في طائفة كبيرة من شبان العصر الى معتقد قوامهُ التشاؤم والاحتقار ولكن اليأس لم يتولّني ولذلك بقيت اعتقد وما زلت ان السبيل المؤدي الى اصلاح الاحوال لايزال مفتوحاً

كل تفكيري في الموضوعات السياسية والاجتماعية والادبية في اثناء الخمس عشرة السنة الاخيرة نشأ عن الشعور الذي تملكني في ايام الحرب الاولى. فبعد بحث قليل اقتنعت ان درس المصادر السياسية على فائدته، لا يصل بي الى قرار المسألة. لان الشهوات العامة ايّدت الحكومات كلّ التأييد في كل الخطوات التي خطتها على طريق الحرب. كذلك اقتنعت باني لا استطيع التسليم بان اسباب الحرب هي اسباب اقتصادية دائماً لانهُ وضح لي ولغيري ان الذين كانوا اشدّ الناس حماسة في تأييد الحرب كانوا اكثر الناس عرضة لخسارة اموالهم فيها وبمجرد اغفالهم ذلك دليل على ان شهواتهم الثائرة شوّشت عليهم تفكيرهم المالي الصافي من الخطأ. ان هذه الشهوات هي المصدر الحقيقي للرغبة في الحرب. وليس القول باسباب

الحرب الاقتصادية — في ما عدا بعض الاحوال الخاصة كالشركات الصناعية الكبيرة — الا تعليلاً يُلجأ اليه لتسويغ الحرب . ان الناس يريدون الحرب فيقنعون نفوسهم بانها في مصلحتهم . فالمسألة المهمة اذاً هي المسألة السيكولوجية . لماذا يريد الناس ان يحاربوا ؟ هذه المسألة تفضي بنا الى طائفة من المسائل تتعلق بشهوات القسوة والظلم والاستبداد وغيرها بوجه عام

الفلسفة النفسية والاجتماعية

ودرس هذه المسائل يشتمل على درس الاصول التي نشأت عنها الشهوات الضارة وعليه فهو يشمل درس التحليل النفسي ومذاهب التعليم والتهذيب ووسائلها . وقد حملني درس هذه المذاهب على تكوين فلسفة للحياة رائدها الرغبة في الكشف عن طريقة تمكن الناس من ان يعيشوا معاً ، بما في طبائعهم من الصفات الموروثة والشهوات المدمرة ، من غير ان يجعلوا غرضهم قضاء بعضهم على هناءة البعض الآخر . ومفتاح فلسفتي من الوجهة العلمية هو وجوب العناية بعلم النفس والجري على خطة تُقوِّمها الحكم على المنشآت الاجتماعية من حيث أثرها في الاخلاق البشرية . ففي اثناء الحرب انقلبت كلُّ الفضائل التي يتصف بها كرام الناس واستعملت للشر . فامتنع الناس عن شرب المسكرات ليصنعوا قنابل ومقذوفات متفجرة . وقبلوا ان يطيلوا ساعات العمل لكي يقوّضوا اركان المجتمع الذي يجعل للعمل قيمة . وزاد تقززهم من الامراض الزهرية لانها تحول دون مقدرة اصحابها على الفتك بالاعداء

كلُّ هذا حملني على الاعتقاد ان قواعد التصرف لا تكفي لانتاج النتائج الحسنة الا اذا كان الغرض الذي يُرمَى اليه غرضاً شريفاً . فازدياد الاجتهاد والاقتصاد والاعتدال والامتناع عن المسكرات كان من البواعث على توسيع نطاق الفتك والتدمير . ولكن المال الذي أنفق حينئذ على المسكرات كان من عوامل السلم لانهُ لو لم ينفق في شرب المسكرات لكان انفق في صنع القنابل . ولما كنتُ من دعاة السلم ومحبيه أعترضت مطالبي مطالبَ الامة بأسرها وتعذر عليّ ان اقف من القواعد الادبية الا موقف الناقد اللاذع النقد . على ان موقفي لم يكن موقف مقاومة للقواعد الادبية على اطلاقها بل كان شبيهاً بموقف الرسول بولس في فصله المشهور عن المحبة . اني لا اتفق مع هذا الرسول الكريم في كثير من آرائه ولكني ارى رأيهُ في ان الخضوع للقواعد الادبية لا يقوم مقام المحبة وانهُ حيث تكون المحبة خالصة من الشوائب تستطيعُ اذا قُرنت بالعقل والذكاء ان تبدع القواعد الادبية الضرورية . على ان لفظة « المحبة » فقدت جانباً كبيراً من مدلولها بالاستعمال وعادت لا تؤدي طيف المعنى المطلوب . فنحللها تحليلاً فلسفيًّا سيكولوجيًّا

المحبة والبغض

في صفوف الحيوانات الدنيا تستطاع قسمة الحيوانات الى قسمين عامين : الاول يشمل الحيوانات التي تقبل على النور. والآخر يشمل الحيوانات التي تبعد عنهُ وتنفر منهُ . ونستطيع ان نجري هذا التقسيم على مملكة الحيوان باسرها . فاذا اثّر في الكائن الحيّ مؤثر جديد ، اثار فيهِ شعوراً بالاقتراب من المؤثر ومصدرهِ او بالنفور منهُ والابتعاد عنهُ . واذا ألبسنا هذا الفكر البيولوجي حلة بسيكولوجيّة قلنا ان كلّ مؤثر جديد يثير في الكائن المتأثر اما شعور الانجذاب او شعور الخوف وكلا الشعورين ضروري للبقاء في عصر العمران الحالي ولكن شعور النفور والخوف اقلُّ ضرورة الآن منهُ في ما سبق من العصور . ذلك ان الوحوش الضارية جعلت حياة الانسان محفوفة بالمخاطر قبلما استنبط ادوات تمكنهُ من الدفاع عن نفسهِ فكان لذلك جباناً كالارنب . وكان الخوف يملكهُ لانهُ كان مهدَّداً دائماً بخطر الموت من الجوع . وهذا الخطر قد قلَّ بفضل العلم والاستنباط في ميادين الزراعة والنقل . اما الآن فاشرس الحيوانات التي على الناس ان يحارسوها هو الانسان نفسهُ مع ان الاخطار الطبيعية التي يتعرضون لها قد قلت جدًّا . فالشعور بالخوف الآن انما هو خوف من الناس . والخوف هو احد الاسباب الاساسية التي تجعل الانسان خصماً لاخيهِ . فمن الحكم المشهورة ان الهجوم افضل وسائل الدفاع . ولذلك ترى الناس يهاجمون بعضهم بعضاً لانهم ينتظرون ان يهاجموا . وعواطفنا الغريزية موروثة من اسلافٍ كانوا يعيشون في عالم محفوف بالمخاطر ففيها من الخوف اكثر مما يتفق مع معيشة هذا العصر . ولما كان هذا الخوف لا يجد مجالاً للظهور في ميدان العوامل الطبيعية كالهجوم على الضواري وخوف الجوع الخ — يتجه الى المحيط الاجتماعي فيولد البغض وضعف الثقة والحسد والافتراء . فاذا شئنا ان نستفيد من سيطرة الانسان على الطبيعة وجب أن نبني نفسية علوية . فنصبح نشعر برزانة السيّد وسكينتهِ في ساعة الخطر بدلاً من ان نشعر بخوف العبد واضطرابهِ . وعليهِ يجب ان نقوي في النشء شعور الاقتراب والانجذاب ونضعف شعور الخوف والنفور. وهذه المسألة ككل المسائل اخرى نسبية . فانا لا ادعو الناس الى الاقتراب من نمر هائج او افعى تنفخ فحيحاً بخالجهم شعور المحبة والعطف انما اقول ان المواقف في علاقات الناس بعضهم ببعض التي تبعث على النفور هي اقلّ كثيراً مما تحملنا التقاليد على تصورهِ ، لان هذه التقاليد نشأت وتكونت في عصر كانت المعيشة فيهِ محفوفة بالمخاطر تبعث على الخوف والنفور كما تقدم

فقبض الانسان على ازمة الطبيعة مهَّد السبيل للتعاون بين طوائف الناس والعاقلون يستطيعون الآن اذا تعاونوا واستفادوا من علمهم اقصى الفائدة ان يبسطوا ظلَّ الرخاء

الاقتصادي على جميع الناس . وهو عمل لم يكن في مستطاعهم في العصور البائدة

ان النزاع — نزاع الموت والحياة — على امتلاك البلدان الزراعية الخصبة كان امر معقولاً في الماضي ولكنه جنون بحت في هذا العصر . فانشاء حكومة دولية وتنظيم الاعمال المالية والتجارية والجري على خطة « تحديد النسل » عوامل اجتماعية تمكن ذوي السلطان من جعل المعيشة الرغيدة في متناول كل انسان . انا لا ادّعي ان كل انسان يستطيع ان يصبح غنيًّا كقارون ولكن كل انسان يستطيع ان يملك من حطام الدنيا ما يكفيه لتوفير وسائل السعادة اذا كان عاقلاً قنوعاً . ومتى حلّت مشاكل الفقر والمسكنة تمكن الناس من ان ينفقوا وقتهم في اعمال العمران وترقية العلم ومكافحة المرض وابعاد شبح الموت واطلاق الوان الشعور التي تبعث على الغبطة والفرح

لماذا يظهر لنا ان هذه الافكار خيالية لن تتحقق ؟ السبب كل السبب في نفس الانسان — في ذلك الجانب منها المبني على التقليد والتهذيب والبيئة لا في جانبها الموروث الذي قلما يناله تغيير ما

الحكومة الدولية والسلم العام

خذ الحكومة الدولية . فضرورة انشائها امر مسلّم به عند كل انسان يستطيع ان يفكر تفكيراً سياسيًّا سليماً . ولكن الشهوات القومية تحول دونها . فكل امة تفاخر باستقلالها وكل امة مستعدة لان تخوض غمار الحرب حتى آخر نسمة في آخر رجل منها للمحافظة على حريتها . هذه فوضى شعبية كفوضى الاشراف في عصور الاقطاع (الفدائية) الذين ارغموا في نهاية الامر على الخضوع للملك . ان الموقف الذي تقفه كل امة الآن من سائر الامم هو موقف حذر وتفور وابتعاد . انا لا اعترض على اجنبي ما زال في بلاده يصرّف امورها ولكننا نكمش ذعراً اذا رأينا اجنبيًّا وقد منح الحق ان يكون له قول في تصريف امورنا . فكل امة اذاً تصرّ على التمتع بحق لا تتنازل عنه هو حق اقامة « الحرب الخاصة » . ان معاهدات التحكيم ومواثيق السلام التي على منوال ميثاق كلوج اشارات طيبة في سبيل السلم العام ولكن كل انسان يعلم انها لن تتحمل اي توتر شديد في العلاقات الدولية

وما زالت كل امة محتفظة بجيشها واسطولها الجوي والبحري فحكومتها لا بدّ ان تستعملها اذا ثار ثائرها كائنة المعاهدات التي وقّعت عليها ما كانت . والسلام بين الناس لا تتوطد اركانه الا اذا جرت الدول على المبدأ الذي طبق بين الافراد من قبل . وهو : لا يستعمل الفرد قوته ما في حسم النزاع الذي ينشب بينه وبين جاره ويعهد باستعمال القوة الى فريق ثالث محايد

خبراً على قوانين وقواعد معروفة (القضاء) . فمتى سيطرت سلطةٌ عالية على قوات الامم الحربية تكون قد بلغنا في علاقاتنا الدولية درجة وصل اليها الافراد في علاقاتهم بعضهم مع بعض منذ قرون كثيرة . ولا شيء أقل من هذا يكفي لتوطيد اركان السلام

ان اساس الفوضى الدولية هو ميل الناس الى الخوف والبغض وهذا هو اساس النزاعات الاقتصادية لان حبّ الاستئثار بالقوة والسلطة وهو اساس كل نزاع اقتصادي ليس الاّ صورة جديدة لفطرة الخوف . فالناس يريدون ان يسيطروا لانهم يخافون ان تستعمل سيطرة الغير في هدم مصلحتهم . وفي ميدان التعليم نرى أن الشعور الايجابي الذي يجب ان يجعل محور التثقيف والتهذيب هو « حب الاستطلاع » ومع ذلك نرى هذا الشعور مضغوطاً عليه ضغطاً شديداً سواء في عالم الاستطلاع السياسي او الديني او غيرهما . وبدلاً من ان تهذب الاولاد وتثقفهم باساليب البحث الحرّ تعلمهم المعتقدات السليمة الرأي (في نظرنا) التي درجنا عليها بعد آباءنا واجدادنا فينجم عن ذلك ان هذه الافكار الغريبة تثير فيهم شعور الخوف والنفور بدلاً من شعور الرغبة والاقبال . وكل هذه النتائج تنجم عن طلب ضمان للحياة ناشىء عن مخاوف غير معقولة . وقد اصبحت هذه المخاوف غير معقولة في عصرنا فقط لانهُ اذا جمعنا في نظامنا الاجتماعي بين الجرأة والعلم ضمنا لنا البقاء المنشود

طريق الفردوس العالمي

فالطريق الى الفردوس الارضي ممهد معروف . جانب منهُ يقع في ميدان السياسة والآخر في ميدان التغيرات في طبيعة الانسان اي في ميدان التعليم . أما في ميدان السياسة فاهم ما هنالك انشاء حكومة دولية . اما في ميدان الطبيعة الفردية فاهم عمل نقوم بهِ هو تنشئة الفرد حتى يكون اقلّ انفعالاً بعوامل الخوف والبغض وهذا امر فسيولوجي وبيكولوجي في آن واحد . فاكثر ما في العالم من البغض والحقد سببهُ سوء الهضم وعدم قيام الغدد بعملها قياماً منتظماً وهذان الامران اساسهما الضغط على الشبان وكبت طبائعهم . ففي عالم يعنى فيهِ بالصغار عناية كافية ويفسح امام طبائعهم الحيوية اوسع مجال لاتساع نطاقها ونموها نمواً لا يضرّ بهم ولا برفاقهم ينشأ الناس رجالاً ونساء اشجع قلباً واطيب نفساً مما هم الآن . فاذا وجد الناس هذه طبائعهم وانشئت حكومة دولية تمهدت امام الناس طريق العمران غير المتزعزع الاركان . اما اذا مضينا وهذه حالتنا النفسية ، وهذا نظامنا السياسي ، فكل تقدم في العلم يقرب اندثار الحضارة . آه

الذكرى: للشاعر لامرتين

[الاحزان العميقة مَنْبَعُها الفؤاد ، ومكمنها الحشا ، فهي لا تدرُّ الدموع ، بل تَستقطر دماء القلوب ، وهي صامتة غير صَخّابة ، فاذا ما أنّت نفس المرء العادي وتأوّهت ، خرجت على فمه زَفْرة ، تَتقطّع لها نياط الفؤاد ، وشِغاف القلب ، وتلاشت على شفتيه دون ان يشعر بها احد . اما الشاعر ، فأنّةُ نفسه ، لهيب عواطفه المحترقة ، يصعد على مَتْن الشعر ، فيعبر بازيزه عن المآ وجواه ، بكلمات تهز العواطف ، وتستثير الشجون ، حتى تستعبر منها كل عين ، ويدمي لها كل فؤاد

وكان لامرتين اذا غنى على قيثارة ألمه نشيد روحه المحتضرة ، هيّج مكامن الشجون في النفس ، ورفع هذه من مستقرها الارضي ، الذي الصقها به شطرها المادي ، الى مستواها العلوي ، تاركاً الجسد متخبطاً في دياميس تألمه ودياجير إيجاعه

وهذه القصيدة ، نَفْثة من نفثات صدره الكليم ، لفظتها نَفْسُه بعد فقد حبيبته التي شغفها في مدينة اكس . فقد لبث سبعة شهور هائماً على وجهه ، لا يستقر به النوى ، ولا يحيط قلبه ، الا بصورة تلك الراحلة العزيزة ، حتى اذا ألِف حزنه ، والتى الزمن ستر الكآبة على ألم نفسه ، مُلَطّفاً من شدته ، مخفّفاً من حدّته ، طفق يرسل شعور روحه واحساسها ، الى خيال عشيقته ، الماثل دائماً لتصوراته ، نجوًى وحنيناً ، هما زفير النفس وتأوّهها]

عَبَثاً تعاقب الايام ، وتَهْوي على مَرْلَقَة الزمن ، دون ان تترك أثراً ، فلا شيءٌ يمحو من قلبي ، آخر حُلْم من حبي وغرامي

ارى مِنّي حياتي الرّكُوض تجمع وراءٌ مُتَراصّة ، كما تتراكم اوراق البَلُّوطة اليابسة حول جذعها

لقد بَيَّضَ الزمن مفرقي ، واثلج دَمي الذي يَدِبُّ ببطء في عروقي ، فأشبهتُ مياه الغدير الساربة ، التي تَمْقِيها رياح الجَنوب الباردة

ولكن صورتكِ الفتيّة الساحرة ، التي تزهيها الحَسْرة واللّهْفة ، مَصُونة في اعماق فؤادي ، لن يَمَسّها كِبَرٌ ، ولن تطرّق اليها شيخوخة ، فهي كالروح لا يحدّها عمر

كلا انكِ لم تَنْأي عن حيني ، ولما تَطَلّبكِ طَرْفي الحائر ، ولم يجدكِ على الارض ، تطلعتُ فجأةً الى السماء فالفيتكِ فيها

هنالكِ بدوتِ لي ، كما كنتِ في آخر ايامكِ ، بدوتِ لي زاهرةً زاهيةً ، عند ما

كنتِ تحفزين الى الطيران ، على متن الفجر الى مقرك الازلي

لقد تبعك جمالك التي المسني في رحلتك الأخيرة . فكنتِ ساحرة على الارض ، نقاة في السماء . وعيناك اللتان ألطفا فيهما نور الحياة ، كانتا تشعان باضواء الخلود . اني لا ذكرك وقد اطارت انفاس النسيم الحيية ، خصل شعرك الطويلة ، فتلاعبت بها ما شاءت ، ثم حطتها على صدرك العاجي ، ضفائر متموجة سوداء ، وجدائل أنوسية لماعة

وظلال ذلك البدر المبهم ، تخلي صورتك في فؤادي ، كما يحلو الفجر المنبثق ، عندما يطلق من أسدال الصبح الاخيرة

ان اشعة الشمس الساوية ، تقبل مع النهار ، وتدبر اذا ولى ، ولكن حبي ليس له ليل ، ولا يعتريه أفول . انتِ دائماً نيرة نضي ، وتضيئين روحي

فانتِ التي اراكِ واسمعكِ . سواء أكان في الفلاة او السحاب ، فياه الجداول العافية ، تعكس لي صورتكِ ، وانين النسيم يحمل اليّ صوتكِ

اذا غفت الارض ، وطرق يسعى تأوهات الريح ، تبادر الى ذهني ، اني اسمعكِ تسيرين في أذني ، كأنك العذبة المقدسة

كلما تأملت في تلك الشهب المنتشرة المؤشية ليلاً وجه السماء ، ظننتُ اني اراكِ في كل نجم يحسن في عيني

واذا ما اسكرني هبوب الهواء ، الحامل أريج الازهار ، يسرع اليّ ، اني استنشق انفاسك المعطرة ، في اطيب عبير يصل اليّ

ان يدكِ هي التي تكفكف دموعي . اذا ما استبرت عياي ، والتجأتُ فريداً حزيناً ، الى الهياكل المزينة لارفع صلواتي .

واذا ما غفا طرفي سهرتِ في الخفاء ، وظللتني بجناحيكِ ، مستندة بهما اليّ ، لتدفعي عني عاديات الاذى ، حتى اذا سرت الى رأسي احلام ، تطرقتِ اليّ منكِ ، فتكون لذيذة جميلة ، كنظرات الاشباح ، او تطلعات الظلال

اذا ما زان الكرى على جفني ، وحملتِ بيدكِ لمة ايامي ، اطير اليكِ لأسمو بين احضانك ، فانضمُّ الى شطر روحي السماوي ، دون فرقة ولا بعاد

فاذا ما اتحد روحانا ، كأنهما ضوآن من ضياء الفجر ، أو تهدان قد تمازجا ، حظيتُ بلقائكِ في دار الخلد ، حيث الراحة الابدية ، والهناء السرمدي ، ولكن ألّى لي ان افوز بأمنيتي العاجلة ، وعيني لم تزل تطرف ، وفمي يتنسم الحياة

القاهرة ترجمة : نصيف جورجي بقولاوس

التجارة عند الامم القديمة الى عهد العرب

بقلم عيسى اسكندر المعلوف صاحب مجلة (الآثار) ومؤلف تاريخ الاسر الشرقية القديم

تسمية التجارة وتعريفها

التجارة لفظة سامية قال اللغويون فيها : انهُ ليس في كلام العرب تاء اصلية بعدها جيم غير لفظ تجر ومشتقاتها وهي بمعنى البيع والشراء معاً. والفعل منها أتجر وتاجر واتجر فهو تاجر وهي تاجرة والصناعة التجارة . ومن معاني التاجر عندهم بائع الخمر والحاذق . والمتجر الاتجار وبضاعة التاجر ايضاً . وارض مُتَجَرَة يُتَّجر فيها واليها

ومن اسماء التاجر الاعجمية (القسطار) تعريب *Qaestor* (كوستور) الرومية وهو الخازن للاموال التي توزع على الجنود والموظفين وتأتي بمعنى (الصيرفي) ايضاً. و(القسطار) يونانيتها *Seatarius* بمعنى موظف بزنطي وهو في معانيه ايضاً عرَّبها العرب

اما اسم التجارة الافرنجي فهو عند الفرنسيين والانكليز *Commerce* من اللاتينية *Commercium* وهي مركبة من كلتين *Cam* بمعنى ضم وجمع و *Merx* بمعنى بضاعة . اي (جمع البضائع) ومنها اشتقاقها باللغات الاوربية

اما (حد التجارة) فافضله قول ابن خلدون فيلسوف العرب الاجتماعي وهو : «التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أياً ما كانت السلعة» وهو اشبه بحدها عند الافرنج اليوم . ولهُ في فلسفة التجارة مالا يجارى فيه وهو قولهُ :

« أن معنى التجارة تنمية المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها باكثر من ثمن الشراء اما بانتظار حوالة الاسواق او نقلها الى بلد هي فيه اتفق واغلى . او بيعها بالغلاء على الآجال وهذا الربح بالنسبة الى رأس المال يسير الا ان المال اذا كان كثيراً عظم الربح لان القليل في الكثير كثير . ثم لا بُدَّ في محاولة هذه التنمية من حصول هذا المال بايدي الباعة في شراء البضائع وبيعها ومعاملتهم في تقاضي اثمانها

«واهل الصَّفَة قليل فلا بُد من الغش والتطفيف المجحف بالبضائع ومن المطل في الاثمان المجحف بالربح . ومن الجحود والانكار والمحت لرأس المال فيعاني التاجر من ذلك احوالاً صعبة ولا يكاد يحصل على ذلك الثاني في الربح الا بعظم العناء والمشقة اولا يحصل ويتلاشى رأس ماله . فان كان جريئاً على الخصومة بصيراً بالحساب شديد المحاكة مقداماً

على الحكام كان ذلك اقرب لهُ الى النصفة بجرأته وتاحكته . والا فلابدَّ لهُ من جامٍ يدرع به يوقع لهُ الهيبة عند الباعة ويحمل الحكام على انصافهِ من معامليهِ فيحصل لهُ في ذلك النجحة في ماله طوعاً في الاول وكرهاً في الثاني

«واما من كان فاقداً للجرأة والاقدام من نفسه فاقد الجاه من الحكام فينبغي لهُ ان يجتنب الاحتراف بالتجارة لانهُ يعرض مالهُ للضياع والذهاب ويصيره مأكلةً لباعة لان الناس وخصوصاً الرعاع والباعة شرهون الى ما في ايدي سواهم متوثبون عليهم» انتهى

الاقوال في التجارة

لقد كثرت اقوال الناس منذ القديم في التجارة والاقتصاد والاثراء وهي نتيجة تجاربهم فمن ذلك قول سقراط الفيلسوف اليوناني : «لا تكون عنايتك بأن تكسب شيئاً كعنايتك بحسن استعمال ما تكسبهُ» . وقال افلاطون . «من كان غنيًّا فيقتصد ومن كان فقيراً فليُكدمن العمل» . ورأى غنيٌّ ورث مالاً كثيراً وضياعاً فاتلفها . فقال «رأيت الارض تبلع الناس وهذا الانسان يلع الارض»

ويقول المثل الاسباني : «من يقصد ان يثري بسنة واحدة يعلّق في المشنقة بعد ستة اشهر» . والمثل الروسي : «عند ما يتكلم المال يصمت الحق» . والمثل اليباني «من يبتاع مالاً يحتاج اليهِ يبيع ما يحتاج اليهِ» وعند عامتنا مثل بهذا المعنى نفسهِ . ويقول اليونانيون ايضاً في أمثالهم : «فكر بالحاجة عند الغنى . وفي الحاجة لا تطل نفسك بالغنى» . و«حيثما تكون الارباح فهناك الخسائر» و «تحصيل المال كالحفر بالابرة . اما انفاقهُ فكمثل تسرّب الماء في الرمل» . ويقول المثل التركي «من اشترى رخيصاً فقد اشترى غالياً . ومن اشترى غالياً لم يغشّ» . ومن امثال عامتنا بهذا المعنى قولهم : «يا مسترخص اللحم عند المرق تندم» وقولهم : «الرخيص غالي»

وقال شكسبير الانكليزي : «لا استدين ولا ادين فان الدَّين طريق للخراب» . وقال المركيز منزوز : «من لا يمرّض نفسهُ للربح والخسارة فهو جبان او صعلوك» . وقال السر لتون : «ان المال يولّد المال» وهو الذي وضع خمس قواعد لطلاّب الاثراء (اولها) الوقت (٢) الاقتصاد (٣) الترتيب في الانفاق (٤) الثبات على العمل (٥) الصدق في المعاملة . وقال فؤاد باشا العثماني : «كنتُ افضل أن اكون تاجراً لو قدرت ان لا اكون سياسياً» ولعامّتنا اقوال كثيرة منها قولهم : «تاجر بقرش تنسمى بالبلد تاجر وبالف قرش عند الناس لاتاجر» . و «التجارة، ربح وخسارة» و «من اشترى ما لا يحتاج اليهِ باع ما يحتاج اليهِ» و «اذا تاجرنا بالكفان (الاكفان) يبطّلو الناس يموتوا»

اسكلة التجارة

ان موقع بلادنا (سورية) الطبيعي واتصاله من جهة الغرب بالبحر المتوسط ومن الشرق ببادية سورية ومن الشمال بارض الاشوريين والكلدانيين ومن الجنوب بالبلاد العربية وما اليها جعلها مباءة للتجارة البرية والبحرية وسمي البحر الابيض المتوسط لتوسطه بين القارات الثلاث الكبرى آسية وافريقية واوربة . وفي بلادنا تلاقى هذه الطرق وتتعارض

وترى معظم اقسام بلادنا زراعية وكثيراً من مدنها صناعية فلا عجب اذا كانت التجارة قد اشتهرت فيها منذ القديم وعُرف ابناؤها في العالم باجتهادهم واسفارهم الشاقة الطويلة الى اقاصي القارات المعروفة في القديم والى قارة اميركا الجديدة في الحديث

ومن امعن النظر في كتابات نهر الكلب المحفورة في صخوره الضخمة قرب جونيه في لبنان وغيرها من الكتابات الداخلية والساحلية عرف كيف تصافحت الامم القديمة في ساحات بلادنا وكيف كان حسن موقعها داعياً لطموح الملوك اليها . فضلاً عما في جميع نواحيها من الكتابات والآثار والشواهد الدالة على عمرانها واتساع حضارتها وعظمة مجدها وكفى بما اكتشف اخيراً في جبيل والمشرفة (قرب حمص) وغيرهما برهاناً على صدق قولنا

ولا يخفى ان حسن موقع البلدان وثروتها ورواج اسواق التجارة فيها هي كلها من اهم عوامل التحاسد حتى الآن . بل هي من مسببات الحروب الدامية والوقائع المهلكة وشاهدنا قريب في الحرب الكبرى الاخيرة التي كان سببها التجارة ومضرم وطيسها التنافس في اكتساب الثروة وتوسيع نطاق الاثراء والكسب

ومن المعلوم ان الطبيعة كلما ساعدت الانسان بخصبها وجودة موقعها تكاسل وكلما قاومته وعادته نشط واجتهد فالناس الذين لم تكن موارد ارتزاقهم من الزراعة والصناعة موفورة تراهم مخروا البحار وذرعوا القفار وسهلوا الصعاب سعياً لكسب المال وتوفير الاثراء والذين كثرت مواردهم في القديم اكتفوا بها وان كان بعضهم اراد تنميتها فاتجروا وربحوا

فالفينيقيون سكان سواحلنا البحرية كانوا اول من نشر التجارة البرية والبحرية واقتفت آثارهم الامم كما سترى . على أن الامم المصرية وسكان العراق ومن اشبههم كانوا يكتفون بموارد زراعتهم الغنية لخصب اراضيهم والمشهور اليوم بين الاقتصاديين ان الامم التجارية هي التي تسنى لها ثلاثة اسباب (اولها) حسن موقعها الجغرافي براً وبحراً و (ثانيها) كثرة مناجمها الفحمية والمعدنية و (ثالثها) معاهداتها التجارية والاقتصادية مع الامم الاخرى . فعلى هذه الدعائم الثلاث ترتكز معقل التجارة الحصين مع سهولة المواصلات

كان السفر من لندن الى اوستراليا يستغرق سبعة اشهر ونصفاً فلما سارت القطارات

والسفن التجارية بينهما جعلت المسافة ٣٥ يوماً . وكانت المسافة بين الشرق الاقصى واوربة بضعة اشهر فصارت الآن ١٩ يوماً . وهذا كان قبل ان تجارت انطيارات في الهواء تقطع الآن ما بين سورية وبغداد بيوم كامل بعد ان كانت المسافة بينهما نحو شهر

وكانت السفن تسير في البحار بحركة الهواء فتتجه بحركة مهبّه الى الجهة التي تقصدها فاذا خالفتها الريح بقيت اياماً وشهوراً في عرض البحر تتوقع الفرج ولذلك قال شاعرنا العربي:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفنُ

ولابن جبير الرحالة العربي في وصف مرفأ عكا التجاري والرياح التي تهب عليه كلام علميٌّ بليغ. وقد صارت بواخر هذا العصر تقطع المسافات البحرية بدون عائق مهما اشتدت الريح وتعاظمت العواصف فلهذا تيسرت ذرائع التجارة في البحر والبر بتقريب المسافات وكثرة الطيارات وسرعة نقل الاخبار

التجارة قديمة عند الامم تولدت في الزراعة والصناعة كما مر وجاءت الآثار المكتشفة تثبت شؤونها وما تقلب عليها وتصف طرقها . فكانت للامم على اختلافها رموز واشارات وعلامات تدل على التجارة منها النسر الذي يحمل برجليه المفاتيح كما نراه في عتبة هيكل الشمس الميا في بعلبك وغيرها . ولا يخفى ان الامم القديمة ألهت الزراعة والصناعة فاتخذت لها محامين من الآلهة ومحطات من الهياكل متبرّكة بها متفائلة بنجاحها بواسطتها وكثيراً ما نذر لها التجار من ارباحهم ماينفق على تزيينها وتشييد هيا كلها مما لا تزال آثار بعلبك وتدمر وغيرهما من البلدان التجارية شاهدة به

كان اصل المبايعة قديماً بالمقايضة اي مبادلة متاع بآخر مما يحتاج اليه كل من البائع والشاري فيستبدل الواحد بالآخر . ثم تطوّرت التجارة بتطور الامم فكانت ترتقي بارتقائها وتحط بانحطاطها . وكانت طريق التجارة عند القدماء تسير في خطين (الاولى) في البحر الاحمر (القلزم) الى مصر والاسكندرية . و (الثاني) من خليج العجم فبادية الشام . فكانت محطتها البرية بترا ثم تدمر وقوافلها وعجلاتها تسير على طرق مرصوفة ذات محطات للاستراحة وقلاع للحصار والحفراء وكانت في تدمر ضريبة كبيرة على القوافل يتقاضاها وكلاء خاصون بها تشهد لها آثارها العظيمة وابنيتها الفخمة وهي لطبقات الخاصة من الاغنياء والتجار . واليكم الآن تاريخ التجارة عن اشهر الامم القديمة

تجارة الفينيقيين

كانت بلاد فلسطين التي ملكها الفينيقيون مدة ذات خصب في بعض انحائها فألهتهم عن التجارة الى ان تغلب عليها الاسرائيليون واختاروا منها ما كان كثير الريع وافر الحاصلات فاضطر الفينيقيون اذ ذاك الى الاتجار لان مدنهم الساحلية لم تكن كلها خصبة ولا متسعة

فقام سكان مدينة صور وما يتبعها من الولايات وسيروا سفنهم وقوافلهم للتجارة في ما وراء البحار في المدن والبلدان السحيقة . وهكذا قلّ عن سكان صيدا وما اليها وبقية المدن البحرية التي امتلكوها . وكانت مصانعهم ومعاملهم شهيرة فيها

فكانت صناعاتهم النفيسة تحملها السفن والقوافل الى البلدان تعود بحاصلات تلك الاقطار اما مبادلة واما بوزنات الذهب والفضة حتى ملأت السفن البحار والقوافل البرور. واخترعوا الكتابة وتسير السفن بالابرة المغناطيسية فعززوا بها التجارة وربطوا العالم بعضه ببعض

وذكرت مجلة المقتطف (٣٢ : ٧٧٠) ان رئيس فرع الجغرافية من مجمع تقدم العلوم البريطاني قال في كلامه عن (الجغرافية والتجارة) مظرتاً الفينيقيين : ان موقع مدنهم الجغرافي بين البحر المتوسط غرباً والعراق وخليج فارس او طريق الهند شرقاً جعل زمام التجارة في يدهم وصبّ عليهم مبازيب الثروة فان الذي يسهل عليهم ان يتاجروا بمصنوعاتهم يتيسر لهم صنع المصنوعات واتقانها . فجعل الفينيقيون ينسجون المنسوجات الرقيقة من الصوف والكتان ويصبغونها بالالوان الجميلة ويصنعون الآنية الزجاجية والمعدنية ويبثون بها الى البلدان القاصية حيث مواد الطعام كثيرة وجلبها بحراً سهل قليل النفقة

«ولم تنحصر فائدة التجارة في الفينيقيين بل شملت الامم التي اتجروا معها او تعلموا التجارة منهم كاليونان . الى ان قام الاسكندر المكدوني وحاول نزع تجارة الشرق من يد الفينيقيين فهدم مدينتهم صور وبنى الاسكندرية بدلاً منها لكي تتحول تجارة الشرق اليها فكان له ما عنى» انتهى — وذلك قبل الميلاد بثلاثة قرون فكان الفينيقيون محتكرين للتجارتين البرية والبحرية ومفاتيحها بايديهم الى عهد اليونان والرومان فكانت طرقهم في سورية الشمالية والوسطى وبادية الشام وتدمر الى الاقطار البعيدة برّاً وفي البحر المتوسط وغيره بحراً الى المرافئ السحيقة . وكان للتجارة الفينيقية في آسية ثلاث طرق . فالجنوبية منها كانت قوافلها تذرع الفلوات الى اليمن وحضرموت وعمان ناقلة اليها مصنوعاتها وحاصلات بلادها وحاملة منها الحجارة الكريمة والذهب والبخور واللبان والمر واللؤلؤ والعاج والابنوس . وتحمل الى مرافئ عدن بضائع الهند وصناعاتها . ومن اطراف اليمن بضائع الحبشة

والطريق الشرقية كانت قوافلها تنهب السهول الى جهات نينوى مارة بحماه وحلب ونصيبين فتتجر بآثار بلادها الزراعية والصناعية مع الاشوريين وتنقل الى بلادها حاصلاتهم وصناعاتهم مثل انسجة الكتان والقطن وحرير الصين والحجارة الكريمة . ولها طريق اخرى تمر فيها بتدمر وتسلك على الفرات الى بابل فتتجر مع الكلدانيين

والطريق الشمالية كانت الى ارمينية حتى بلاد الكرج والقوقاز والبحر الاسود وبحر

قزوين فتجلب منها الرقيق وآنية النحاس والخيل

اما الطريق البرية فكانت بالبحر او بضايق البر احياناً فتسير سفنهم الشراعية العظيمة في البحر الاحمر الى خليج العقبة والمحيط الهندي . وكانت الشركات التجارية بين حيرام ملك صور وسليمان ملك اسرائيل تجلب الذهب من اوفير كما ذكر سفر اخبار الايام الثاني من التوراة وكانت تجارتهم مع بلاد مصر مهمة حتى ذكر هيرودوتوس المؤرخ بان الفينيقيين وحدهم كانوا الناقلين لبضائع مصر وحاصلاتها الى جميع الاقطار

وكان لتجارتهم في اوربة طريقان ﴿ الاول ﴾ من جهة جزائر البحر المتوسط حيث كانت مواقف سفنهم التي مخروا بها البحار الى بلاد اليونان وصقلية وسردينية وكورسكه الى فرنسة وايطالية وكانت لهم محطة تجارية عظيمة في بحر ايجه واحتكروا الذهب من بعض مدنه و ﴿ الثاني ﴾ من جهة افريقية ومضيق جبل طارق او بحر الزقاق حيث عبروا من قرطاجنه التي استعمروها الى ترشيش (اسبانية) والبرتغال وبعض جزائر المحيط الاتلنتيكي وكان لتجارهم قوافل في تلك البلدان تطوي الارض الى داخلية جرمانية وفرنسة . قال حزقيال في الفصل الرابع والعشرين يصف تجارة صور : « جميع سفن البحر وملاحوها كانوا فيك لترويج سوعتك . ترشيش متجرة معك في كثرة كل غنى . وبالفضة والحديد والقصدير والرصاص اقامت اسواقك »

فكان التجار الفينيقيون يرافقون قوافلهم ويدرسون شؤون البلدان ويتخذون مخازن لهم في المدن الكثيرة التي تنقل اليها سفنهم وقوافلهم بضائعهم وصناعاتهم فيستبدلونها ويقايضون بها ويرسلون بضائع ومصنوعات تلك البلدان الى بلادهم واهم مصنوعات الفينيقيين الارجوان او البرفير الذي كانت تتخذ منهُ اردية الملوك وكانوا قد تفردوا بعمله في معامل صور وصيدا وردوس وقبرص وبلاد الموره في الارخبيل . والزجاج في مصانع صرفند وصيدا . والاواني الخزفية والمعدنية ولاسيما الصفر والشبه . والحاصلات كالزيت والتمر والموز والحنطة . ومما كانوا يستجلبونهُ من اسبانية وانكلترة الذهب والفضة والحديد والقصدير والزفت حتى ان ارسطو الفيلسوف اليوناني قال يصف ثروتهم التجارية : (ان الفينيقيين استبدلوا بزيتهم فضة ترشيش ولما ضاقت سفنهم عن شحنها صاغوا منها ادواتهم وآنيتهم حتى مراسي سفنهم (الاناجر) » وقال ليرمان الفرنسي : كانت مصر واشور مبعث التمدن المادي وكانت فينيقية سفيرته التي نشرتهُ في العالم »

وقد كتم الفينيقيون طرق البحر عن غيرهم فاحتكروا التجارة احقاباً طويلة واكتشفوا صنائع الامم واقاموا الاسواق للبيع والشراء ونمت شهرتهم التجارية في القرن الرابع عشر قبل الميلاد

الشاعر الاسباني فيلاسباسا
الذي ينحدر من أصل عربي

مقتطف نوفمبر ١٩٢٩
أمام الصفحة ٤٠٩

وداعاً يا رفيقي القديم

تصوير متانيا

مقتطف نوفمبر ١٩٢٩

أمام الصفحة ٤٠٥

شعر الثورة

وداعاً يا رفيقي القديم

Good-bye, Old Man

الرسم للفنان ف . ماتانيا (*F. Matania*) في خلال الحرب العالمية

هَوَى جاثداً بالرُّوح في ساحةِ الوَغَى ... جَوَادٌ لَهُ مِنْ خِلَّتِهِ حُبُّهُ الأَسْنَى
هَوَى مِنْ شَظَايَا حِينَما جَرَّ خَلْفَهُ ... الى الحَصْدِ ذاكَ المِدفَعَ الرَّائِعَ الضَّخْما
فَجَرَّرَهُ مِنْ جُلِّهِ[1] ولجامِهِ ... لِمَيِّتِهِ مَنْ كانَ يَحْرِسُهُ دَوْمَا !
جَثَا جَنْبَهُ مِنْ صَدْمَةِ الحُزْنِ باكِياً ... يُقَبِّلُ رَأْساً وهو يُشْبِعُهُ ضَمَّا
تَدَفَّقَ مِنْهُ ذلكَ الدَّمُ مِثْلَما ... تَدَفَّقَ مِنْ باكِيهِ حُبٌّ لَهُ أَعْمَى
بَكَى وَرَثَى والصَّحْبُ ماضُونَ هُلَّعٌ ... وضابِطُهُ يَدعُو فيوسِعُهُ صَرْمَا[2] !
وفي قُرْبِهِ وَقْعُ القَنابِلِ ناشِرٌ ... خَراباً فَأَبْلَى وإنْ هَدَمَتْ هَدْمَا
أَحَسَّ بِنُعْمٍ في مَبِيتِهِ خِلِّهِ ... كَأَنْ لَمْ يَذُقْ مِنْ قَبْلِ مِنْتَهِهِ اليُتْمَا !
وقد شَعَرَ الطَّرْفُ[3] الذي كانَ كُلَّهُ ... وَفَاءً إلى مَنْ لَمْ يَكُنْ وافِياً رَغْمَا
ويارُبَّ للأَرْواحِ حِسٌّ مُوَحَّدٌ ... مِنَ الفَهْمِ بِما يَخْتَلِفُ حالُها جِسْما !
وقد يَقبلُ المَيْتُ العزيزَ عَزَاءَهُ ... قَرِيراً، ويُنْبِي صَوْتُهُ رُوحَهُ فَهْما!
ومَنْ كانَ هذا حُبُّهُ وشُعُورُهُ ... فهل ذاقَ للسُّلْوانِ عن خِلِّهِ طَعْمَا ؟

***

عَجِبْتُ لإنسانٍ عظيمٍ بِحُبِّهِ ... وفي جَنْبِهِ قَلْبٌ الى شَرَفٍ يَظْمَا
فلم يَنْسَ حتى في المَخاطِرِ هكذا ... جَوَاداً، وعَدَّ البُعْدَ عن موتِهِ وَصْما
ولكنَّهُ هيهاتَ يَعْرِفُ رَحْمَةً ... إذا سألَ الانسانُ مِنْ عَطْفِهِ السِّلْما
يُوَزِّعُ أُمَّ الحُبِّ في كُلِّ مَنْهَجٍ ... ويعطي أَخاهُ الحَرْبَ والنِّكْةَ العُظْمَى!

ابو شادي

(١) الجل ما يلبسه الفرس ليصان به (٢) صرما : قطيعة (٣) شعر البصر بمعنى شخص عند الموت ، اشارة الى نظرة الجواد وهو يجود بروحه

شاعر اسباني كبير

يتفاخر بنسبه العربي

وهل تعجب ؟ حق لك العجب . عنوان غريب . في عصر غريب . عريقه يتبرأ من عروبته ويتنكف من نسبه ، فكيف بالغريب عنا بلغته ومحيطه ، وعاداته وميوله

شاعر اسباني نابغة ، يتغنى بمجد العرب ، ويكيم في شعره وخطبه وأحاديثه ، متفاخراً بالتحدر من صلبهم ، والانتماء الى صميمهم . هو الشاعر فيلا سانا ! كبر شعراء اسبانيا ، ورئيس ندوة الشعر فيها ، وصاحب ما ينيف على المائة والخمسين مؤلفاً ما بين شعر ونثر

تعرفت اليه في الايام الاخيرة لوجوده في الحاضرة سان باولو ، فاذا بي أمام روح ونابة هي روح الشاعر ، وذهن متوقد مبتدع هو ذهن النابغة ، وقلب أنوف كبير هو قلب العربي . واليك عنه كلمة موجزة كنابغة وشاعر ، وبحثاً مستفيضاً كعربي . وما تخيرت التبسط في عروبته إلا لأبين صلته بها ، واسباب حمايته لها ، وقد استقيت منه ما تراه في هذا الصدد من افادات تاريخية ، هي على ما أعلم حلقة ناقصة في تاريخنا العربي بعد سقوط غرناطة وتضعضع أمر العرب في الاندلس

النابغة

لايقاس النبوغ في الادب بوفرة الانتاج فحسب ، وانما يضاف اليها الاجادة في المبنى ، والتحليق في المعنى ، وفيلا سانا جمع بين الصفتين ، امتيازه بكثرة مؤلفاته ، وتفوقه بجودة كتاباته ، فهو مكثر ومجيد معاً

مؤلفاته المطبوعة مائة وثلاثة عشر كتاباً ، منها خمسة وسبعون ديواناً شعرياً ، واربع وعشرون رواية تمثيلية شعرية ، واربعة عشر مؤلفاً نثريًا . وله الآن خمسة واربعون مؤلفاً ، منها خمسة وعشرون ديواناً شعرياً ، وسبع عشرة رواية تمثيلية شعرية ، وقصتان نثريتان ، ومؤلف يستغرق عشرين مجلداً في وصف سياحته الى اميركا ، وهذه كلها مائلة للطبع

اول كتاب طبعهُ هو ديوان شعر بعنوان « خصوصيات » والشاعر لا يتجاوز اذ ذاك الثامنة عشرة من سنيه ، وبين مؤلفاته جانب كبير موضوعهُ عربي ، فمن رواياته التمثيلية الشعرية « قصر اللؤلؤ » وهي رواية جرت حوادثها في غرناطة على عهد ابن

الاحمر ، ورواية « ابن امية » تناول فيها ما حدث لبقايا العرب بعد سبعين عاماً من سقوط غرناطة ، ورواية « في البادية » وهي رواية حدثت وقائعها في الصحراء وصف بها إباء العرب وما للضيافة عندهم من حقوق وله رواية اخرى ماتعة للطبع هي « زفرة المقربي » عنى بها زفرة ابي عبد الله آخر سلاطين العرب في الاندلس ، وبكاءه يوم ودّع غرناطة من أعالي جبل بادول المشرف على حاضرة ملكه وقد قالت له امه عائشة :

«إبك مثل النساء ملكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال »

وهذه الحادثة هي موضوع روايتي التمثيلية ابن حامد او سقوط غرناطة التي وضعتها منذ نيف وعشرسنوات ولم تطبع بعد

ومن دواوينه الشعرية ذات الموضوعات العربية ديوان « فتون الحمراء » و« ليالي جنة العريف » و« الاندلس » و« دفوف أشبيلية » و« قفير النحل الذهبي » و« باحة الاريج »(١) و« عاشق ليندا راخا » . ومن رواياته القصصية النثرية « انتقام عائشة » و « عبد الرحمن الاخير » و « نخيل الواحات » و « مخالب الغهد » و « برج الاسيرة »

وأروع ما انتجت قريحته روايتا « قصر اللؤلؤ » و« ابن امية » وكلتاهما عن العرب

فاذا عددت مؤلفاته بلغت مائة وثمانية وخمسين مؤلفاً بين منشور ومطويّ ، ومنظوم ومنثور ، وهي لعمري مكتبة كبيرة خلقها دماغ واحد في حياة لا تتجاوز الخامسة والخمسين عاماً . فيا لك من حياة قيّمة ، لو حسبت ساعاتها ، لكادت تكون كل ساعة فيها صفحة من النثر او قصيدة من الشعر

الشاعر

قرأت لفيلا ساسا ديواناً شعريًّا في موضوعات شتى ، ورواية تمثيلية شعرية هي « قصر اللؤلؤ » . ما انا من المتضلعين من اللغة الاسبانية ، ولكنني تعمقت جد التعمق في تفهم ما قرأته لأسبر روح هذا الشاعر الكبير . أما الحكم على مبانيه فأدع القول الفصل فيه للنقاد وهم يضعون مؤلفاته في مقام سام لبلاغة جملها وجودة تعابيرها وحسن لفتها

اما المعاني فاذا كانت بلاغتها في ايجازها وهي لكذلك فالشاعر محلّق في فضاء فسيح من الخيال ضمن دائرة ضيقة بليغة من الجمل

يتلاعب بعواطفك على هواه ، فتشعر بروحه سرت في روحك ، تحبه هازجاً ونادباً ، باسماً وباكياً ، راضياً وغاضباً ، يحدثك عن عاطفة فتكاد تلمسها يدك ، ويصوّر لك منظراً فتكاد تراه بعينك ، ويصف لك خبراً فتكاد تسمعه بأذنك

(١) لعلها تشير الى الباحة في قصر الحمراء التي كانت تعرف « بباحة الريحان »

بينما تماشيه على ضفة جدول هادئ ، اذا بك معه على شاطئ بحر ثائر ، وبينما انت بقربه على اديم الارض ، اذا به يشب بك الى قلب الفضاء

« قصر اللؤلؤ » مأساة من التاريخ العربي في غرناطة ، ترى فيها كل ما في مزايا العرب من إباء وشجاعة وكرم ، كما تلمس بها الحب العربي مختلجاً فتاقاً فتقياً ، كل ذلك في قالب من الشعر البليغ الخلاب . تبدأ بقراءتها فتحسب انها كباقي ما وضع الغربيون عن العرب من الروايات ، اسماء عربية لاغير ، خالية من أثر الروح العربية فيها ، ولكنك تشعر بخطأك عند اول صفحة تقلبها فيخيل اليك ان المؤلف عربي والشاعر مترجم

في حياة ابطال الرواية واحاديثهم روح عربية صميمة تتدفق بين السطور ، فكأنك ترشف عصير الخيال العربي في كاس صافية برّاقة من اللغة الاسبانية

تسمع ابن الاحمر سلطان غرناطة يقول للشاعر العربي الذي انشد قصيدته بين يديه : « أشرف تاج على رأس الملك هو الشعر ، ولو كان لقصيدتك ثمن وكنتُ ملك العالم لأعطيتك بكل بيت منها مدينة كغرناطة ، ولكن خزينتي لا تكفي ثمناً لها ، » فتعلم ان الشاعر عنيّ بدرس نفسية العرب وأحاط بمناحي طباعهم ، ومثل ذلك في روايته كثير

والشاعر سامي الخيال بعيد غور التصور تلاحظ ذلك في شعره وتلاحظهُ ايضاً في وصفه ، يشغل احياناً صفحة كاملة من روايته ليصف لك كيفية ترتيب الناظر على المسرح فيصوّر لك السقوف والمقاعد والجدران ، وما عليها من نقوش وسجوف وسلاح ، فتجد مؤلفه كاملاً بكل دقائقه مما يدل على تعمقه في درس التاريخ العربي وآثار العرب ، واطلاعه على عاداتهم وحياتهم في الاندلس

وهو سريع الخاطر طويل النفس ، لا توقف مجرى افكاره ضوضاء ، ينظم وصخاره يهزجون من حوله واثبين لاعبين . وهو يكثر التدخين ، ولا يهتم كثيراً بالطعام ، وقد يتقضى الليل وهو مكبٌّ على النظم دون ان يفكر بمشائه

وانه لمعجب شديد الاعجاب بالشعر العربي ، وقد طلب مني شيئاً من شعري فقدمت له نسخة من قصيدتي « شاعر في طيارة[1] » المترجمة الى البور تغالية

وكان طريح الفراش فذهبت لعيادته في اليوم الثاني فقال لي : اجلس واسمع

واذا به يتلو عليّ بالشعر الاسباني اربعة اناشيد من تلك القصيدة مترجمة في اكثر من مائة وخمسين بيتاً . فمن هذا تعرف مبلغ تدفقه ، وقوة عارضته وشدة هيامه بالشعر

(١) — « المقتطف » ستنشرها في عدد تالٍ ليطلع عليها القراء

عن ترجمة الشاعر

غرناطة ، آواه غرناطة ! لم يبق شيء لك من صولتك !
هل نهرك الجاري سوى ادمع تجري على ما دال من دولتك ؟
والنسمة الغادية الرائحه
هل هي الا زفرة نائحه ؟
ما عدت في النهر كسلطانة جبهتها في مائه ساطعه
للقبة الحمراء في تاجها وهج ، وللمأذنة اللامعه
آه على امجادك الغائمه
شيعتها بالنظرة الناعمه !
مرت مرور النهر من جمرة واورثتك النوح في عزلتك
غرناطة ! ، اواه غرناطة ! لم يبق شيء لك من صولتك !

***

لله حمراؤك ، نحس الاسى وحيدة في الروضة الخاليه !
لم يبق لا زهوة ندمانها ولا صدى اعيادها الماضيه
ولم يعد للحب فيها أنين
ينقله العود عن العاشقين
بينا بجيل البدر الحاظه باهتة في المرمر اللامع
بين أريج الزهر المنتشي وبين شدو البلبل الناجع
وقصرها الخاوي بارجائه
كم غمر الليل بضوضائه !
اذ الجواري خاطرات على سجاده جارية جاريه
اروع ما في الشرق من رقصه تنسجه اقدامها العاريه

***

غرناطة ، اواه غرناطة ! ما انت الا خربة قابعه !
تحمل اسراب السنونو الى افريقيا أنباءك الفاجعه
هناك ابناؤك من بأسهم
يأكون ، لا يأكون من بأسهم

عرّوا من الاغماد بيض انظبي ووشحوا الخيل ببيض السروج
ويمموا البحر فما بدت منك على الافق جبال الثلوج
خرّوا على وجوههم راكعين
وزفروا من قهرهم صارخين :
« غرناطة ، اواه غرناطة ! صمتِ فيا للعظم الفائته » !
فيزفر الموج ويبكي لهم حين يرى أعينهم دامعه !

***

هذه مقطوعات من قصيدة فيلا سباسا في البكاء على غرناطة ترجمتها لابناء العرب، وهي لسري قطعٌ من قلبه وقطراتٌ من روحه . ألقاها يوماً على مسمعي في غرفته، فاذا بالدموع تترقرق في عينيه وهو يلقيها، وما انتهى منها حتى خيّم علينا صمتٌ عميقٌ حافلٌ بمرارة الذكرى ، وثورة الاسى . هي من أروع قصائده وهو مغرمٌ بها يتلوها بصوته الجهوري والقائه الممتاز في أكثر الحفلات التي تقام لاكرامه ، فتنتقل روحهُ بك مع معانيه من الاسى الى التفاخر، ومن الحماسة الى البكاء

أفلا تشعر وانت تقرأها او تسمعها انك امام عربي صميم ، يغلي دم العرب في عروقه فيثور متأوهاً على عز اجداده ؟ اوَلا تخيل آخر بني سراج بطل رواية شاتوبريان ، ساجداً بين جدران الحمراء يقبل احجارها ويبللها بدموعه

ما جلست اليه مرة الا شعرت انني مع رجل تربطني به فضلاً عن صلة الادب صلة اخرى هي صلة الميول والمشارب

يحدثك بهجته الهادئة الشعرية في شتى المواضيع ، ولكنهُ عندما يذكر العرب وامجادهم يتغير فجأة فتحسُّ بالحماسة تملأ جوارحه وتملك مشاعره ، وإن انس لا أنس مجلساً كان فيه معنا خليط من الادباء الوطنيين والاجانب فجثا على ذكر غرناطة وحمرائها، فاذا ببريق يتألق في عيني الشاعر تحول في فيه الى كلمات اخذ يصف بها جمال الحمراء وجلالها بأسلوب شعري خلاب تناول مشهدها عند مطلع الفجر والشمس تدرج من خدرها فتلقي على قبابها وباحاتها فتوناً ساحراً . ثم انتقل الى عظمة الفن في بنائها فرسم لنا منها صورة تعجز عن رسمها ريشة اعظم المصورين ، واذا به يتحول الى ما على الجدران من المقطعات الشعرية العربية التي نظمها ابن زمرك الاندلسي كاتب وخليفة لسان الدين الخطيب وهو يروي ترجمتها باعجاب وتفاخر

وكنا سكوتاً من حوله ترتشف وصفه ارتشافاً ، وتلتهم كلماته التهاماً ، تصغي اليه فتسمع نبضة قلب عربي تحت ذلك الثوب الغربي

ولا يتبادرنَّ الى الاذهان ان الشاعر يتكلم عن العرب بهذه الحماسة امام ابناء الضاد فحسب ، كلاَّ فهو في مجالسه ومحاضراته وقصائده يشيد بذكرهم ويتغنى بحضارتهم غير موجس من لومة لائم ، أو تهجم مكابر ، ومن رافق حياته في هذه الحاضرة وغيرها من البلاد التي زارها تحقق بنفسه ما تحققته . وعندما قدمت له رسمي وهممت بكتابة كلمة التقدمة باللغة البورتغالية التي يفهمها ، أبى عليَّ إلا كتابتها باللغة العربية التي يحبها

وقد روى لي احد مرافقيه انه حبذ للعرب بلغ به مرة في مدريد الى التنقل في شوارعها الكبرى وهو مرتدٍ بالملابس العربية . وقد اخبرني انهُ لدى وصوله الى اسبانيا سيسعى بكل جهده لتحقيق فكرة جميلة أوحى بها الصديق النابغة الاستاذ حبيب اسطفان وهي انشاء جامعة عربية كبرى في غرناطة لتدريس كل ما هو عربي من لغة وأدب وتاريخ

اسرة الشاعر وصلتها بالعرب

ما تقاص ظل العرب عن الاندلس ، وسقطت غرناطة وهي آخر معقل بقي لهم ، حتى تفرَّق شمل المسلمين ، وتضعضع امرهم ، فنزح فريق منهم الى افريقيا وفي مقدمته الملك ابو عبد الله آخر ملوكهم ، وبقي فريق في اسبانيا محافظاً على اسلامه ، متعرضاً لاضطهاد الغالبين ، وتنصر فريق آخر هرباً من الاضطهاد ، او تقرباً من اولي الامر

ومن الفريق المتنصر نبيل عربي متحدر من السلالة الاموية يدعى محمداً بن امية وقد دعي بعد تنصره الدُنْ انطونيو مولاي دي قرطبة وڤالور

وكان اباً لثلاثة اولاد ، فرتدو ومارتين ولويس ، وكان الدُن فرتندو وهو وارث لقب الاسرة فتى حر الخلال محبوباً وقد انتخب في مجلس نبلاء غرناطة الاربعة والعشرين في عام ١٥٦٥ أي بعد سبعين عاماً من سقوط غرناطة ، دخل فرتندو — وهو في الثانية والعشرين من سنيه — الى مجلس النبلاء وخنجرهُ في منطقته ، وكانت العادة ان يترك النبلاء سلاحهم عند مدخل المجلس ، وقد ترك الدُن فرتندو حسامه هناك ولكنه أبقى خنجره ، فلم يرق ذلك في عين الدُنْ بدرو داسا رئيس المجلس فوبخهُ بلهجة قاسية على فما اقدم العربي في عروقه فأجابهُ :

— اني لادخلنَّ الى المجلس كما اشاء ، فانا سليل ملوك أمية ، وقد كان لاجدادي في هذه الديار سلطة الامر والنهي ، وعزة العرش والتاج

فما كان من رئيس المجلس إلا ان اغلظ له القول ونسبهُ الى امة البرابرة فكبر ذلك على الدُن فرتندو وعجم كالثور الهائج فصفعهُ ، حتى اذا ثار ثائر النبلاء وقاموا عليهِ ، جرد خنجره في وجوههم ، واخذ يتقهقر وهم لا يجسرون على التقدم منهُ حتى بلغ الباب فتناول حسامهُ وسار نوًّا الى حي انيازين الآهل اذ ذاك بالعيال العربية

وما هي ليلة وضحاها حتى انضمَّ الى الدُن فرتندو فريق كبير من رجال ذلك الحي الثائرين على الاسبانيين ، فجرد منهم حملة سار بها الى جبال البشرات الواقعة بين غرناطة ومرسية . وفوق هذه الجبال الآهلة ببقايا العرب وجلهم ممن هربوا من الاضطهاد واعتصموا بالكهوف فوق قنن الصخور ، اعلن الدُن فرتندو الثورة على الدولة الاسبانية الناشئة ، ونادى بنفسهِ ملكاً ، فشى تحت لوائهِ جيش عربي لا يستهان بهِ تأجج في صدور افراده نار الحقد على نازعي ملكهم ومقوضي مجدهم والذين بالغوا في الكناية بهم بكل نوع من انواع العسف والارهاق

واول بوادر تلك الثورة مذبحة قام بها المسلمون ، فلم يبقوا على احد من المسيحيين الاسبانيين القاطنين بينهم وفي جوارهم ، وكان ذلك ليلة عيد الميلاد

فجردت السلطة اول حملة عليهم بقيادة المركيز دي لوس ڤيليس فدحروها ، وتلتها حملة ثانية بقيادة المركيز دي موندیخار فلم تقوَ عليهم ، ولما رأى الملك فيليب الثاني استفحال الامر استدعى الجيش الاسباني المقيم في نابولي وسلم قيادتهُ الى اخيهِ الدون خوان دي اوستريا ، فزحف هذا عليهم بجيش جرار كان الفشل نصيبهِ ايضاً ، وكان من قواد هذه الحملة الضابط فيلاسانا (جد الشاعر لايه) ولكن الاقدار شاءت ان تشدَّ ازر الاسبانيين فوقعت الفتنة بين صفوف العرب ، واضعفت شوكتهم

فقد كان للدُن فرتندو العربي القائم بشؤون المسلمين ابن عم يدعى « ابن اميه » ما زال طامحاً الى ان يكون هو القابض على صولجان العرب والمجدد للخلافة المروانية حتى حدثت بينهُ وبين الدُن فرتندو منافرة سببها المرأة ، فاغرى احدى جواري ابن عمهِ على قتله وهو نائم وذلك بوضعها كمامة على فمهِ وعنقهِ وتسهيلها دخول ابن عمهِ ورفيقهِ يدعى ابن « الوزير » ففتكا بهِ في قصره في « الاوجار » بعد ان ملك نحو ثلاث سنوات . فانتهى الملك بعد موت الدُن فرتندو الى « ابن اميه »

فاستأنف القتال ولكن الاسبانيين اغروا بعض رجاله بالمال فغدروا بهِ في مغارة برشولس وقتلوه طعناً بالخناجر . فتفرقت كلمة الثوار وتضعضعت قوتهم فتمكن الاسبانيون منهم بعد حرب سجال دامت اربع سنوات

وقد اعتقلوا والد الدُّن فرتندو في مدريد عند انتقاض ابنهِ ، ولكن الملك عفا عنهُ وعن اولاده بعد موت الدُّن فرتندو وذلك بوساطة الدوق دي ميسا حفيد القائد الاكبر فتدشلف جوزلف دي قرطبة وصديق الاسرة القديم فرجع لقب الاسرة الى الاخ الثاني الدُّن مارتين ولكن هذا باع لاخيهِ الثالث الدون لويس كل عقاراتهِ فصار لقبهُ الدون لويس دي اينيسا وغواروس ولا تزال من سلالتهِ الى الآن في اسبانيا اسرة المركيز دي اينيسا وهي من الأسر الاسبانية العريقة ، أما لقب الدون مارتين الاخ الثاني فأصبح مارتين دي ڤالور فقط وهو اسم عائلة والدة الشاعر الاسباني الذي نحن بصدد الكلام عليهِ

أما والد الشاعر فهو متحدر من سلالة الضابط فيلا سباسا الذي قدم مع الحملة الاسبانية من ايطاليا وحارب الدون فرتندو كما سبقت الاشارة

ومن غرائب الصدف أن يقترن بعد أربعة قرون سليلا عدوين لدودين فينتج من ذلك ظهور شاعر كبير تفاخر بهِ بلادهِ ويفاخر هو بنسبهِ العربي ويبكي على امجاد العرب الضائعة

اما ولادة الشاعر فكانت في الاوجار في نفس المنزل الذي قتل فيهِ الدون فرتندو جدُّهُ الاكبر العربي الاسلامي

***

وكانت والدتهُ لا تزال محافظة على الغطاء الذي قتل عليهِ الدون وهو من الدمقس أخضر اللون منسوج بالفضة ولكن الشاعر ارتداهُ مرة في اعياد المرافع وكان في الرابعة عشرة من عمره فرآه رجل بلجيكي لحظ قيمتهُ فعرض عليهِ بيعهُ منهُ فأبى ولكن الحاح الرجل دفع الشاعر الى اعطائهِ ذلك الاثر النفيس بلا مقابل فافتقدتهُ العائلة ولم يبق منهُ سوى قطعة صغيرة لا تزال محفوظة الى الآن

وقد أوحت حادثة الدون فرتندو الى الشاعر مأساتهُ التمثيلية الخالدة « ابن امية » وهي تحفة من تحف الادب الاسباني وصف بها تلك الوقائع باسلوبهِ الشعري العالي وبكى بها العرب ما آثرهم ما شاء له البكاء ، وقد مرَّ بك منها في هذا المقال قطع من قصيدتهِ التي يندب بها غرناطة ، وهي من شعره الكثير الذي تتداوله ألسن الرواة في كل بقعة ينطق أهلها بلغة الاسبان

« مجلة الشرق » البرازيل فوزي معلوف

أعداء العلم

خلاصة الخطبة النفيسة التي القاها الاستاذ الدكتور هل *A. V. Hill*
لذكرى الاستاذ ستيفن بايجت من زعماء البحث العلمي الطبي بانكلترا

التهجم والافتراء والتعصب والهدم حدٌّ يجب ان لا تتعداهُ . انا لست موكلاً من قبل الاطباء للدفاع عنهم . لاني اعرف ان للاطباء كما لسائر الناس نقائصهم . واعتقد ان الامتيازات التي يتمتعون بها تحملهم احياناً على التمسُّك بآرائهم الى حدّ التعصب وتقديم مصالحهم على المقاصد العليا . واصارحهم بذلك فلا يزيدونني الاّ ولاءً واحتراماً . وهذا فضل كبير لهم ولعلَّ سببه عدم اكتراثهم لاقوالي اعلى ان شعور الامتنان لهم ليس الباعث على وقوفي بينكم خطيباً حاملاً لواءهم مدافعاً عنهم . بل هي الضرورة القصوى تحملني على ذلك

اذا حمل كاهن مسؤول عن اقوالهِ وافعالهِ حملة شعواء على العمل الانساني المفيد الذي يقوم بهِ مجلس البحث الطبي — واذا ادعى رجل من رجال الطب المحترمين ان استعمال الراديوم في معالجة السرطان خدعة كبيرة لانهُ تحقق ذلك بنفسهِ منذ اربعين سنة اي قبل الكشف عن الراديوم بتسع سنوات! — واذا قام دعاة يضرعون الى الجمهور ويحاولون اقناعهُ بشتى الاساليب بالكف عن بذل المال للمستشفيات لان هذا المال انما يستعمل في تعذيب الارانب والقطط وحتازير الهند — واذا قامت طائفة من الناس ترمي بسوء المظنة البحث عن الحقيقة لاستخدامها في تخفيف الآلام وبرئها وهو اعظم المباحث البشرية على الاطلاق — اذا حدث كل ذلك فقد آن الاوان لرد هذا الهجوم بهجوم مثلهِ

ولو ان ستيفن بايجت الذي اجتمعنا باسمهِ الآن اطلع على موضوع هذه الخطبة لكان وافق عليهِ . ان روحهُ التي تميل الى الكفاح وقلبهُ الكبير الذي يتسع لاشرف العواطف وانبلها كانا يحملانهِ على مناجزة الذين يحاولون ان يقفوا سدًّا حائلاً دون تقدم البرهان ليحموا هم بما يشعرون بهِ من تفوّق حكمهم وصلاحهم على غيرهم من الناس . ولست اقصد اليوم الى تناول موقف المقاومين لتشريح الحيوانات الحيّة في معامل البحث الطبي وحدهم لان موقفهم الفكري هذا ليس الاّ ظاهرة عامة ، او هو مظهر من مظاهر الخلل العقلي ، رأيناها تبدو في كل عصور التاريخ في اشكال قبيحة متعددة — قسوةً واضطهاداً، حقداً وبغضاً وافتراءً وخيانة للجنس البشري وهو يحاول ان ينهض ويسدّد خطواتهِ ببطء في توقله سلم العمران

انتشار البطيء

قلَّ من الناس من يدرك حقائق النشوء الانساني البطيء كلَّ البطء . واكثرهم يميل الى تصوّر آدم هابطاً على الارض منذ بضعة آلاف من السنين كائناً كامل الرجولة كامل التعليم حائزاً لقلب في علم الحيوان من جنة عدن آخذاً على عاتقه تسمية الكائنات الحية التي خلقها الله وتبويبها. وقلَّ من يدرك — وفي بعض الدوائر الفكرية يحسبون هذا الادراك الحاداً — ان الانسان ارتقى ارتقاءً بطيئاً استغرق خمسمائة الف من السنين جارياً على خطة التجربة والامتحان نابذاً ما كان يراه خطأً او ضاراً بعد تجربته مستبقياً ما كان يرى فيه نفعاً محققاً. وكان من اثر فعل الحياة في الكائنات الحيَّة الذي انقضى عليه الوف الوف السنين ان نشأت حيوانات ونباتات مختلفة الاشكال متعددة الصور والصفات لتفي بمطالب الحياة التي لا تحول . وهي النمو والتجديد والتناسل . اخيراً ظهر نوع جديد من الحيوان هو سلف الانسان المتغلغل في القدم وفي تركيبه كل الاصول التي تمكنه من النشوء والارتقاء والتحضر

وضع الاستاذ روبنصن المؤرخ المشهور رسالة عنوانها « الحضارة » لتنشر في الطبعة الجديدة من دائرة المعارف البريطانية الجديدة شبَّه فيها ارتقاء الانسان تشبيهاً جديداً يسترعي الانظار. قال اذا حصرنا نصف الالف الالف من السنين التي قضاها الانسان متوقلاً سلَّم الارتقاء في مدى حياة انسان واحد قلهي خمسون سنة ، وجدنا على هذا القياس ان الانسان قد قضى تسعاً واربعين سنة قبلما خرج من حياة التنقل والصيد والقنص وعاداتها وتقاليدها الى حياة الزراعة المستقرة وقطن القرى وما يسير في اثرها من اساليب المعيشة. وعلى هذا القياس يكون قد قضى سنة اشهر من السنة الخمسين قبل اكتشافه للكتابة. وشهرين آخرين قبلما قام اليونان الاقدمون وخلفوا آثارهم ومدوناتهم . وفي منتصف الشهر التاسع نشأت المسيحية . اما الطباعة فلم تستنبط على هذا القياس الا منذ خمسة عشر يوماً واما البخار فلم يكتشف عن قوته وسرها الا منذ اسبوع . واما السيارات فلم تصنع الا من يوم واحد والاسلكي الا منذ بضع ساعات . فما هو مصير الانسان وهو سالك هذه الطريق طريق الارتقاء ؟ ما هي اساليب التقدم وهل هي ثابتة لا تتغير ؟ وهل لنا بدٌّ في تحويلها والتأثير فيها كما نشاء ؟ وهل تلقى علينا تبعة ما في ذلك ؟

المعرفة اساس العمران

بين ظهرانينا اناس يريدون السامي على اقرانهم فيتظاهرون باحتقار درجة الحضارة التي بلغناها ومدى النظام الاجتماعي الذي انتهينا اليه. ويطلبون الينا ان نهمل العناية بالبحث العلمي والارتقاء الهندسي والصناعي لانها غير جديرة بمطالب الانسان الروحية . هؤلاء المتكبرون

المتظاهرون بانسمو والعظمة يسدون الى العمران يداً جليلة، لاتأتي عن طريق ما يدعونهُ من الآراء او يستنبطونهُ من الآلات ولكنها تأتي عن طريق النقد اللاذع الذي يوجهونهُ الى اساليب العمران لان كل عمل جليل لابدَّ ان يجبي فائدتهُ من نقد الناقدين

انا لا اريد ان اقيم من « الارتقاء » آلهاً كاذباً ادعو الى عبادته . ولكني اعرف طائفة كبيرة من المفكرين العقلاء الذين لا يؤمنون بالسحر ولا بتحتم الارتقاء ومع ذلك يرون في ما تي الانسان العمرانية التي لم نفز بها الا بعد جهاد طويل يتخلله البحث المملّ والعمل الشاق، آناً يفشل وآناً يفوز، آناً يساورهُ الحزن حتى يتطرق القنوط الى نفسه وآناً يلازمهُ الفرح فيدفعهُ الى الاقدام — انهم يرون في كل اولئك شيئاً خليقاً بالاجلال شيئاً مقدساً كالحياة نفسها . فتقدم العرفان جدير بان يبذل لهُ ويحارب في سبيله . وهذا هو سبب اجتماعنا الليلة . لاريب في اننا لانزال على جانب كبير من الجهل وقصر النظر وبعضنا يفوق البعض الآخر في ذلك ! ولا ريب كذلك في اننا لانزال بعيدين عن المثل الاعلى في علمنا وسياستنا وتوفير اسباب الراحة والرفاه . ولكن لايختلف اثنان في ان تقدّم العرفان قد رفع مستوى المعيشة الانسانية ورقّى الخلق البشري ووسّع نطاق النظر الى الحياة في نصف المليون من السنين التي انقضت على الانسان وانهُ لابدَّ ان يفعل ذلك في المستقبل

فالعرفان هو ركن العمران

هو الفارق بين الانسان والحيوان . ان مقدرة الانسان على فهم نفسه ومحيطه صفة يمتاز بها على سائر الكائنات الحية . فاذا انكرنا عليه حقهُ في استعمال هذه الهبة كنا قد اجترحنا سيئة لا تغتفر . والواقع ان هذا الانكار لن يتمَّ في عصر كعصرنا . فالحكومات تشيد بفضل التعليم والجمعيات والصحف تدعو اليه — ولكن الخطر كل الخطر حين نكشف عن حقائق تناقض مصالحنا او تقاليدنا القومية او ما في نفوسنا من ميل للمحافظة على القديم . حينئذٍ تثور الحناجر وتحمل اصحابها على الوقوف سدًّا منيعاً في سبيل الارتقاء . فالكفاح الذي يجب ان يُرفع علمهُ دائماً انما هو كفاح مع هذه الميول الى الجمود والتقهقر . اننا لا نستطيع ان نثبت في مكاننا اذا جمدنا فيه . لان الحضارة لا تستقرُّ على حال فاما ان تتقدم او ان تتأخر . فاذا تقدمت في بعض نواحيها وتأخرت في البعض الآخر افضى ذلك الى الخلل والاضطراب . ان سيفين بيجت قد انشأ هذه الجمعية « لترقية صحة الامة وقوتها ولافهام الناس قيمة المباحث الطبية والجراحية ولافساد الاقوال الكاذبة التي تذاع ضدَّ هذه المباحث » ولتحقيق غرضه علينا ان نكافح مظهراً خاصًّا من مظاهر الرجعية اريد به « مقاومة استعمال الحيوانات للتجارب الطبية والفسيولوجية » . ولما كانت هذه المقاومة مظهراً خاصًّا من الرغبة

الشديدة التي بدت في عصور التاريخ المختلفة لمقاومة ارتقاء المعرفة وجب على جمعية كجمعيتنا أن تنظر الى المسألة من ناحيتها الواسعة وان تؤيد حق الباحثين في حرية البحث التي كانت مظاهره. ثم ذكر انهُ في بحثه عثر على مجلة انشئت سنة ١٨٣٥ لمقاومة السكك الحديدية وهي في اقوالها وادلتها كثيرة الشبه بالجمعيات القائمة في لندن لمقاومة البحث العلمي الطبي . فيا ليت الرجاء اذاً مفتوح على مصراعيه . ترى ماذا يقول صاحب تلك المجلة لو كان عائشاً الآن يرى اثر السكك الحديدية في العمران ؟ ترى ماذا يقولهُ مديرو الجمعيات المنشأة لمقاومة البحث الطبي بعد خمس وخمسين سنة متى شاهدوا آثار هذا البحث في صحة الامم وعمرانها !

ما اغرب عقل الانسان ! انك لا تسمع بدعوة مهما سخفت الا وتجد لها اتباعاً. ما اكثر المذاهب القائمة على الخرافات والخدع التي ترفع رؤوسها بيننا ! قلال هم الذين لا يؤمنون بنوع من انواع السحر . بل انك لا تجد نبيًّا كاذباً ولا خدَّاعاً سافلاً يخدع الناس بمستحضراته الساحرة او بآلاته التي تعيد الشباب الا وله قوم ملتفون حوله ويؤمنون به

كيف نستطيع ان نميز بين هذه المذاهب الفاسدة وارتقاء العلم الصحيح . اكثر الناس المتعلمين العقلاء يستطيعون ان يميزوا بينها ولكن ليس كل الناس عاقلين او متعلمين . ان المعرفة الحقيقية هي المعرفة التي تؤيد عناصرها بعضها بعضاً وتتفق مع الطبيعة البشرية. لذلك كونوا واثقين ان لا بدَّ للانبياء الكاذبين من ان يقوموا ليأخذ بعضهم بخناق بعض فلا تلبث ان ترى الجوَّ قد تطهَّر من آثارهم . يجب ان لا نحفل كثيراً بهم بل ان وجودهم مدعاة للسرور وشحذ الهمم. أن قيام جمعيات بيننا لتقنعنا بان الارض مسطحة او اننا نستطيع تصوير الارواح او ان الاسود ابيض والابيض اسود تهمة من تهم الحياة وانا لا انقم عليها بل اميل الى العطف عليها ومعاملتها بالحسنى وافساح مجال القول امامها

ولكن الحال تتبدل بغير الحال اذا انطلق مجنون يقف في سبيل الناس ويهدد حياتهم بالخطر. ان حرية الانسان الفردية من اعظم النعم التي فاز بها في تاريخ ارتقائه الطويل . فاذا حاول احد سلب هذه النعمة تحتم على المجموع ان يقيِّد حريته. كذلك حالنا مع هذه الجمعيات . ان حرية التفكير والبحث هي اساس الارتقاء الانساني فاذا قامت هذه الجمعيات تسدُّ سبيل البحث الحر والتفكير الحرّ وجب ان تكبَّل اعمالها بالاغلال

انا لا اريد ان اغالب الذين يشبهون تلك السيدة التي كتبت اليَّ مرة تقول « ان الربَّ عزَّ وجلَّ لم يقصد ان يفوز حيوان على حساب حيوان آخر » مع اني ارى في الحيتان التي تلتهم ملايين الاسماك الصغيرة والثورة التي ترفض اكل الحضراوات لتتم بافتراس الحيوانات مما يفسد قولها . فاذا شاءت أن تعتقد صحة ما تقول فلتعتقده . ولكن اذا

حاولت هذه السيدة أو غيرها من الناس الذين يعتقدون معتقدات غريبة ان يكبلوا حريتي وحرية صديقي في البحث والاستقصاء ، اذا كانت هذه السيدة باذاعتها الاكاذيب لحض الحكومة والناس على منع الاطباء والعلماء من استعمال الضفادع وحنازير الهند في معامل البحث العلمي، تقف سداً امام تيار المعرفة فيتقذر يغلي الدم في عروقي ولا اعود ارى مجالاً للتساهل

ثم اشار الى بعض مظاهر التعصب التي تستتر بستار ديني مؤيداً اقواله بحوادث معيّنة من التاريخ ثم قال : لا تصوروا اني احمل على الدين . فبين العلماء والاطباء ، بين الفلاسفة والمفكرين نرى طائفة كبيرة تنظر الى العالم نظراً دينيًّا صحيحاً . واذا حسبنا الدين من شؤون الروح وليس الاعتراف بسلطة كنائسية معينة فالعلماء والفلاسفة من اكثر الناس تديّناً . انهم على كل حال يعترفون بقوة طبيعية تسمو على مقدرتهم وادراكهم . انهم لا يتظاهرون بدينهم ولا يضرعون الى الله ليؤيدهم في افعالهم ويخفي مساوئهم . انهم اقل ايماناً من غيرهم بصحة ايمانهم لانهم يدركون تعقيد المسائل الروحية وصعوبتها . فليس ثمت نزاع ما بين العلم الصحيح والدين الصحيح . ان النزاع قائم بين قوى العلم والعقل من جهة وقوى المذهب الديني الذي يتخذهُ بعضهم ستاراً ليخفوا تحتهُ تعصبهم الذميم من جهة أخرى

اخوة العلم

في كل بلد من بلدان الارض نجد علماء مكبين على البحث عن الحقيقة . ان المشاكل التي يواجهونها متشابهة والاساليب التي يجرون عليها متماثلة فغرضهم والحكم الذين يحتكمون اليه لا يمكن ان يكونا مختلفين. فنحن اخوة عظيمة لا تفرقها الحدود الجغرافية والسياسية. ولكن هذا لم يكن كذلك بعيد الحرب الكبرى . فاني لا ازال اذكر زميلاً ذا مقام رفيع قال لي ذات يوم وفي كلامه اثر الانفعال انهُ يؤثر تأخير العلم على الاشتراك مع استاذ الماني في البحث والتعليم

ايها السادة اذا كان في العالم شيء واحد يجب ان يكون دوليًّا فهو « العرفان » والبحث عن الحقيقة . ان موقف الزميل الذكور يجعل الدم يغلي في عروقي كما يغلي حين اطلع على الاكاذيب التي تذيعها جمعيات المقاومة لتشريع الحيوانات . ان هذا النوع من التعصب اخطر لانهُ يعيق التقدم ويثير النعرات الجنسية التي تحاول القضاء عليها لانهُ ينفي مبدأ الاشتراك العام في ترقية العمران الذي لا مندوحة عنهُ

وهناك نوع آخر من التعصب اريد ان الفت الانظار اليه وهو تعصب العلماء لمذاهبهم العلمية وفرض صحتها وخطأ سواها . ففي كثير من الاحيان تبنى نظرية من النظريات على طائفة من الحقائق تكفي لتعليل جانب من الحقيقة فقط . فنظرية الانتخاب الطبيعي مثلاً وضعت

لتعليل بعض الحقائق المعروفة حينئذٍ فاصبحت عند نفر من المفكرين كأنها من نواميس الادهار التي لا تحول. ففي ميدان العلم كما في ميدان الدين مذاهب هي أقرب الى التحكم منها الى التعقل. وهذا الموقف التحكمي سواء في العلم او الدين محفوف بالخطر. فاذا اخطأنا وحسبنا النظريات حقائق. واذا تعصبنا ضدّ الذين لا يعتقدون نظرية نعتقدها نحن مع انهم يقرون بصحة الحقائق التي بنيت عليها النظريتان نحول دون التقدم كما يحول المتعصبون امثال اعضاء الجمعيات المقاومة لتشريح الحيوانات

ولي كلة اخيرة. يستطيع الانسان ان يكون شديد التمسك بآرائه وان يكون متسامحاً في آنٍ واحد. لابدّ من النظريات في العلم اذا رمنا الارتقاء لان النظريات في البحث العلمي كمفاتيح الحماية في البحث الجنائي تفتح امام العالم والباحث سبلاً جديدة للكشف والاستقصاء. ولان جمع الحقائق من غير ترتيب ونظام قد يبلغ يوماً ما حدًّا يرتد عنهُ طرف العقل البشري وهو كليل. ولكن يجب ان نفكر دائماً ان ما نذهب اليه اليوم ونحسبهُ صحيحاً ونشتد في التمسك بصحته قد يصح خطأً في الغد متى كشف عن حقائق جديدة. فما زلنا لا نجور على الغير وما يذهب اليه من المذاهب. وما زلنا لا نقف حائلاً دون حرية الغير في متابعة بحثه وعلمه فالناس يقترون لنا مذاهبنا مهما تكن في رأيهم فاسدة او بعيدة عن محجة الصواب. هذا هو التسامح العلمي

اطلعت منذ ايام على كتاب جديد في «علم الفلك الطبيعي» فوجدت صاحبتهُ قد الصق على صفحته الاولى صورة سيدة تحادث صيّاداً. وهي تقول. «ما رأيك في الخطبة اللاسلكية التي اذيعت امس في موضوع بناء جوهر الفرد. اني لم اسمع كلاماً فارغاً كهذا في حياتي!

اني لا اعترض على موقف هذه السيدة. لتعم بجهلها. لاني اعلم ان موقفها من مباحث الفلك الحديثة لا يحملها ولا يحمل الصياد الذي تكلمهُ على محاولة اغتيال جينز او ادنتون او رذرفورد او ملكن او غيرهم من علماء الطبيعيات. ولكن اذا قامت سيدة تذيع اكاذيب عن البحث العلمي الطبي بغية أن يكفّ الناس عن امداد رجاله بالمال او اذا حاولت ان تقنع الكبار والوزراء بوجوب سن تشريع يمنع العلماء عن القيام باعمالهم — اذا فعلت ذلك ارى في عملها خطراً داهماً يعيق الانسان عن التقدم والارتقاء وادعو الى ايقافها عند حدّها والى تكبيل حريتها كما تكبل حرية مجنون لانها عدوة للعلم عدوة للعمران

صفحة مجيدة من حال

الادب والعلم في الجزائر

الدكتور محمد ابو شنب

استاذ الآداب العربية في الجامعة الفرنسية بالجزائر وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق

أأقول الدكتور ابو شنب، أم اقول الشيخ ابو شنب؟ والله ما ادري ما اقول. أما هو المرحوم فقد كان «شيخاً» وكان «دكتوراً». فاز في سنة ١٩٢٤ بشهادة الدكتوراه برسالتين اثنتين وضعهما باللغة الفرنسية، اما احداها فاسمها «ابو دلامة» واما الاخرى فاسمها: «الالقاب الفارسية والتركية الباقية في لغة العامة بالجزائر». ولكن الناس في الجزائر خاصتهم وعامتهم لا يعنون بلقب «دكتور»، وانما يعنون بلقب «الشيخ» والفرنسيون انفسهم يعنون بالشيخ لا بالدكتور، وحتى زملاؤه اساتذة الجامعة اذا دعوهُ بأحب الاسماء اليه قالوا: «الشيخ ابو شنب» وهو نفسه كانت كلمة «الشيخ» احب اليه، واعذب في سمعه من كلمة «الدكتور»

ولعل سبب ذلك ان كلمة «دكتور» في لغة العامة بالجزائر لا تعظيم فيها ولا احترام. فأهل الجزائر اذا ذكروا عالماً اوادبياً ولو كان افرنسيًّا وارادوا ان يذكروه بما يدل على الاجلال والاحترام قالوا «الشيخ فلان»، وهم يقولون «الشيخ فيكتور هيكو» و«الشيخ لامرتين» و«الشيخ باسطور» و«الشيخ جان جاك روسو» وغير ذلك. وتبعهم في ذلك الامر الفرنسيون الذين يتكلمون اللغة العربية في الجزائر. فكم مرة سمعت رجلاً فرنسيًّا من رجال العلم او الادب يقول: «الشيخ فلان» وهو يعني زميلاً له من العلماء او الادباء الفرنسيين

وكان صحفي جزائري زار مصر، فقالت جريدة «الشوري» القراء انهُ دخل ادارة جريدة «السياسة» وقال: «اين الشيخ هيكل»؟. وهو يعني الدكتور هيكل. وقرأها الناس في الجزائر فلم يفهموا منها ما تريد، لانهم يحسبون الرجل قد استعمل كلمة «الشيخ» في موضعها، ما تجاوزه بها ولا عداه. وكانت جريدة عربية مشهورة في تونس اثنت على شيخ من شيوخ جامع الزيتونة فوصفتهُ بانهُ دكتور من دكاترة الزيتونة! فظنّا منها ان كلمة «دكتور» وكلمة «شيخ» معناها واحد. على ان كلمة «دكتور» بدأت تترجح مكانتها اليوم في اذهان الناس بالجزائر ولاسيما في ناحية الطب. فقد عادوا يقولون عن الطبيب

« الدكتور فلان » اذا هم ارادوا ان يجلوه ويحترموه ، بعد ما كانوا يقولون عنهُ « الشيخ فلان » متى ارادوا تعظيمه واحترامه وعاد الادباء في الجزائر وتونس يستعملون كلمة « دكتور » في موضعها ، لا يخلطون بينها وبين كلمة « شيخ »

هذه واحدة . واخرى فان هذا الاستاذ المرحوم كان « شيخاً » قبل ان يكون « دكتوراً » فقد اشتغل استاذاً بالجامعة دهراً طويلاً قبل ان ينال شهادة الدكتوراه ، وكان في ذلك الامد قد نال احترام الناس ، فاعطوه لقب « شيخ ». وفي الحق ان لقب « شيخ » اولى بهذا المرحوم من لقب « دكتور » فقد كان — رحمهُ الله — متسماً بسمات « الشيوخ » اكثر مما هو متسم بسمات « الذكرة » ، فهو مسلم جزائري ، وجزائري مسلم في كل شيء : في عقله وادبه ، وفي اخلاقه وعاداته . في لباسه وهندامه . تراهُ فترى على رأسه عمامة جزائرية (طوربانطي) وتراهُ فترى على كتفيه « برنوساً » جزائرياً ، وعلى صدره غلائل جزائرية ، ومعطفهُ معطف جزائري وسراويلهُ سراويل جزائرية عريضة ، وحذاؤهُ حذاء جزائري . وبالجملة فهو بقية سلف صالح مضى في عاصمة الجزائر ، ولم يبق منهُ اليوم الا أناس معدودون من خيارهم هذا الشيخ المرحوم

﴿تواضعهُ﴾ — عرفتُ فيمن عرفتُ من الناس رجلين في الجزائر هما من اشد الناس تواضعاً وزهداً فيما يرغب فيه الناس ويتهالكون عليه من الشهرة والجاه وهما من اولى الناس بهما فقد تهيأ لهما من اسباب ذلك ما لم يتهيأ لكثير سواهما من المشهورين في الجزائر. اما احدهما فهو الدكتور محمد بن العربي (الطيب) او الشيخ ابن العربي محمد كما يصفهُ الناس في الجزائر لانهُ موضع ثقتهم واحترامهم . وقد بلغ من احترام العلماء لمواهب الشيخ وفضله ان كان شاعر فرنسا وعالمها « فيكتور هيكو » وهو في ايام شيخوخته يمشي الشاب بن العربي ويجالسهُ وهو لايزال يومئذٍ طالباً في كلية الطب بباريس . وكان اذا رجع الى الجزائر يكاتبهُ بغير انقطاع. واجتمعنا بالدكتور بن العربي هذا مراراً ، ومازلنا نرجو ان نجتمع به . فكان يحدثنا عن ايام شبابه ، وعن ايام طلبه للعلم ، وعن اتصاله بفيكتور هيكو ، فيحدثنا ذلك كله حديثاً ساذجاً بسيطاً ، ولكنهُ حديث شيق جذاب ، يشوقك ويستهويك . يشوقك ويستهويك ، لانهُ كلهُ صدق ، وكلهُ صراحة واخلاص . ويشوقك ويستهويك لانهُ حديث كلهُ تواضع لا انانية فيه . وكان اذا حدثنا عن فيكتور هيكو قال : « كان الشيخ فكتور هيكو . . . . » و « قال الشيخ هيكو . . . » ، فنعجب منهُ نحن بهذا الحديث المحنك البسيط ونستحليه ،

واما الآخر فهو الدكتور او الشيخ ابو شنب ، وهو الذي اريد ان اتحدث عنه في هذا المقال. والدكتور بن العربي كما حبه الدكتور بن ابي شنب جزائري مسلم في كل شيء ، ويزيد عليه

انهُ أكثر تقشفاً ، فهو لا يلبس الجوارب (التقاشير) في اغلب الاحيان . ثم هما متفقان فيما سوى ذلك ، فكلاهما محافظ على القديم ، وكلاهما مؤمن قويُّ الايمان وكلاهما لا يقبل في دينهِ مناقشة ولا جدالاً . وكلاهما متواضع الى حد الخمول

اشتغل الدكتور بن العربي بالمسألة السياسية الجزائرية زمناً طويلاً ، ومع انهُ قد ابلى فيها بلاءً حسناً ، فقد كان في عمله وجهاده ، متواضعاً لا يخاصم أحداً ، ولا يبتغي رآسة ولا وساماً ، ولو خاصم في السياسة وشاتم لأصبح في الجزائر من اقطابها المشهورين

وانقطع الدكتور ابو شنب للعلم ، فخدمهُ خدمات جُلّى ، وعمل لهُ عملاً صالحاً ، وكان في عمله متواضعاً نزيهاً كما يجب ان تكون كرامة العلم

لقيت الشيخ المرحوم في شارع من شوارع الجزائر (العاصمة) ذات يوم ، فضينا معاً في حاجة وانا لنمشي اذ ناداني من بعيد رجل عرفتهُ انهُ يرغب الى الادباء ان ينظموا له منظومات يرفعها الى الاغنياء والاعيان . وأنا استبعد هذا الرجل ، ولا اطيق ان اراه ، وابيتُ ان ألبي نداءهُ ، ولكن الشيخ المرحوم قد استجاب ، واقنعني بسداد ما رأى ، فصحبتهُ وسكتُّ . وناولهُ الرجل كرّاساً قد كُتبتْ فيهِ منظومات وقصائد ، وطلب اليهِ ان يصلحها ، ويقيم اوزانها . وسمعتُ الرجل يترنم بشيء من ذلك ، فوالله لكأني اسمع انكر صوت خلق الله ، ووالله لزفير جهنم اعذب في اذني واشهى الى قلبي من ترنم هذا الرجل وغنائهِ في مثل هذه المنظومات . ولسؤال الغير ، ولرؤية منكر ونكير اهون عليَّ من البقاء في في مجلسي هذا . ولكن الشيخ اكبَّ على تلك المنظومات يصلحها ، ويقيم اوزانها . ولبث في ذلك ساعة كاملة ، ما سئم في اثنائها ولا تحرج بل كان فيها يعلم الرجل ويجهد نفسه في تفهيمه وكان فيها يخالق الرجل بخلق حسن ، ويتواضع لهُ ، ولا يتظاهر عليهِ بعلم ولا بفهم ، بل جلسها اليهِ ساعة كما يجلسها الى فريق لهُ في المنزلة والعلم . ولولا اني كنتُ ساعتئذ اشتغل نفسي بالشيخ اعجب بتواضعهِ وخلقهِ الكريم لكانت ساعةً اطولَ عليَّ من الدهر . واشدَّ من يوم الحساب

وهكذا كان — رحمهُ الله — يستوقفهُ الصغير او الوضيع فيقف لهُ ، ولا ينصرف حتى ينصرف السائل . واذا انت حادثتهُ في مسألة من مسائل العلم ، حدَّثك فيها بما يعلم حديثاً متواضعاً لا « يتعالم » فيهِ ولا يتعالى . وهو متواضع حتى في لباسهِ ، فاذا رأيتهُ باعتهُ طرفك ، ولم تجد في ملابسهِ شيئاً مما يتباهى بلبسهِ « الفقهاء » في الجزائر

﴿ علمهُ وادبهُ ﴾ — وهو وان كان استاذاً للآداب العربية في الجامعة الفرنسية بالجزائر ، ونال شهادة الدكتوراه في الآداب فانهُ في الواقع عالم اكثر مما هو اديب وابحاثهُ وان كانت في موضوعات ادبية فهي ابحاث علمية على طريقة علماء المشرقيات ، لا تكاد ترى عليها مسحة

ادبية فضي كلها ابحاث في اللغة العربية ،وفي الادب العربي وتاريخه وتاريخ رجاله ولكنك اذا انت قرأت بحثاً من هذه الابحاث فانهُ لا يشوقك ولا يغريك بادمان المطالعة ولا بالمضيّ فيها ، ذلك بان اسلوبها اسلوب علمي بحت لا لذاذة فيهِ . ولعل هذا هو السبب الذي جعل الشيخ المرحوم غير مشهور بين الادباء — وأغلبهم من الناشئة — كما هو مشهور بين العلماء

قرأتُ لهُ ذات مرة فصلاً في تاريخ عاصمة الجزائر فقال انها كانت تسمى « مزغانة » او « مزغنّان » ثم « جزائر مزغنان » ثم « الجزائر » . . . واستمرّ يبحث هذا الموضوع ويستقصيه ، حتى قتلهُ بحثاً وتدقيقاً ، وحتى جاء فيهِ بما لم يسبقهُ اليهِ احد من المؤرخين . واعجبت انا بهذا الفصل ، وقابلت الشيخ المرحوم ، واظهرت لهُ اعجابي هذا ، ثم قلت لهُ « . . . ولا اكتمك يا سيدي انك كتبتهُ باسلوب غير طليّ ولا لذيذ . » فقال في شيء من التواضع والبساطة كثير: «خُذ العلم ، وماذا يعنيك اكان باسلوب طليّ . ام كان باسلوب غير طلي ولا لذيذ . وحسبك انك فهمت عني ما اريد ان اقول . وهل اللغة واساليبها الا اداة للفهم والتفهيم ؟ غير انكم معشر الشبان تتركم زخارف الالفاظ وتزويقاتها . حتى ان كثيراً من ادباء العربية قد وقفوا عند اللفظ وزخرفته وتحسينه لا يكادون يعدونهُ الى المعنى واللباب.» فقلت: «ولكني لو لم يكن يهمني هذا الموضوع بوجهٍ خاص ، لما كنت قرأت فصلك هذا لِيُبسهِ وجفافه . واللغة واساليبها اداة للتفهيم لا تعدو ذلك كما تقول ياسيدي، ولكن الناس يختلفون ولا يستوون في استعمال هذه الاداة فمنهم من يريد ان يعرب بها فيجم، ويبين فيهم، لا يعرف كيف يستعمل هذه الاداة فلا تفهم انت منهُ ما يريد ان يقول. ومنهم من يستعمل هذه الاداة للتفهيم استعمالا بارعاً ، وتسمعهُ انت فاذا كل عضو منك يسمع له ويصغي اليهِ ، واذا كل شيء فيك يفهم منهُ ويعقل . واذا هو يملك عليك قلبك ، ويملك سمعك وبصرك طوعاً او كرهاً . وهل خلدت هذه الكتب الادبية الخالدة الاّ بجمال اسلوبها ، وسحر بيانها ؟ وهل هؤلاء العبقريون في الادب الاّ بشرٌ قد امتازوا عن الناس بما رزقهم الله من الفصاحة والبيان ؟ وكثيرٌ من الناس من تكون له افكار سديدة، ونظرات صائبة في هذه الحياة ، ولكنها تموت بموته ، ولا تخلد ، لانها لم تكن في اسلوب جميل فصيح تستحق به البقاء والخلود . ومن ذا الذي ينكر ان القرآن الكريم فصيحٌ بينٌ وممعنٌ في الفصاحة وسحر البيان الى حد الاعجاز ؟ . » فقال الشيخ : «صدقت، ولكنك ما تزال شابًّا تفتنك مظاهر الاشياء وزينتها، وتشغلك عن ان تنفذ الى لبابها وصميمها، وستعدل الايام رأيك هذا بعض التعديل ، وستصبح تنظر الى المعاني اكثر مما تنظر الى الالفاظ . . . » فقلت : « اني اريد لك ياسيدي أن تخلد بعدك آثارك في الادب ، وليس الى ذلك من

سبيل الا ان تكتبها باسلوب ادبي لذيذ ، لايبس فيه ولاجفاف» . فقال في شيء من النعمة كثير : « . . أبعد شيء يغني مني الادباء ؟ » فاستحييتُ والله ان أُخَّ عليه في البحث

ولعلَّ السبب في ضعف اسلوب الشيخ ان معارفهُ فرنسية اكثر منها عربية . فهو استاذ الآداب العربية في جامعة الجزائر، ولكنهُ يلقي دروسهُ ومحاضراته كلها باللغة الفرنسية. ويقول الذين قرؤوه في الفرنسية ان اسلوبهُ فيها اسلوب حسن متين . وهو مع ذلك عالم باللغة العربية غزير العلم ومطلع عليها واسع الاطلاع . ومحافظ ثقة من حفظها لا يكاد يغادر منها صغيرة ولا كبيرة الا احصاها

كتب اليَّ الاستاذ الشيخ عمر راسم الجزائري كتاباً وصف فيه الشيخ المرحوم وهو من اعرف الناس به ،فقال :« . . لقد كان، رحمه الله، معجماً لغويًّا يمشي على وجه الارض. . » وهو وصف صادق لامبالغة فيه ولااغراق ، فقد كان يحفظ اللغة المدوَّنة في المعاجم. ويحفظ شيئاً كثيراً من اللغة التي لم تدوَّن بعد. وكان معنيًّا بجمع هذه الكلمات الكثيرة والتراكيب التي تجري على ألسنة الادباء في القديم والحديث ، ولم تدوَّن في المعاجم ، يبحث عنها بحثاً مستوعباً ، ويردها الى اصول عربية ردًّا صحيحاً . وكان ينوي ان يجعلها في كتاب يعرضهُ على المجمع العلمي العربي بدمشق ، ثم ينشره في الناس كتكملة لمعاجمنا اللغوية

وابحاثه في اللغة والادب كلها ابحاثٌ مبتكرة طريفة ، آخرها محاضرته التي القاها في مؤتمر المستشرقين الاخير باكسفورد (بلاد الانكليز) عن ابن خاتمه احد شعراء الاندلس في القرن الثامن الهجري ونشر خلاصها في مجلة «الشباب» التي تصدر في قسنطينة (الجزائر) وهي محاضرة قيمة أحيى بها شاعراً عربيًّا ، وزاد بها في تاريخ آداب العرب صفحة مجدة ذهبية وكان طبع كتباً كثيرة قديمة بعد ماصحَّحها وعلق عليها

وكان مولعاً بجمع الكتب القديمة ، ونفائس الآثار فقد خلَّف في خزانته مجموعة نفيسة غالية من الكتب اليدوية المخطوطة

يقول كثير من الناس ان الحكومة الجزائرية هي التي اخذت بيد الشيخ المرحوم واعانته على اظهار مواهبه ونبوغه ، ولو انها اخذت كذلك بايدي غيره من العلماء والادباء في الجزائر لكان فيهم من يدانيه ومن يفوقه . وهذا قول صحيح لا شك فيه ، فان كثيراً من ادباء الجزائر وعلمائها ماتوا كما يقول الزهاوي شاعر العراق :

« ولقد يموت نبوغه من لا تساعده الظروف »

ولولا الحكومة لخفيَ الشيخ المرحوم تواضعاً وخمولاً . ولكنهُ خدم العلم اكثر مما خدم نفسه ، وخدم الجامعة الفرنسية بالجزائر خدمات جليلة ، وهو الذي جعل للكتب

العربية في مكتبة الجامعة قيمةً واعتباراً . وكانت الجامعة والحكومة تنتدبانه الى كثير من مهمات العلم ، فقد مثلها في مؤتمرات علمية عالمية كثيرة عقدها المستشرقون وغير المستشرقين وكان لا يقع امتحان من الامتحانات العالية في شمال افريقيا الا وتجد الشيخ المرحوم برأس لجنة من لجانه تتألف من كبار العلماء والادباء الفرنسيس . وقد اشتهر بين هؤلاء العلماء بالثقة العلمية لايماري ولا يداري ولا يحجب ولا يحابي .

زرتهُ في الجامعة ذات يوم من ايام الامتحان . فرأيت في فناء الجامعة فتاة رائعة على اشد ما تكون فتنةً وجمالاً قد رسبت في الامتحان على يده . وهي تبكي بكاء شديداً . وقصَّت عليه قصتها فقال لي : « وددتُ لو انها نجحتْ ، ولكن اسقطتها امانة العلم . وما هي قيمة العالم اذا لم يكن ثقةً ولا اميناً ؟ . . » . وكان ملمًّا باللغتين الالمانية والانكليزية الماماً حسناً مفيداً

﴿ تمسكهُ بدينهِ ﴾ — وكانت اول مرة التقي بالشيخ ان كنتُ بتونس في سنة ١٩٢٢ وانا يومئذٍ لاازال اطلب العلم في الكلية الزيتونية ، وجاءها في تلك السنة لجنة من العلماء الفرنسيس لامتحان طلبة البكالوريا في تونس . وكانت هذه اللجنة تحت اشراف المرحوم الدكتور ابي شنب ، فاستغرب الناس في تونس ان يكون عالم جزائري غير متجنس بالجنسية الفرنسية رئيساً مشرفاً على لجنة علمية فرنسية ، يرأس جلساتها بملابسه الجزائرية ، وبزيه الجزائري . وتعالم الناس هذا الخبر ، وسمعتهُ انا ، وفرحت به وداخلني يومئذٍ شيء من النخوة والكبرياء . وجمعتُ نفراً من اخواني الطلبة الجزائريين ، وذهبنا نزوره وكان اليوم يوم احد لايعمل فيه . فلقينا لقاء حسناً ، وقبلنا قبولاً كريماً . وبينما نحن جلوس عنده اذ حضرت صلاة العصر ، فقام فصلى الثانية اربع ركعات ثم اقام الصلاة (المكتوبة) ولما فرغنا من الصلاة سألتهُ « كيف تصنع اذا امركتك الصلاة ، وانت في جلسة رسمية ؟ » فقال : « أقف الجلسة للاستراحة ، فيستريح زملاؤه بخطوات يمشونها ، ودخان [1] يشعلونها ، واستريح باداء المكتوبة . واجد من الراحة في صلاتي مالا يجدون هم في مشيهم وتدخينهم . . . » واراد ان يمضي في حديثه هذا فقاطعته انا وقلت « ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزَبَ المسلمين خطبٌ يلجأ الى الصلاة ، ويقول : « ارحنا بها (الصلاة) يابلال » ففرح الشيخ المرحوم بهذه المقاطعة ، وقال : « لقد اردتُ ان اقولها فسبقتني بها » ثم ودَّعناهُ وانصرفنا ونحن نتمنى لشبابنا المتفرنجين ان يتعظوا بهذا الشيخ الجليل . فلقد كان لهم فيه اسوة حسنة ان كانوا يريدون الخير لانفسهم ولبلادهم

ولهُ رأيٌ في هذه الالقاب الدخيلة قد لايخلو من الغرابة والشذوذ فهو يرى ان تجتنب

(١) الدخنة : السجارة . وضع الاديب الامام السيد مصطفى صادق الرافعي

الدخيل وان نجتهد في اجتنابه ولو الى الاستعاضة عنهُ بغريب اللغة المهمل الذي بطل استعماله. واذا اضطررنا الى الدخيل يجب ان تنطق به كما ينطق به في لغته الاصلية ، وندعهُ على حاله لا نمسهُ بأدنى تغيير، حتى نبقى داعاً عليه سمة الدخيل، لا يشتبه علينا بالاصيل ، ولا يختلط علينا الحابل بالنابل. وكنتُ ناقشتهُ في هذا الرأي الذي تأباهُ طبيعة اللغة ، فكل لغة لا بد لنموها وحياتها من الدخيل ولا بد لهذا الدخيل ان يفقد صيغته الاصلية الاولى، ولا بد له ان يخضع لمنطق اللغة التي يدخلها، يصاغ في صيغها، وتجري عليه قواعدها . وهذه اللغة الفرنسية مثلاً ، دخلها كثير من الكلمات العربية ولكن أية كلمة عربية دخلت الفرنسية وبقيت عربية في صيغها على منطقها العربي ؟ وكلمة « محمد » مثلاً ينطق بها الفرنسيس على صيغ كثيرة كلها تموّ فرنسية لا تجد بينها صيغة عربية . وهذا سبيل من سبل تموّ اللغات وحياتها ، ما للغة منهُ بدّ

﴿ آخر عهدي به ﴾ — منذ عشرة اشهر ركبتُ القطار السريع من تلمسان الى وهران ، فاذا الشيخ المرحوم يركب هذا القطار نفسه، فقطعنا الطريق في محادثة وحوار ، وكان بيدي جزء من أجزاء المقتطف فتناولهُ الشيخ من يدي وقال : « عهدي بك تحب الادب ، ولا تحب العلم فما بال « المقتطف » وهو مجلة علمية ؟ . » فقلت : « كلاَّ ، يا سيدي ، اني لا احب من العلم ما كان صلباً يابساً ، ولا احب من الادب ما كان وهماً وخيالاً . وانما احب الحقيقة تكون في صورة رائعة من صور الادب والجمال. والمقتطف يصف لنا حقائق الحياة ، ويعلمنا العلم والحكمة، في اسلوب من الادب ساحر لذيذ . والمقتطف عليٌّ بدٌّ لا انساها لهُ ابد الدهر . » قال وما هي ؟ فذكرتها لهُ[1] فقال صدقتَ ، لقد احببتَ خير المجلات

وتكلمنا في الكتب البدوية المخطوطة. فقال : ان تلمسان كانت دار علم ، ولا بد ان تبقى فيها بقايا من آثار السلف الصالح، فاذا عثرتَ فيها على كتاب قديم او اثر من الآثار العلمية فاني ارجو ان تكتب اليَّ به . وهنالك جمعيات من الالمان والاميركان قد ارسلت في مدائن هذه البلاد حاشرين يشترون لها الكتب العربية القديمة ، ويقتنون لها نفائس آثار أجدادنا . فقلت : بلغني ان « فلاناً » و « فلاناً » من اشياخ الطرق الصوفية في مراكش قد قاما بسياحة واسعة في شمال افريقيا ظاهرُها «الطواف» على اتباعهم بغية « التدوير » ولكنهما كانا يقتنيان الكتب المخطوطة، ويبذلان المبالغ الطائلة الباهظة من المال في شرائها ونسخها . حتى ظفرا منها بشيء كثير . فهل لهذين « الشيخين » علاقة بهؤلاء الاميركان او الالمان ؟ . . فقال : هما بلا شك من اعوانهم الذين بثوا بينهم جمع الكتب المتناثرة المبعثرة في ايدي عامة المسلمين الذين لا يفرّطون فيها الاَّ بمثل هذه الوسيلة . فقلت : وقد سمعتُ

(١) قصة خصوصية ربما ذكرتها لقراء المقتطف في مقال انفرد بالمقتطف

ان حكومة مراكش قد اصدرت «ظهيراً» يمنع اصدار الكتب المخطوطة الى الخارج. فقال وانا الآخر سمعت بهذا ، ولكنه غير مفيد ، فلو ان الحكومة اشترت هذه الكتب، واقتنت هذه النفائس وحفظتها في « دار الكتب » لكان ذلك خيراً واتفع . لان هؤلاء الذين بذلوا اموالاً طائلة في سبيل الحصول على هذه الآثار والكتب والنفائس لا يعجزهم ان يجدوا حيلة لتهريبها والفوز بها . واردتُ ان اتكلم ، ولكن القطار وقف بنا على مفرق الطرق فودعني الشيخ وودعتهُ ، فأخذ طريقهُ الى الجزائر ، واخذت طريقي الى وهران وكان هذا فراق بيني وبينهُ ، وكان ذلك آخر لقاء ، فما التقينا بعدها ، ولن نلتقي ابد الدهر

﴿ كيف ذكرته ﴾ — مات ابو شنب، واقيمت في ٢٠ مارس الاخير له حفلة تأبين ، فلم اذكره بشيء من ذلك وانما ذكرتهُ بسبب قد يكون غريباً ، ولكن هو السبب الواقع : المقتطف هو الذي اذكرنيه، وهو الذي جعلني اكتب عنه هذه الذكرى ، واحسُّ لفقده بآلام جسام. وذلك اني قرأت في جزء اخير من المقتطف فصلاً عنوانه : «هل تندثر مدوَّنات العصر؟ » على صديقي الفاضل المبرور السيد الحاج عبد القادر قرمجة في تلمسان فذكر لي ان في خزانته كتاباً مخطوطاً لا يدري ما اسمه ، ولا ما موضوعه ، ولا من مؤلفه ، قد كتبتْ على الصفحة الاولى منه احرف قال كاتبها عنها انها اذا كتبت على اول كتاب فانه لا يندثر ولا يَبْلَى ! . . . فرغبتُ اليه ان يريني هذا الكتاب فتفضل فاراني ، فسهرت عليه ليلةً أطالعهُ فاذا الاحرف هي هذا : « كب كيكج كيكج » واذا كاتبها قد جلّد الكتابَ ، واحتفظ به احتفاظاً شديداً ، فما بَلي ولا اندثر . واذا الكتاب صفحة ماجدة من تاريخ الجزائر ، بل من تاريخ الاسلام والشرق. واذا موضوع الكتاب في سياسة الملوك وتدبير الممالك . واذا مؤلفه عالم غزير العلم ، مطلع واسع الاطلاع ، وسياسي مجرّب حكيم . وهو السلطان موسى ابو حمو اشهر بني زيان (بني عبد الواد) ملوك تلمسان في التاريخ. وهنا ذكرتُ الشيخ المرحوم، وذكرتُ ما كنتُ عاهدتهُ عليه يوم اجتمعنا في القطار من ان اكتب اليه بكل ما أعثر عليه في تلمسان في الكتب القديمة ، والآثار النفيسة وهممت ان اكتب اليه عن هذا الكتاب النفيس ، فاذا به قد توفي الى رحمة الله . فلولا « المقتطف » ما كنتُ لأعثر على هذا الكتاب ، ولولا هذا الكتاب ما كنتُ لأذكر الشيخ المرحوم هذه الذكرى الاليمة

سلام الله عليك يا ابن ابي شنب ، لقد طبتَ حيًّا وميتاً . وكنت بعلمك وشرفك حجة الشرق على هؤلاء الشرقيين الذين لا يبتغون العلم والحياة الا من طريق التفرنج والاندماج. وقدمتَ على ربك مؤمناً عالماً ، « . . ومن يأته (ربَّه) مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلا. جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها، وذلك جزاء من تزكّى»

تلمسان (الجزائر) محمد السعيد الزاهري

غاية الجيولوجيا ومباحثها واساليبها

على ذكر كتاب « الجيولوجيا » النفيس الذي اصدره حديثاً
الدكتور حسن بك صادق وكيل مصلحة المناجم والمحاجر

تتألف لفظة (جيولوجيا) من لفظتين يونانيتين الاولى (جه) ومعناها ارض والثانية (لوجوس) ومعناها خطاب او درس فيكون معناها (درس الارض) وتتناول باوسع معانيها كلَّ ما يتعلق بتركيب الارض . والغرض من هذا العلم البحث في كل المواد التي تتركب منها الارض ووصف اشكالها ومواقعها وترتيبها النسبي ويتناول طبيعة تكوينها والاسلوب الذي جرى عليه هذا التكون والتغيرات التي مرت بها في العصور الخالية والتي لا تزال تنتابها الى الآن وبكلمة عامة غايتهُ ان يكشف عن النواميس التي تجرى عليها هذه المواد في تكونها والعوامل التي تبين صفاتها وخواصها

والجيولوجيا قسم من التاريخ الطبيعي لذلك لا تتناول من مواد الكرة الارضية سوى المواد المعدنية والصخرية بوجه خاص وتترك البحث في شكل سطح الكرة وتوزيع اليابسة والبحار عليه للجغرافيا ودرس المملكة النباتية لعلم النبات والمملكة الحيوانية لعلم الحيوان وبناء الاجسام الاساسي لعلم الكيمياء . على ان الجيولوجي لا يستطيع ان يخترق سطح الارض الى اقصى من بضعة اميال ولذلك ترى مباحثه بوجه عام منحصرة في قشرتها . ولذلك ترى علماء الجيولوجيا يذكرون في كتبهم قشرة الارض ويريدون بها ذلك القسم من بناء الكرة الصخرى الذي تصل اليه مباحثهم وتتناوله على وجه من الرسوخ والثبت العلميين

***

اذا حفرنا بئراً في الارض مرونا في اثناء حفرها بطبقات متتابعة من الدلفان والرمل والحصى فنذكر فعل الماء لاننا لا نرى عاملاً طبيعيًّا آخر يفعل فعل الماء الآن في تضييد طبقات الدلفان والرمل والحصى فيقودنا ذلك الى البحث في منشإ الطبقات التي نمرُّ بها في اثناء حفرنا وهل هي رسبت اولاً في قيعان الانهار والبحيرات او مصاب الانهار الداخلة في البر او على شواطيء البحار . وقد نعثر في اثناء بحثنا على اصداف وعظام او قطع من نباتات مدفونة في الدلفان او الرمل . ففي هذه الاجسام نجد سبيلاً آخر الى الوقوف على تاريخ

هذه الطبقات الارضية لانهُ من المستطاع معرفة اصحاب هذه الاصداف والعظام وهل هي حيوانات كانت تعيش في البحيرات العذبة المياه او الانهار او ماء البحر الاجاج

كذلك نعثر على كثير من الطبقات الصخرية المختلفة في اثناء حفر نفق من انفاق سكة الحديد مثلاً او منجم او قطع جانب من اكمة لبناء خط حديدي فنرى طبقات مختلفة دلفانية ورملية وطينية وحديدية وجيرية منضدة احداها فوق الاخرى اومرصوفة احداها الى جانب الاخرى . وكل من هذه الطبقات قد تحتوي على آثار بعض الحيوانات والنباتات وبقاياها ولا يمكن تعليل وجودها الاَّ اذا حسبنا ان كل طبقة منها كونت بفعل عوامل مختلفة وفي احوال مختلفة من البحر والبر والهواء والماء كما نرى في هذه الايام. فالبحار والانهار ومصابها كل واحد منها يختلف عن الآخر بمميزات خاصة في رواسبهِ

والجيولوجي في اثناء قيامهِ بالمباحث المتقدمة يستنير بالاحداث الطبيعية التي تقع فعلاً في هذا العصر فيسند التشابه الى اسباب واحدة او متشابهة . فهو يرى في هذا العصر الانهار تنقل الرمل والطمي والحصى وترسبها طبقات طبقات اما في البحيرات او في مصاب الانهار او على شواطىء البحار . وهذا الفعل الطبيعي آل في سنوات معدودة الى امتلاء بعض المصاب وجفاف بعض البحيرات من رسوب هذه المواد فيها وتحويلها من ارض مغمورة بالمياه الى ارض يابسة بعد ارتفاعها وانحسار الماء عنها . ثم تجمدت طبقات الرمل والطمي والحصى رويداً رويداً فصارت طبقات صخرية

كذلك نرى الامواج بفعل المد والجزر والرياح تفتت الصخور في جهة معرضة لها وللرياح وتجمع في الوقت نفسه مقادير عظيمة من الرمال في جهة اخرى غير معرضة للرياح والامواج . ونعلم انهُ في اثناء الزلازل وثوران البراكين ترتفع بلدان وتنخفض بلدان فقد ترتفع في وسط البحر جزيرة في منخفض لم يكن لها اثر فيهِ من قبل وقد تنخفض بلاد اخرى على شاطئهِ فتغمرها مياههُ وتصبح اليابسة قاعاً للبحر. والافعال البركانية تؤثر في سطح اليابسة فتكون سلاسل جديدة من الجبال والاكام بفعلها او ترسل حمماً تصير على مرّ الزمان صخراً مبلوراً كصخر البازلت وما اليهِ

فلما كانت هذه العوامل تؤثر في سطح الكرة الآن وتغير من حين الى آخر نسبة اليابسة الى البحار عليهِ طرداً وعكساً على ما هو مشاهَدٌ فالمرجح كل الترجيح أن هذا كان فعلها في العصور الغابرة ولا بدَّ انها كانت العوامل الاولى التي استعملتها الطبيعة في تكوين قشرة الارض التي تنحصر مباحث الجيولوجيا فيها

ولقد كانت الارض في كل العصور ميداناً للتدمير والبناء في كل تاريخها — هنا تدمَّر

وتحفر وتخرب وتبرى بفعل الامطار والانهار والامواج والثلج والجمد والمد والجزر. وهناك تبنى برسوب المواد التي تحملها المياه من مكان الى آخر او بناء النباتات والحيوانات على سطحها وتجمُّع المواد التي تقذفها البراكين من قلب الارض

***

اضرب في الأرض أنى شئت وابعد عن الشواطىء ما تكنت وابحث في طبقات الرمل والحصى والتراب والصخور وابحث في المواد التي تتركب منها تجد انها كونت كلها بفعل الماء كما تُرسب طبقات الرمل والحصى والطين في عصرنا الحاضر. وكما ان ثوران البراكين الآن وفعل الزلازل يغيّران اشكال الجبال والاودية فيرفع قمة هنا ويخفض وادياً هناك ويحدث شقاً ويجدّد سهلاً هنالك كذلك علينا ان نعود بمثل هذه الافعال في اقدم العصور الغابرة الى مثل هذه الاسباب

فدرس الجيولوجي للافعال الطبيعية الجارية الآن يضع في يده مفتاحاً للوقوف على تاريخ الكرة الارضية المتوغل في القدم ومما يسهل عليه عمله ويجعله قرين الدقة والصواب درس آثار النباتات والحيوانات التي يراها في الطبقات الصخرية المختلفة

ففي عصرنا هذا نرى كثيراً من الاصداف والاسماك وغيرها من الحيوانات البحرية تدفن في الطمي الذي تحمله الانهار الى البحيرات والمصاب ويرسب فيها طبقات متراكمة. كذلك نرى مياه الانهار تحمل آثار الحيوانات البرية وجذوع الاشجار وغيرها من آثار النباتات ونشاهد الزلازل تخفض السهول بما عليها من كائنات نباتية وحيوانية فتغمرها المياه ثم تغطّي الطبقات الحية بطبقات من الطين والرمل والحصى التي ترسبها المياه. وعلى مرّ الزمان تتحجر اي تصير طبقات صخرية. فدرس الآثار التي نراها في مختلف الطبقات دليل الى الاحوال التي كوّنت فيها. هل كانت الحيوانات والنباتات برية او بحرية؟ استوائية او من المنطقة المعتدلة او من المناطق المتجمدة؟ وكما تحفظ آثار النباتات والحيوانات في الطبقات الراسبة الآن كذلك حفظت آثار النباتات والحيوانات المتوغلة في القدم. ولما كانت النباتات تختلف فمنها ما تمتاز به بقعة جافة وغيرها ما تمتاز به مستنقع وغيرها ما تمتاز به ناحية جبلية فلذا نجد في معرفة صفات هذه الآثار في الصخور سبيلاً الى معرفة الاحوال التي كانت تعيش فيها. وما يصدق على النباتات يصدق على الحيوانات ايضاً. فاجناسها مختلفة والبيئات والصور التي كانت تعيش فيها هذه الاجناس مختلفة ايضاً وكل جنس بل كل عائلة منها له ميزات خاصة في هيكله وبناء جسمه. فمنها ما هو مُعدٌّ للجري او للطيران او للسباحة. ومنها ما يأكل النباتات او اللحوم وحين موازنة الآثار المتحجرة بما يعرف من اجناس الحيوانات العائشة الآن تستطيع ان

تكوّن فكراً دقيقاً عن احوال المعيشة في العصور السابقة

اذا سار الجيولوجي على هذا النمط من البحث والدرس والموازنة تبين له انه يستطيع ترتيب الطبقات التي تألف منها قشرة الارض ترتيباً تتعاقب فيه الطبقة تلو الطبقة تعاقباً منتظماً. فيعرف انه اذا عثر على الطبقة الواحدة لزم انه يعثر تحتها على طبقة معينة اخرى ويستنتج على وجه من الدقة ان فوقها كانت طبقة اخرى معينة كذلك . ويستطيع أن يعرف من هذا النظام الذي يضعه ، آثار النباتات والحيوانات التي يجب ان يجدها في كل طبقة من هذه الطبقات مما يمتاز به عن غيرها . فمتى عرف هذا التعاقب على وجه من الدقة تعين عليه أن يعرف مدى هذا التعاقب اي الزمان الذي انقضى قبل تكوّن كل طبقة من هذه الطبقات . واي الطبقات اقدم من غيرها وما مدى هذا القدم والادلة على ذلك . وما هي الآثار النباتية والحيوانية التي تميز كل طبقة عن اختها. واين توجد هذه الطبقات على سطح الارض. ومن معرفة هذه الطبقات او المكوّنات الجيولوجية يستطيع الجيولوجي ان يستخرج تاريخاً للكرة الارضية . وقد يكون هذا التاريخ غير كامل او غير دقيق ولكن المبادىء الاساسية التي يبنى عليها كافية لأن تبين اهم التطوّرات التي مرت على الارض منذ تكوينها — على قشرتها اولاً وعلى انواع نباتها وحيواناتها ثانياً

فغاية الجيولوجي القصوى هي ان يضع يداً دقيقاً لكل التغيرات التي طرأت على سطح الكرة من اقدم الازمان التي وجدت فيها الطبقات الصخرية الى الآن في البر والبحر وان يرسم صورة صحيحة لانواع النباتات والحيوانات البائدة وان يبين صفاتها والاحوال التي عاشت فيها — فاذا تمّ له تحقيق هذه الغاية كان ذلك من اكبر انتصارات العلم الحديث

ولعلم الجيولوجيا علاقة بالعلوم الطبيعية كلها اوجلها. فهو يتصل من جهة بعلم الفلك حيث يتناول اصل الارض ونشوءها وعلاقتها بالشمس وسائر السيارات التي يتألف منها النظام الشمسي . ويتصل بعلم الكيمياء حينما يبحث عن المواد التي تتألف منها الارض والعناصر التي دخلت في بناء الصخور . ويتصل بعلم الجغرافية الطبيعية حين يتناول توزيع اليابسة والبحار على سطح الكرة الارضية ومواقع الجبال والاودية. وبعلمي الانثربولوجيا والاتنولوجيا حين يلمّ باحوال الاجناس البشرية من اقدم الازمان الى الآن وقدمها وتفرقها والعوامل التي افضت الى ذلك . وبعلمي النبات والحيوان حين يدرس آثار النباتات والحيوانات المتحجرة الباقية في طبقات الصخور وبعلم الاقتصاد في كلّ ما يرتبط بالزراعة والتعدين وهندسة البناء والينابيع المعدنية والحجارة الكريمة وغير ذلك. وفي كل ذلك لا بد من ان يتصل بمبادىء علم الطبيعيات بنواميس الحرارة والضغط والسوائل والغازات والاشعاع وعلم جرًّا

في مجلس سيف الدولة

بين المتنبي وابي فراس

« وأما أبو الطيب فلم يذكر معه شاعراً الا ابو فراس وحده ، ولولا مكانه من السلطان لأخفاه » « ابن رشيق »

نشأ المتنبي من أصل وضيع ، فقد كان أبوه سقاء بالكوفة ، ولم يمنعه أصله الوضيع من أن يتطلع الى اسمى ما يتطلع اليه عظيم من مراتب السؤدد والرفعة ، فجد في طلب العلم صغيراً وانقطع طاعناً الى الأخذ عن اعراب البادية ، ثم اكثر من الاطلاع على الكتب والاستفادة من العلماء ، حتى اذا أخذ بحظه من العلم والادب تطلعت نفسه الى الاخذ بنصيبها من المجد واغتصاب الشهرة اغتصاباً من بين براثن الأسود . وكان يتقرب — في اول عهده — الى اعيان عصره وذوي النفوذ فيمدحهم بقصائده ، ليتخذهم سلماً الى ما تطمح اليه نفسه من العظائم. وربما أثابه بعض ممدوحيه على احدى قصائده بدينار واحد (١)

فلما اتصل بأبي العشائر — والي انطاكية — قدمه الى سيف الدولة فكان ذلك بدء شهرته الضخمة التي لا نرى أبلغ في وصفها من قول المتنبي نفسه — :

وتركك في الدنيا دوياً كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر

فقد بلغ المتنبي حظاً من الشهرة لم يكد يظفر به شاعر عربي — قبله أو بعده — فملأ الدنيا وشغل الناس — كما يقول ابن رشيق — وعني بشرح ديوانه اكثر من اربعين اديباً منهم المعري وابن جني وهما من تعرف علماً وأدباً وفضلاً . وكان المتنبي قبل اتصاله بسيف الدولة — كما يقول الثعالبي — « يمدح القريب والغريب ويصطاد ما بين الكركي والصندليب »

وقد صحب سيف الدولة نحو عشر سنوات (٢) غمره فيها سيف الدولة بعطائه الجزل ، كما افتن المتنبي في مدحه الذي خلده به بين ملوك عصره قاطبة ، وأتاح المتنبي أن يمدح

(١) قالوا انه مدح علي بن منصور الحاجب فلم يعطه الا ديناراً واحداً على قصيدته التي اولها — : « بأبي الشموس الجانحات غواربا » والتي منها قوله: أعطى الدنية ، نلتها مستدفقاً سطرت على صفحاتها

(٢) التحق به سنة ٣٣٧ هـ ثم فارقه ودخل مصر سنة ٣٤٦

— بعد ذلك — من هم دون الملوك مرتبة ومقاماً فترفع عن مدح المهلبي والصاحب[١] مع ستو منزلتيهما ، كما أنف أن يمدح غيرهما من الاعيان والامراء

وكان في المتنبي صلف وعجرفة واعتداد بالنفس الى اقصى حد ، فكثر اعداؤه وحاسدوه ، وكان كلما امعن في احتقارهم والزراية عليهم ، أمعنوا في الكيد له وتلمس العيوب والسقطات . وكان من أسباب تعاليه عن الناس واحتقاره اياهم أنهم طالما عيروه بضعة أصله[٢] وفاخروه بأحسابهم فتأصلت فيه طبيعة الاحتقار لهم والحقد عليهم[٣] ولعل ابلغ ما يمثل لنا هذه الطبيعة الحاقدة من شعره هو قوله — :

ومن عرف الايام معرفتي بها ... وبالناس روّى رمحه غير راحم

---

(١) وقد جلب على نفسه عداوة هذين الزعيمين باحجامه عن مدحهما وترفعه عنهما ، قالوا : « ولما تقدم ابو الطيب من مصر — الى بغداد وترفع عن مدح المهلبي الوزير ذهابا بنفسه عن مدح غير الملوك شق ذلك على المهلبي فأغرى به شعراء بغداد حتى قالوا من عرضه وتمادوا في هجائه واسمعوه ما يكره وتماجنوا به وكادروا عليه . فلم يجبهم ولم يفكر فيهم ، وقيل له في ذلك فقال — :

اني فرغت من اجابتهم بقولي لمن دعا أرنب منهم طبقة من الشعراء :

أرى المتشاعرين غروا بذمي ... ومن ذا يحمل الداء العضالا
ومن يك ذا فم مر مريض ... يجد مراً به الماء الزلالا

وقولي : أفي كل يوم تحت ضبني شويعر ... ضعيف يقاويني ، قصير يطاول
لساني بنطقي صامت عنه عادل ... وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل
وأتعب من ناداك من لا تجيبه ... وأغيظ من عاداك من لا تشاكل
وما اليه طي فيهم ، غير انني ... بغيض الى الجاهل المتعاقل

وقولي : واذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأني كامل

قالوا : وقد ارسل اليه الصاحب — وقد طمع في زيارة المتنبي اياه بعمان واجرائه مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان — وهو اذ ذاك شاب ولم يكن قد استوزر بعد وكتب اليه يلاطفه في استدعائه وتضمن له مشاطرته جميع ماله فلم يقم له المتنبي وزناً ولم يجبه على كتابه ولا الى مراده وقصد عضد الدولة قالوا : فاتخذه الصاحب غرضاً يتنفس سيئاته وهو اشرف بمحسناته .

(٢) وقد عيروه بذلك حتى بعد أن وصل الى ذروة الشهرة فمن ذلك قول بعض الشعراء :

اي فضل لشاعر يطلب الفض ... ل من الناس بكرة وعشيا
عاش حيناً يبيع بالكوفة الما ... ء وحيناً يبيع ماء المحيا

على ان المتنبي كان يعترف بأن أصله وضيع وان فخاره بنفسه لا بآبائه وقد اشار الى ذلك عدة مرات نجتزي منها بقوله في رثاء امه — :

ولو لم تكوني بنت اكرم والد ... كان أباك الضخم كونك في أمم

وقد قلد فيه قول ابن الرومي في ابي الصقر — :

قالوا ابو الصقر من شيبان قلت لهم ... كلا لعمري ، ولكن منه شيبان
كم من أب قد علا بابن ذرى شرف ... كما علت برسول الله عدنان

(٣) ملأ أبو العلاء المعري لزومياته بذم الناس ، ولكنه لم يحقد على أحد بل كان يتوخى الاصلاح ويلتمس المثل الأعلى ، ولا كذلك كان المتنبي ، فقد كان كثيراً ما يحقد عليهم دون ان يتوخى اصلاحهم .

فليس بمرحوم اذا ظفروا به ولا في الردى الجاري عليهم بآثم[1]

ولقد كان المتنبي شديد الاثرة بعيد الانانية ، لا يبغي الا نفسه ، يرى كل من في الوجود مسخراً له وحده . فالملوك لم يخلقوا الا ليغمروه بجودهم ومنعهم ، والجماهير لم تخلق الا لتهتف له وتملأ الدنيا اعجاباً بشعره ، وعلماء عصره لم يوجدوا الا ليناقشوا اقواله ويفردوا له الشروح العديدة ، وشعراء العربية قاطبة لم ينظموا الا ليتخيّروا من معانيهم الرائعة ما يحلو له أن ينظمه ويضمه في صيغته النهائية فكأنما هم يرثون له « مشروعات قوانين » ليصدرها — بعد ذلك — للناس مراسيم

وهو في اكثر المعاني التي يسطو عليها — كما يقول التالي — : « يأخذها عباءة ويردها ديباجاً ويرسلها مثلاً سائراً » . والحق أنك تقرأ شعر المتنبي فتحس كأن صوت القدر يملي على الناس قوانين الحياة املاء

***

أما أبو فراس فقد نشأ من طبقة الارستقراطية وبيت الملك — وهو على قرابته من سيف الدولة — شاعر فياض بالشاعرية واسلوبه — في اكثر شعره — في أعلى طبقات البلاغة وهو من أحبّ الشخصيات واظرفها ولشعره جمال رائع لعنايته بتخير اللفظ وحسن الاداء وصدق العاطفة . وقد حكم النقاد بتفوقه على ابن المعتز في الشعر ، وصدقوا في حكمهم كل الصدق ، فقد أفاد الامرُ شاعرية ابي فراس وانطقهُ الالم بأروع وابدع ما يقوله شاعر مجيد[2]

قالوا : « وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ولا يجترىء على مجاراته ، لكنه لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيباً له واجلالاً ، لا إخفالاً واخلالاً »

فأما أن المتنبي كان يشهد له بالتقدم والتبريز ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ولا يجترىء على مجاراته ، فيرجع الى قرابة ابي فراس من سيف الدولة وما تعبره عداوته على المتنبي من النكبات . فقد كان سيف الدولة — كما يقولون — « يعجب جداً بمحاسن أبي فراس ويميزه بالاكرام على سائر قومه ، ويستصحبه في غزواته ويستخلفه في اعماله » . والمتنبي أحصف من أن ينبري لمباراة من هذا شأنه ، وأجدر أن يتحامى جانبه ويشهد له بالتقدم والتبريز

(١) ومن هذه القصيدة قوله — :

من الحلم أن تستعمل الجهل دونه اذا اتسعت في الحلم طرق المظالم
وأن ترد الماء الذي شطره دم فتسق ، اذا لم يسق من لم يزاحم

(٢) وقع ابو فراس في قبضة الروم اسيراً مدة اربع سنوات ، وقال في اسره احسن ما قرأناه له من اصدق عاطفة واحكام اسلوب ودقة أداء . وليس يتسع هذا المقام للاستشهاد بشيء من ذلك

وأما أن المتنبي « لم يمدح أبا فراس تهيباً واجلالاً » فهو كلام يجمل بنا أن نفهمه على وجهه الصحيح ،فهو بلغة السياسة أشبه ، وهذا ينتظر معاصروه أن يعلل ترفعه عن مدح أبي فراس . وبم يجيبهم اذا سألوه : — « لم لم تمدح ابا فراس وقد مدحت من دونه من آل حمدان ؟ » . أكان يقول لهم : « إنني لم أمدحه اغفالا واخلالا » أم يقول لهم : « إن شعره لم يعجبني » . أم يصارحهم برأيه الذي اضطر الى الاقضاء به — بعد ذلك — حين صرّح الشر وانكشف الغطاء فقال : —

« أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم »

ليس أمامه ما يزعمه إلا ان يقول إنه يتهيبه . ولو أن سائلا خبيثاً همس في أذنه : —

« وكيف مدحت سيف الدولة اذن ؟ ألا تتهيبه أيضاً ؟»

لما أجابه المتنبي حينئذ بأكثر من ابتسامة الهازىء العابث أو اعراضة المتخلص الهارب . وكيف نرضى بهذا التعليل الذي يقنع به الثعالبي وغيره ، ونحن نرى المتنبي قد مدح من اسرة حمدان من هم دون أبي فراس مقاماً كما مدح سيف الدولة وهو رأس الاسرة الحمدانية وأجدر بالتهيب والاجلال ان كان المتنبي ممن يتطرق الى نفسه تهيب أو اجلال لكائن من كان

لقد كان ابو فراس شاعراً ، وشاعراً مخلا ممتازاً ،وحسبك بهذه الميزة سبباً ينفر المتنبي من مدحه . ولا ننس ان المتنبي كان يتطلع الى حمل لواء الزعامة الأدبية في عصره ويرى ان ذلك أيسر ما يجدر به أن يفعله ، لأن نفسه الوثابة كانت تتوق الى ما هو اسمى من زعامة الشعر واعظم خطرا [1]

فكيف يشيد بذكر شاعر كأبي فراس يزاحمه في زعامة الشعر ؟ [2]

الحق أن المتنبي وابا فراس لم يكن من سبيل الى التأليف بينهما ، فقد كان أبو فراس يرى في المتنبي رجلاً من السوقة رفعهُ الشعر درجات فوق ما يستحق ، كما كان المتنبي يرى في أبي فراس أميراً ذكيّا رفعت الامارة من شعره درجات فوق ما يستحق وأكسبته شهرة في الادب لم يكن ليصل اليها لولا قرابته ومكانتهُ من سيف الدولة . فكان ينطبق عليهما قول

---

(١) كانت نفس المتنبي تطمح الى الملك أيضا ، وقد أشار الى ذلك مراراً نجتزىء منها بقوله مخاطبا كافور الاخشيدي — :

وغير كثير ان يزورك راجل فيرجع ملكا للعراقين والي
فقد تهب الجيش الذي جاء غازيا لسائلك الفرد الذي جاء طالبا

(٢) ولقد كاد يخطئه المتنبي فيمن اخذ من شعراء عصره المعزين وليس ادل على ذلك من تصدي جمهرة كبيرة من الشارحين والناقدين والمادحين والمادحين له حتى طبقت شهرته الآفاق وملأت الدنيا في حين لم يصل ابو فراس الى شيء يذكر من هذه الحظوة العجيبة

ابي الاصبع العدواني : — « لحاني دونه ، بل خلته دوني »

فأبو فراس يرى فيه ابن سقاء مزهوًّا بشعره شامخاً بأنفه الى السماء متعالياً في غير جدارة واهلاء بالغاً من سيف الدولة مكانة لم يبلغها سواه ، والمتنبي يرى فيه شاعراً يناقسه ويغار منه ويحسده على مكانته ويدني خصومه من مجلسه ، فأي لسان يمدحه المتنبي؟ وكيف يهش له ابو فراس أو يصغي اليه خالصاً ؟

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فقد خلق المتنبي بسبب تعاليه وصلفه — كما أسلفنا — كثيراً من الحساد والخصوم وكان يزيد في حسدهم له ما يرونهُ من اقبال سيف الدولة عليه ، فلم يتواعن الوقيعة والدس ويتحذوا من إدلاله على سيف الدولة [1] مطعناً ينفذون منهُ اليه

فهذا أديب يكيد له عند سيف الدولة فيقول له — حين ينشده احدى قصائده وهو قاعد — : لو انشدها قائماً لأسمع ، فان اكثر الناس لا يسمعون » لينبه سيف الدولة الى سوء ادب المتنبي ، فيجيبه المتنبي على هذا الدس الخبيث ببديهته الحاضرة الموفقة ، أما سمعت أولها : —

« لكل امرىء من دهره ما تعودا » فيخرس حاسده بذلك [2]

وهذا شيخ يحسد المتنبي على عطاء أجزله له سيف الدولة حين قرأ قصيدته التي فيها قوله

يا أيها الجحد المشكور من جهتي والشكر من قبل الاحسان لا قبلي

فلا يطيق مغالبة حسده بل يظهره أمام سيف الدولة ، فيمنحهُ من العطاء ما يخفف به موجدته على المتنبي

وهذا ابن خالويه — مؤدب سيف الدولة وأحد شيوخ المدرسة القديمة في عصر المتنبي — لا يألو جهداً في تنقصه وثلبه ، فقد كانت عداوتهما مزدوجة ، فهي عداوة بين متنافسين وعداوة بين مدرستين كذلك . فقد كان ابن خالويه زعيم الجامدين في اللغة والاوضاع وكان المتنبي زعيماً من زعماء التجديد فيهما جميعاً . كان ابن خالويه يرى نفسه خادم اللغة الامين ، وكان المتنبي يرى نفسه سيدها والمتصرف فيها والمجدد في اساليبها وأوضاعها [3] . كان ابن خالويه يُعنى نفسه بالقياس وتتبع ما ورد عن العرب وما لم يرد ، حيثما كان المتنبي مطلقاً نفسه من هذه القيود ، يختار منها ما يلائم ذوقه من الصيغ اللفظية واليانية ، هازئاً بانصار الجمود من

(١) كان المتنبي كثيرا ما يمتدح نفسه في القصائد التي يمدح بها سيف الدولة فكان بذلك حساده وخصومه عليه (٢) قالوا : ان المتنبي انشد سيف الدولة قصيدته التي أولها « لكل امرىء من دهره ما تعودا » فما عاد سيف الدولة الى داره واستاذه ايلها أنشدها قاعدا ، فقال بعض الحاضرين — يريد أن يكيد أبا الطيب — : لو أنشدها قائما لأسمع ، فان اكثر الناس لا يسمعون ! » فقال ابو الطيب — : ما سمعت أولها : « لكل امرىء من دهره ما تعودا ؟ »

(٣) كان المتنبي يتخذ ابن الرومي نموذجا في التجديد والنسيج بالالفاظ والمعاني

معاصريه واثقاً من سلامة ذوقه وصفاء طبعه، ينشدهم هذا البيت الذي يعرض نفسه أحسن تعبير:

أنام ملء جفوني عن شوارِدها ويسهر الخلق جراها ويختصم

وليت خصومة هؤلاء المقربين عند سيف الدولة للمتنبي بالخطب اليسير، فقد اشتورت السهام غرضاً لإلاكته حتى يهي ما أشتد من قوته — وقد شعر المتنبي بخطر حساده ومنافسيه وظهر ذلك في بعض قصائده، ومن ذلك قوله لسيف الدولة: —

أزل حسد الحساد عني بكبتهم فأنت الذي صيرتهم لي حسّدا

وقد انتهت هذه الدسائس كلها بالنتيجة الطبيعية، فأحفظت سيف الدولة عليه، وجعلته يعرض عنه — بعد اقبال — وانتهت هذه المؤامرات المتوالية بتغريب المتنبي، ونفوره من سيف الدولة وسفره الى كافور، هرباً من هذا الجوّ الموبوء بالدسائس والكائد الخبيثة

ويظهر لنا أن أعداء المتنبي افتنحوا في تنفير أبي فراس منه قبل ان يفلحوا في تنفير سيف الدولة، وكان أبو فراس — كما اسلفنا — مستعدّاً لذلك. فلما امتلأت نفسه حقداً على المتنبي، تولى الكيد له عند سيف الدولة الذي يحبه ولا يرد له قولاً

قالوا: وكان أبو فراس يقول لسيف الدولة: «ان هذا المتنبي كثير الدلال عليك، وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث قصائد، ويمكن ان تفرق مائتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره[1]». وثمة امتلأت نفس سيف الدولة بأمثال هذه الوشايات فأعرض عن المتنبي وظهر اعراضه وانحاجلياً في ثلاث مناسبات: أولاها: حين عاد المتنبي اليه بعد ذلك — وكان غائباً. والثانية: حين أنشده قصيدته الرائعة التي أولها «واحر قلباه من قلبه شبم». والثالثة حين ناظره ابن خالويه في مجلسه

(١) — اعراض الدول

قالوا إن المتنبي ايكد يلفه اعراضه ويتعرف سره حتى دخل عليه وانشده قصيدته التي يقول

وما لي اذا ما اشتقت ابصرت دونه تناءٍ لا أشتاقها وسبابا
وقد كان يدني مجلسي من سمائه أحادث فيها بدرها والكواكبا
حنانيك مسئولاً، وليك داعياً وحسبي موهوباً وحسبك واهبا
أهذا جزاء الصدق: ان كنت صادقاً أهذا جزاء الكذب ان كنت كاذبا؟
وان كان ذنبي كل ذنب، فإنه محا الذنب كل المحو من جاء تائبا

قالوا: فأطرق سيف الدولة ولم ينظر اليه كعادته، فخرج المتنبي من عنده متغيراً

[للكلام بقية] كامل كيلاني

(١) لعلك تسمح في هذه الجملة رأي أبي فراس في المتنبي، وهو يؤيد ما ذكرناه من قبل

خيل الكهربائية المتمردة

هل يستطيع العلماء ان يكبحوا جماحها ويتقوا اخطارها

الصواعق والبروق في خدمة الانسان

لمع البرق وقصف الرعد وانقضت الصاعقة فاصابت منزلاً مبنيًّا بالطوب والخشب فشقت جدرانهُ واطارت خشبهُ شظايا وكسرت زجاج نوافذهِ والقت الرعب في قلوب السكان. وانقضت صاعقة اخرى فاصابت عمود تلغراف فقطعتهُ طحناً وغارت في الارض فعطلت صندوقاً من صناديق التلفون فقطعت المواصلات التلفونية . واخرى في ناحية مجاورة عطلت النور الكهربائي واخرى نزلت في مخزن من خازن التبن فاحترق وارتفعت لهبهُ في الفضاء رغم المطر الشديد

هذا بعض ما تفعلهُ البروق والصواعق في ناحية من انحاء ارض كل ساعةٍ من الزمان. فقد ذهب علماء الظواهر الجوية الى ان ٤٤ الفاً من العواصف البرقية تثور كلَّ يوم على سطح الارض وان نحواً من مائة صاعقة تنقض في جوِّ الارض كل ثانية من الزمان

ان معرفة الانسان بالبرق والرعد وانقضاض الصواعق قد اتسع نطاقهُ اتساعاً عظيماً منذ قام فرنكلن الاميركي واثبت بطاريتهِ ان الصاعقة انما هي في الواقع شرارة من « النار الكهربائية » . ومع ان العلماء والفلاسفة لم يوفقوا بعدُ الى معرفة حقيقة هذه النار الكهربائية فقد كشفوا كثيراً من الحقائق والنواميس التي ترتبط بتصرفها وبرعوا في توليدها والسيطرة عليها واستعمالها لمختلف الاغراض . انهم ينتقلون بها ويستثيرون بها ويطبخون بها ويطوقون الارض باخبارهم وصورهم بها

ولقد وقف مهندسوا اميركا الكهربائيون وقتهم وجهدهم في السنوات الخمس عشرة الاخيرة على درس الصواعق والبروق حتى كاد هذا الميدان من ميادين العلم يصبح خاصًّا بهم . والسبب في ذلك اتساع الصناعات الكهربائية في الولايات المتحدة اتساعاً لم يسبق لهُ مثيل من قبل . فالشركات الكبيرة تنفق السنة ١٦٠ مليوناً من الجنيهات لتوسيع نطاقها واذا تمَّ لاميركا انشاء البرنامج الكهربائي العظيم — توليد الكهربائية في اماكن خاصة حيث توليدها سهل ثم نقلها على الاسلاك من هذه المراكز الى كل انحاء البلاد — وجب على علمائها ان يبتدعوا طرقاً للمحافظة على الاسلاك التي تنقل هذه القوة الكهربائية العظيمة من انقضاض الصواعق عليها وتدميرها . لذلك نرى طائفة من المهندسين المختصين بالبحث الكهربائي يحاولون النفوذ الى اسرار الصواعق والبروق ليكشفوا عن سبيل لكبح جماح خيلها المتمردة وقد وفقوا في بحثهم

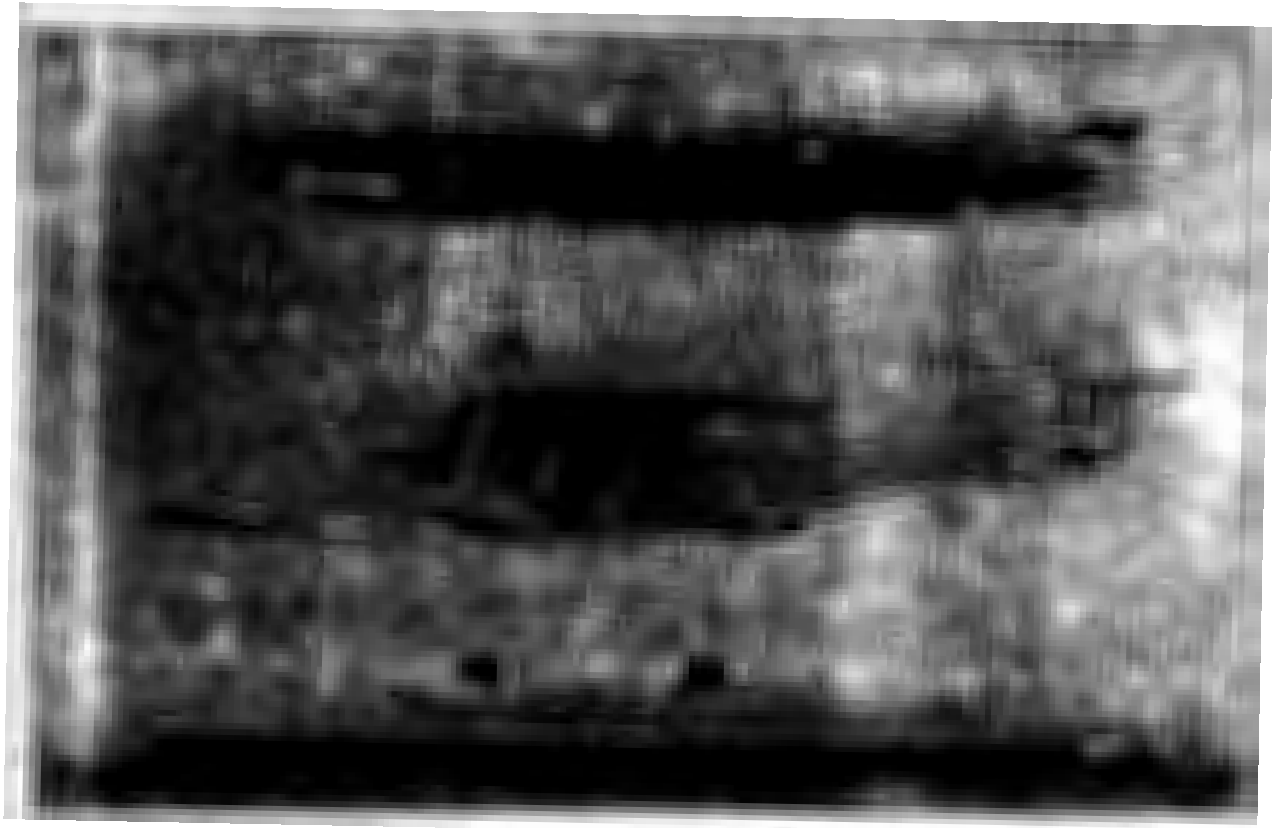

هنري فارمان طائرة الجاريات . (فوق) البلون غراف زبلين (وسط) الطيارة الجديدة التي
تسع ١٢٠ راكباً (تحت) الباخرة برمن وهي أسرع البواخر

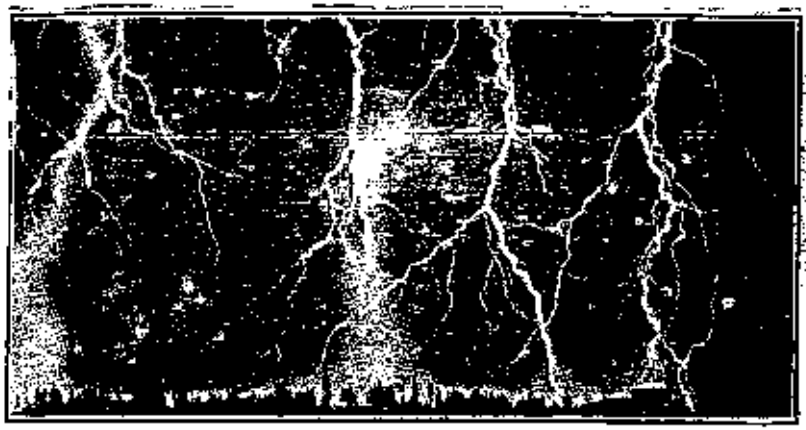

صورة فوتوغرافية لبروق متعددة لمعت في آن واحد

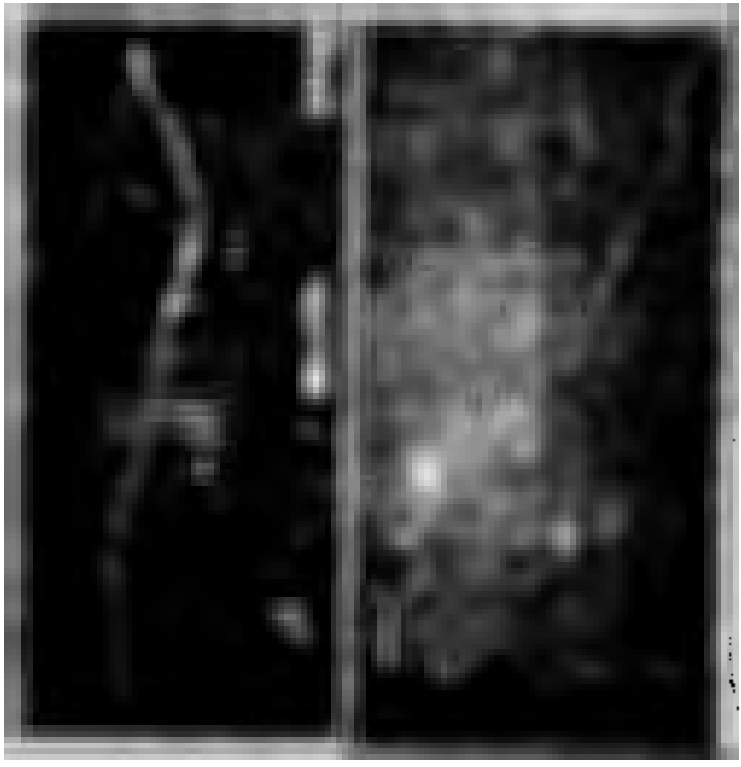

صورة فتغرافية لبرق طبيعي قوته تفوق كل ما تولده مدن القوة في اميركا عشرات الاضعاف

شرارة برق مصطنع في المعمل الكهربائي . وقد تمكن العلماء من توليد شرارة طولها ٢٠ قدماً

مقتطف نوفمبر ١٩٢٩

أمام الصفحة ٤٣٩

الى حدٍّ كبير. فقد قاسوا الضغط الكهربائي العظيم الذي تولده الصواعق وصوروا البروق بآلة فتوغرافية أسرع من البرق نفسه. ثم آبوا الى معاملهم واخذوا يولدون صواعق مصغرة فيها يدرسوا صفاتها ومميزاتها ويحاولوا ابتداع الطرق للسيطرة عليها كما يفعل علماء الحياة بالمكروبات على اختلافها. فهم يعرفون الآن عن الصواعق حقائق كثيرة كانوا يجهلونها من عقدٍ واحدٍ. ولكن هل يستطيعون على سعة علمهم وشدة براعتهم وجرأتهم ان يكبحوا جماح صاعقة واحدة منها

قد يبدو هذا السؤال غريباً حين تنظر الى فتوحات العلم الحديث. ولكن الغرابة تقلُّ حين تعلم ما في صاعقة واحدة من القوة الكهربائية العظيمة. فاكبر المعامل الاميركية المولّدة للكهربائية هو المعمل القائم على ضفة شلالات نياغرا الذي يولد من الكهربائية ما قوتهُ مليون حصان واربعمائة الف حصان. واذا جمعت القوة الكهربائية التي تولد في معمل نياغرا وسائر المعامل المولّدة للكهربائية في اميركا لم تبلغ مائة مليون من الاحصنة. ولكنك تجد في صاعقة واحدة من القوة الكهربائية ما يقاس بالوف الملايين من الاحصنة

فالعلماء الذين لا يميلون الى الغلو والاغراق في تقديرهم يذهبون الى ان متوسط القوة في صاعقة واحدة لا يقل عن الف مليون من الاحصنة. وهذه القوة تفوق كل القوة التي تولّد في كل المعامل الكهربائية والآلات البخارية والآت الاحتراق الداخلي في المعمورة

أفرض اننا نستطيع ان نكبح جماح هذه الاحصنة المتمردة ونتسلط عليها ونجريها على الاسلاك طوع امرنا فتنير بيوتنا ومعاملنا وتدير دولاب العمل في مصانعنا وتسيّر قطاراتنا وتغذي الادوات التي تنتظم بها مخاطباتنا السلكية واللاسلكية افلا يكون هذا العمل العظيم جديراً بعصر الكهربائية؟ فينقضي عهد الفحم والماء المنحدر ونصبح في استطاعتنا ان نستمد قوتنا من البوارق. ولكن علينا قبل كل شيء ان نتبصر على اعنة هذه الخيل المتمردة. واذا فرضنا اننا نستطيع ذلك فهل نجني منها فائدة توازي العناء الذي تكبده والنفقات التي تنفقها

الباحثون في هذا الموضوع مختلفون. وسبب اختلافهم ان الزمن لازم في تقدير القوة كالقوة نفسها. فالعامل لا تستطيع ان تستعمل القوة الكهربائية الا اذا كان استعمالها مستمراً. ان المعمل القائم عند شلالات نياغرا لتوليد الكهربائية يولد ما قوتهُ مليوناً من الاحصنة واربعمائة الف حصان توليداً مستمراً ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم. اما القوة المحصورة في صاعقة فلا تستمرُّ اكثر من جزء ضئيل من الثانية. فما هو مدى استمرارها؟ ليبين العلماء ذلك يستطيعوا ان يعينوا مقدار القوة التي تستمدُّ منها

وقد كان هذا العمل الى عهد قريب متعذراً. وكان العلماء مختلفين يتراوح تقديرهم لمدى البرق او الصاعقة بين بضعة اعشار من الثانية وبضعة اجزاء من ملايين اجزائها. ولكن شركتين من

الشركات الكهربائية الاميركية وفقنا الى قياس مدى الصاعقة في صيف السنة الماضية بعدما صنع رجالها مقياساً دقيقاً ابرته التي تحرف عند انقضاض الصاعقة تيار من الكهارب منطلق في فراغ وهو سريع التأثر لزوال الاحتكاك فيقاس به ما مداه عشرة اجزاء من مليون جزء من الثانية .. ومع ان قوة البرق والصواعق التي قيست في مكانين مختلفين كانت مختلفة جاءت نتيجة القياس في المكانين واحدة اذ ثبت للفريقين ان مدى الصاعقة يتراوح بين اربعين جزءاً من الف الف جزء من الثانية وخمسين جزءاً

وقد ثبت من قياس الشركة الواحدة ان قوة البرق بلغت اقصاها في نهاية الخمسة الاجزاء الاولى من لمعانه ثم نقصت الى نصفها في نهاية العشرين جزءاً الاولى ثم زالت تماماً في نهاية اربعين جزءاً من مليون جزء المذكورة. فحسب المستر بيك مدير البحث العلمي في الشركة الكهربائية العامة ان شرارة برق طولها الف قدم تولد قوة ٤ كيلوواط تستمر ساعة واحدة اي تستطيع ان تولد ما قوته اربعة احصنة وثلث حصان مدة ساعة كاملة وهذا يكفي لاستمرار محرة الجز الكهربائية يوماً كاملاً

ارأيت كيف تتقلص قوة ملايين الاحصنة حين يدخل عليها عنصر الزمان ! واذا اخذنا بقول علماء الظواهر الجوية ان مائة صاعقة تنقض كل ثانية في كل انحاء العالم ظهر لنا في البدء ان انقضاض الصواعق عمل مستمر ولكن متى علمنا ان كل صاعقة لا تستغرق اكثر من اربعين جزءاً من مليون جزء من الثانية ادركنا ان انقضاض الصواعق ليس فعلاً طبيعياً مستمراً . والمستر بيك يقدر ان كل القوة التي تولدها البروق والصواعق توليداً مستمراً لا يزيد على القوة الكهربائية التي تتولد في معامل نياغرا

على ان مهندساً كهربائياً آخر من شركة وستنغوس استنتج بالحساب الرياضي من المعلومات التي جمعتها شركته ان في كل صاعقة متوسطة قوة كهربائية تقدر بمائتي كيلو وط — ساعة اي ما قوته ٢٦٨ حصاناً مدة ساعة كاملة وهذه القوة تكفي لانارة بيت مدى شهر كامل

اما الدكتور سمبسن الانكليزي من علماء مكتب الظواهر الجوية فيذهب الى ان قوة الصاعقة تفوق تقديري العالمين المذكورين وعنده ان القوة الكهربائية في صاعقة تساوي ٣٠٠٠ كيلووط — ساعة او قوة ٤٠٢٣ حصاناً مدى ساعة واحدة . فبرق واحد كل ساعة يولد قوة كهربائية تكفي ما تحتاج اليه مدينة سكانها مائة الف نسمة من القوة الكهربائية

ليختلف العلماء ما شاؤا في تقدير القوة التي تضيع هباءً حين لمعان البروق وانقضاض الصواعق وامكان حصرها واستعمالها في ادارة المعامل وانارة المدن . ولكن لابد ان يجدوا سبيلا اخرى الى الافادة من هذه القوة الطبيعية العظيمة . انهم يحاولون منذ اعوام بحل الجوهر

الفرد واطلاق القوة التي تربط الكهارب بالبروتون. انهم يقولون ان كأساً من الماء تحتوي على قوة جوهرية تكفي لتسيير الباخرة نوماثان من نيويورك الى انجلترا واعادتها. وبعضهم يرى ان البروق والصواعق قد تكون سبيلهم الى الفوز على الجوهر الفرد وتحنيه واطلاق القوة التي فيه

فمن المعلوم ان صاعقة منقضة تحدث اضطراباً عظيماً بين الدقائق التي تعترض سبيلها . فيتأين الهواء اي ان تيار الكهارب السريعة التي تنطلق من غيمة سلبية الى غيمة ايجابية تصطدم بدقائق الهواء فتمزقها وتطلق بعض كهاربها فينجم عن ذلك اتحاد بين عناصر الهواء على وجوه مختلفة ينتج عنهُ الاوزون والاكسيد النتروس والحامض النتريك . ويذهب بعض العلماء الى ان قوة الاصطدام بين الكهارب الصاعقة ودقائق الهواء يحوّل بعضها اكسجين الهواء ونتروجينه الى هليوم وهدروجين . فاذا صحّ ذلك فان قوة الصاعقة التي تقدّر بملايين الملايين من الاحصنة تدخل معقل الجوهر الفرد عنوة وتطلق قوتهُ المذخورة فيه

وباحث طائفة كبيرة من العلماء الكهربائيين متجهة الى هذا الموضوع فقد اعلن علماء معهد كارنجي بوشنطن أنهم صنعوا ادوات كهربائية تمكنهم من احداث شرارة كهربائية تماثل في ضغطها الكهربائي (*Voltage*) بروق السماء . وعنيت طائفة من علماء الالمان من جامعة برلين بالذهاب الى جبال الالب السويسرية لمحاولة التقاط القوة الكهربائية من الفضاء حين لمعان البرق فأمّوا مقاطعة على مقربة من لوغانو مشهورة بكثرة عواصفها ثم علقوا بين قمتي جبلين سلكاً ضخماً في وسط شبكة من السلك مساحتها مئات من الامتار المربعة ووصلوا هذه الشبكة بأسلاك الى بيت معدني اقاموا هم فيه لمراقبة المقاييس الكهربائية التي نصبوها فيه . وقد استأنف هؤلاء العلماء تجاربهم في هذا الصيف ولم نقف بعد على النتائج التي اسفرت عنها

اما فعل العواصف المدمّر فحدّث عنهُ ولا حرج . فهي تقتل ٦٠٠ شخص كل سنة في الولايات المتحدة. وهي في بعض الولايات السبب الرئيسي لاكثر الحرائق التي تقع فيها. والبروق تسبب ٣٠٠٠ حريق من حرائق الغابات وغيرها من الحرائق التي تحدث في آبار البترول. على ان اكبر جانب من الخسارة يقع على العامل من جرّاء انقضاض الصواعق على الاسلاك الكهربائية تمنع العامل من مواصلة اعمالها وفي بعضها كصناعة السلك لابدّ من هذا الاستمرار لنجاح العمل. وتدل الاحصاءات التي جمعت في ١٦٥ معملاً ان عمل هذه المصالح توقف ٤٤٥٠ مرة بسبب تعطيل النظام الكهربائي الناشيء عن انقضاض الصواعق. لذلك عني المهندسون الكهربائيون بدرس البروق والصواعق وغايتهم الاولى منع الضرر الناشيء عنها لا حصرها واستعمالها على الوجه الذي اشرنا اليه. ويقول العارفون انهُ لا تنقضي سنوات قليلة حتى يصير في امكان المهندسين ان يقوا كلّ الاسلاك والاجهزة الكهربائية من الصواعق

كيف يحافظون على ثروتهم

الزراعية ويكافحون آفاتها

تحذير موجّهٌ الى الزرّاع ووزارة الزراعة

زيارة واحدة الى بلنسية قلب المنطقة الأورية التي تزرع الفاكهة وموطن البرتقال والتين والعنب تكفي لاقناعنا بشدة الضرر الذي تلحقهُ الحشرات الفتاكة بالنباتات وتهدد به مصادر الثروة في تلك البلاد وغيرها

الشهر شهر مارس والأثمار التي لم يكمل نضجها بعد ملقاة على الأرض كوماً كوماً . وما بقي منها على الأشجار لونهُ أخضر شاحب يدلُّ على المرض الذي نزل به، وعليه بقع وفيه ثقوب تشير الى أنهُ لاحق بما تقدمهُ. والجوّ مفعم بحقيف ملايين من الأجنحة وطنين الذبّان وغيره من الحشرات الطائرة

هذا هو فعل ذبابة الفاكهة التي تعرف بذبابة البحر الأبيض المتوسط . وقد كان هذا فعلها من سبعين سنة الى الآن . فقد امتدَّ ضرر هذه الحشرات الفتاكة الى بلدان أوربا وأفريقية واتصل بالهند وأوستراليا ووصل حديثاً الى الولايات المتحدة رغم الذرائع الفعّالة التي توسلت بها حكومتها لمنعها فأخذت تنتشر في بساتينها وكان من أثرها أن جملة من البنوك الزراعية أفلست لأن عملاءها من أصحاب البساتين أصيبوا من هذه الحشرات في المقتل — في مصدر ثروتهم

على أن الحكومة الأميركية يقظة للخطر المحدق بزراعتها من هذا القبيل. وقد خاض رجالها مع هذه الحشرات حرباً قد لا تقلُّ شدّة عن الحرب العامة . فهي تحاربها الآن بالغازات السامة والنار الآكلة والخادق والمصادرة وقد جردت لذلك نجدة علمائها ولا تزال النتيجة معلقة في الميزان والمستقبل ملبّداً بغيوم الفشل

من كان يدري أن حشرة صغيرة كذبابة الفاكهة ليست أكبر حجماً من الذباب العادي ولا هي مجهزة بأسنان قاضمة او مخالب فتاكة كبعض الحيوانات والحشرات ، تأتي الذعر في روع حكومة قوية غنية كالحكومة الأميركية وشعب نشيط متيقظ كالشعب الاميركي . على أن هذه الحشرة الصغيرة شرعة كلُّ الشره في امتصاص عصير الحياة من

الأثمار وسريعة التوالد حتى يتكون من نسل ذبابة واحدة منها كتلة تفوق الأرض حجماً اذا تركت تتكاثر بضع سنوات من غير ما يفتك بنسلها

شوهدت ذبابة الفاكهة المعروفة بذبابة البحر المتوسط اولاً في جزائر موريشوس على شاطىء افريقيا الشرقي سنة ١٨١٧ وسنة ١٨٢٧ كانت قد اتصلت بجزائر الازورس وجزائر كناري وسنة ١٨٤٢ وصلت الى اسبانيا وحلّت في بساتين البرتقال فيها . ولم ينقضِ القرن التاسع عشر حتى كان قد انتشرت في كل البلدان التي تحيط بالبحر الأبيض المتوسط من جبل طارق الى فلسطين ومن تونس والجزائر الى طولون وجنوب فرنسا وايطاليا . وانتقلت مع الفاكهة التي تنقلها البواخر التي تمخر البحار فوصلت الى غرب أوستراليا سنة ١٨٩٧ والى شرقها سنة ١٨٩٨ . وأكتسحت البرازيل سنة ١٩٠٧ واتصلت بجزائر هواي في وسط الاوقيانوس الباسفيكي سنة ١٩١٠ ولما حلّت الحكومة في كاليفورنيا الى وضع الحوائل دون وصولها الى بساتين الفاكهة فيها فازت في تحقيق غرضها

وخوفاً من ان تتصل ببساتين فلوريدا عُهد الى وزارة الزراعة الاميركية في المراقبة الشديدة لمنعها واصبح هذا العمل واجباً وطنيًّا في نظر الاميركيين . الاّ أن هذه الذبابة كانت قد وصلت الى جزائر برميودا وهي الى الشرق من شاطئ الولايات المتحدة الشرقي في اواسط القرن الماضي ولكن حكومة هذه الجزائر لم تسع سعياً مًّا لمكافحتها والمرجح ان وصولها الى فلوريدا كان عن طريق بعض المهرّبات من جزائر برميودا

كيف كشف عنها في اميركا

اتفق ان جماعة من الاصحاب وبينهم عالم من علماء الحشرات يدعى غودرون كانوا مسافرين في ٧ ابريل الماضي بولاية فلوريدا فاشتروا سلاً من الليمون الهندي فلما فتح السل استغرب الدكتور غودرون ما رآه في الليمون الذي امامهُ من جفاف في لبه ووجود اقنية دقيقة متعرجة داخل قشره فخطر لهُ ان ذبابة الفاكهة هي سبب ما شاهده فبحث في الحال امثلة من الليمون الذي شاهدهُ الى وزارة الزراعة بوشنطن لفحصه ولما علم رئيس قسم النباتات في ولاية فلوريدا بذلك اسرع الى جمع امثلة من الذباب الذي يكثر في بساتين الليمون وارسلها بالبريد الجوي الى وشنطن فتأكد علماء وزارة الزراعة ان الذبابة هي ذبابة الفاكهة الخطرة. وللحال دُقَّ في اطراف البلاد ناقوس الخطر واتخذت الاحتياطات اللازمة لحصر المنطقة التي ظهرت فيها بوادر الوباء . ولكن مقادير كبيرة من الفاكهة كانت قد ارسلت من هذه المنطقة الى جميع أطراف البلاد بالسكة الحديدة وبسيارات النقل والسيارات الخاصة . فلما تناول العلماء الفاكهة التي لا تزال على الاشجار وجدوها كلها مصابة ووجدوا كذلك الفاكهة المطروحة

على الارض مرتعاً اتخذه الذباب لالقاء بيضه فيه فنعت الحكومة في الحال اخراج الفاكهة من هذه المنطقة . ولم تنقض ساعات على تثبت الحكومة من وجود هذه الذبابة في فلوريدا وخروجها منها مع احمال الفاكهة الى غيرها من الولايات حتى ارسلت البرقية الى وكلاء وزارة الزراعة في كل الولايات لبحث الدقيق عنها في البساتين وحصرها. فوردت انباء تشير الى ظهورها في ولايات اوهايو ولويزيانا وتيويورك وتورث كارولينا وتيسي . ولما كان من المتعذر حصر البلدان التي ذهبت اليها احمال الفاكهة من فلوريدا فقد تنقضي سنة قبلما تتمكن الحكومة من معرفة كل الاماكن المصابة الآن بهذه الآفة الفاكة . وقد اجمع العلماء على امتداح اليقظة التي ابدتها الحكومة الاميركية وسرعتها في اتخاذ التدابير لمكافحة الوباء

طرق مكافحتها

انحصرت المكافحة اولاً في المنطقة الموبوءة فحفرت الخنادق وطمرت فيها الاثمار والخضراوات المصابة التي القى فيها الذباب بيضهُ وغطيت بطبقة كثيفة من الجير والماء ثم بالزيت الجامي ووضع فوق كل ذلك غطاء من التراب عمقه ثلاث اقدام . ولكن الاثمار التي كانت تسقط على الارض مصابة بهذه الآفة كانت اكثر مما تتسع له الخنادق على سرعة حفرها . وكان الهواء حافلاً بملايين من الذباب الذي اخذ يبحث عن مرتع آخر له لالقاء بيضه فيه بعد منع عن الأثمار التي كانت تطمر في الخنادق . كان الخطر محدقاً والزمن قصيراً والعلم ليس لديه وسيلة لمعالجة الحالة معالجة شاملة. فاشارت وزارة الزراعة باستعمال مادة حلوة فيها سمٌ تجتذب الذباب اليها لحلاوتها فيأكلها فيموت. وكانت هذه الطريقة قد استعملت في جنوب اميركا ونجحت الى حد بعيد. وكانت المادة المستعملة نوعاً من الدبس تمزج به مادة زرنيخية وترش على الاشجار وعلى الاثمار المتفتقة على الارض

واستعمل سيانيد البوتاسيوم المسحوق لتدخن به الاشجار . ثم نشرت على الارض ملاءات تغطيها فكان الذباب اذا استنشق الدخان يقع على الملاءات مغمياً عليه فيجمع ويحرق. وهكذا ترى ان المنطقة الموبوءة بذبابة الفاكهة اصبحت شبيهة بميدان من ميادين الحرب الكبرى — غمامات الدخان السام ترتفع في جوها وتدفع بين اشجارها ومئات السود يؤلفون فرقاً فرقاً للقيام بحفر الخنادق وجمع الفاكهة وحرقها وطواقم من كثافة العلم متفرقة هنا وهناك للبحث عن المناطق المجاورة التي اتصل بها اثر هذه الآفة. ومن وراء هؤلاء كلهم جماعة العلماء بطبائع الحشرات وكأنهم القواد في الحرب لا ينون عن ابتداع الخطط للهجوم ولا تأخذ عيونهم سنة الكرى. ومع كل ذلك خسرت بساتين فلوريدا ما قيمتهُ ثلاثة ملايين جنيه في ثلاثة اشهر فقط اما ما خسرتهُ سائر البلدان مدى قرن او بعض قرن فيفوق الحصر والتقدير

ومن المعروف لدى العلماء ان من الوسائل الفعالة لمكافحة الآفات الحشرية اختيار حشرة تلتهم الحشرة التي يراد مكافحتها واطلاقها في البساتين التي تعيث تلك فساداً فيها . على ان في هذه الوسيلة خطراً كبيراً او تعرضاً لخطر كبير . ذلك ان الحشرة التي يؤتى بها لفتك بذباب الفاكهة مثلاً قد تنقلب عاداتها الغذائية فبدلاً من ان تلتهم الذباب تتحالف معهُ على التهام الفاكهة فيستفحل امرها وتتعذر مكافحة النوعين معاً . ثم ان الحشرة الجديدة لن تستطيع ان تهلك آخر ذبابة لأنها تتعرض قبل ذلك لقلة الغذاء الذي تتغذى به . فتعود الذبابات القليلة التي لم تتعرض الى التوليد والتكاثر

وفعل الذبابة يكونُ على اشده قبلما تبلغ الذبابة اشدها اى حين تكون دودة شرهة تلتهم كل ما تقع عليه في طريقها . فان انثى الذبابة تخترق قشور الثمار او الخضراوات الناضجة او التي قاربت النضوج وتدسُّ تحتها بيضها . والذبابة الواحدة تستطيع ان تبيض اكثر من ٦٠٠ بيضة الى ٨٠٠ بيضة في اثناء حياتها . والجو الحار يطيل حياتها فيكثر ما تبيضهُ ويشتد بذلك خطرها على الثمار . فقد عرف ذباب عاش حتى تجاوز عمرهُ سبعة شهور

ومتى تفقس البيض داخل القشرة تأخذ الدودة في امتصاص عصير الثمرة فتحفر امامها طريقاً لها وهذا منشأ الاثنية المتعرجة التي تشاهد في داخل الثمرة المصابة . ويسهل انقضاء على الدودة في هذا الدور بأخذ الثمار المصابة وحرقها . وبعدما تقضي الدودة داخل الثمرة اثني عشر يوماً تشق طريقها الى الخارج وحجمها لا يزيد على حجم حبة حنطه تقع على الارض وتمكث في التراب على عمق ثلاث بوصات احياناً الى ان تصير ذبابة طائرة . ومن اكبر الحوائل دون مكافحة هذه الحشرات مكافحة ناجحة سرعة اختفائها في التراب . فلا يكتفى حينئذٍ بجمع الثمار المصابة المطروحة على الارض وحرقها بل يجب معالجة التربة نفسها بالغاز السام او بالجير الحارق حتى يتلف كل الدود الذي فيها قبل ان يصير ذباباً . ومتى انقلت الدودة الى دور الفراشة وصارت ذبابة تبدأ الدورة من جديد فتخترق قشر الثمر وتدسُّ بيضها تحتهُ . والثمار التي تفضلها الذبابة على غيرها هي الليمون الهندي والخوخ (الدراقن) والبرتقال والمانجو والكمثرى والكرز والتفاح والطماطم وغيرها وهي تفضل الثمرة الناضجة او القريبة النضوج على الثمار الفجة . اما الثمار التي قشرتها قاسية كالبطيخ والاناناس فليست عرضة لفتكها . ولما كانت النزعة في مصر الآن متجهة الى الاكثار من بساتين الفاكهة فواجبٌ على وزارة الزراعة والجمعية الزراعية الملكية والنقابة الزراعية ان تدبر هذا الموضوع حتى لا يكون غرس اشجار الفاكهة وسيلة لزيادة انتشار هذا النوع من الذباب بزيادة الغذاء الذي يتغذى به وقد علمنا ان وزارة الزراعة تكافح هذه الحشرة مجاناً فجدير بالزراع التنبه الى هذا الامر الخطير

باب شؤون المرأة
وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي نخرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الزواج والفحص الطبي

نقتصر هذا الفصل على ذكر التعليمات التي بنت بها مصلحة الصحة الى المأذونين الشرعيين يطلب اليهم فيها تشديد العناية بالشهادات الطبية قبل منحهم الاذن بالزواج . فهذا عمل عمراني جليل ويجب التشدد كل التشدد في تطبيقه

هذه مقالة صريحة في موضوع عمراني حيوي ولا بدّ من مواجهة الحقائق في مثل هذه المواضيع. فكثيرون من الوالدين يرفضون أن يزوجوا بناتهم من رجال ادمنوا المسكرات مثلاً ولكن التقاليد المرعية تمنعهم أن يسألوا هل طالب الزواج مصاب بمرض خبيث معدٍ . لذلك آثرنا نقل هذه المقالة المفيدة عن مجلة الدكتور الطبية

ان الأحوال التي يطلب فيها من الشاب أن يفحص جسمهُ فحصاً طبيًّا دقيقاً وليحصل على شهادة طبية رسمية قليلة جدًّا أشهرها حين التأمين على حياته في شركة من شركات التأمين الكبرى فيفحصهُ حينئذٍ أحد اطباء الشركة . كذلك تطلب الحكومة مثل هذا الفحص ممن يطلب الانضمام الى مصلحة من مصالحها. وهذا هو عمل القومسيون الطبي هنا . وفي بعض البلدان التجارية تطلب الشركات التجارية ذلك ممن يطلب الانضمام الى مكتب من مكاتبها البعيدة . وفي كل هذه الأحوال لا يحسب طلب الشهادة الطبية أو الفحص الطبي اهانة أو امراً غريباً

وعلى الضدّ من ذلك نشاهد قلة الاهتمام بزواج فتيان هذا العصر وفتياته من الوجه الصحي . فشركات التأمين لا ترضى ان تعرض للتأمين على حياة رجل فحر في عظمه سوس

المرض والحكومات والشركات التجارية تطلب شهادة صحية تؤمن على مصالحها إذ تعلم ان من يتولى السهر على تلك المصالح كفوء من الوجه الصحي . ولكن ما أكثر الرجال الذين تراهم مستعدين للتضحية بسعادتهم مدى الحياة لأنهم لم يهتموا بفحص صحتهم فحصاً طبياً دقيقاً والتأكد من أنهم صالحون للزواج

فمن الواجب أن تتخذ خطة جديدة في أمر الزواج . وكل الذين على اهبته سواء كانوا رجالاً أو نساء وكل الآباء يجب أن يطالبوا بحق لهم وهو الوقوف على حالة طالب الزواج الصحية وهل هو سليم من الامراض المعدية على اختلافها . فما من شاب يجرب أن يخفي عن خطيبته حالته المالية مع ان الأسئلة التي توجه اليه في هذا الموضوع تحسب مخلة باللياقة ولكن الأمور الصحية أهم بما لا يقاس من الأمور المالية

كثيرون لا يعيرون علم « اصلاح النسل Eugenics » اقلّ عناية لأنهم يرون ان قواعده التي تقضي بأن يكون المتزوجون من مستوى واحد في العقل والجسم والطبقة الاجتماعية وان عاطفة الحب الجنسي يجب ألاّ تكون الدليل الى الزواج وغير ذلك من الامور التي لا يقبل بها العمران الآن . لكن لماذا نختلف على الأسماء والمسألة المهمة بسيطة جداً وهي ان علم الطب ارتقى ارتقاء كبيراً وأصبح الطبيب البارع قادراً ان يشخص الأمراض المعدية بدقة تامة . وكثيرون من المصابين بهذه الأمراض لا يدرون انهم مصابون بها . لذلك يجب ان ينشأ رأي عام يقضي بفحصهم واذا كانوا مصابين يجب ألاّ يتزوجوا ما زالوا كذلك

فعلى والد كل فتاة أن يعرف هل زوجها المنتظر مصاب بالسلّ مثلاً أو بمرض زهري، وتلك المعرفة في مصلحة ابنته وهي مما يسهل الحصول عليه

مكروب السل معروف شكله وكل بكتريولوجي يستطيع البتّ في هل هو في بصاق أحد أو لا . فاذا كان موجوداً فصاحب ذلك البصاق يجب ألاّ يتزوج لأنه اذا تزوج أعدى امرأته وأولاده ايضاً . والحوادث التي تؤيد هذا القول كثيرة

كذلك امتحان الدم يظهر بصورة لا تقبل الشك هل صاحب الدم مصاب بمرض زهري . ولا شك ان القارىء يستطيع أن يعدّد الامثلة التي هدمت فيها سعادة عائلة اتصل مكروب احد هذه الأمراض الخبيثة الى افرادها لأن الوالد لم يهتم بفحص جسمه قبل اقدامه على الزواج

فالواجب يقضي إذاً على كل رجل شريف ان يكون على بينة من حالته الصحية قبل ان يقدم على الزواج . ولكن كثيرين من الرجال يصابون بمرض خبيث معدٍ ولا

يدرون . لذلك يقع الواجب على والد الفتاة بأن ينبه صهره المنتظر الى ذلك الأمر وان لا يكتفي بعد ذلك الا بشهادة طبية رسمية . وذلك لا يعني انهُ في حالة الاصابة يمنع عقد الزواج بين شاب وفتاة قد تحابّا بل يؤجل الزواج ما زال احدهما مصاباً وعلى المصاب ان يتعالج حتى ينال الشفاء التام وهذا ليس بالأمر المستحيل على الطب في هذا العصر

وهنالك مسألة الأمراض العقلية الموروثة وهي معقدة لا يسهل البتُّ فيها كالسلّ وغيره . فقد تعلم فتاة ان خطيبها من والدين ماتا في بيمارستان المجانين وترفض الانفصال عنهُ وقد تكون في ذلك على حق ولكن خير لها ان تعرف ذلك قبل ان تعلن عزمها النهائي فان كون والديه مجنونين لا يستلزم انتقال الجنون اليه وهذا تشارلس لام أحد كبار الكتّاب عند الانكليز كان ابن معتوهين وأخاً لمعتوهٍ

كذلك قد يظهر الفحص الطبي ضعفاً في القلب وقد يصاب صاحب القلب الضعيف بما يقعده عن العمل كل حياته . فيقول قائل ان زواجاً أبطل لهذا السبب يكون ابطالهُ مدعاة للخجل فنقول ان الاهتمام بمثل هذه المسألة يوازي الاهتمام بمسألة ثروة الخطيب على الأقل

لم نذكر حتى الآن فوائد فحص المرأة فحصاً طبيًّا قبل زواجها لأن الرجل في الأسرة عليهِ المعوّل في اعالتها ولذلك يجب ان نعير صحتهُ التفاتاً كبيراً

لكنّ على المرأة ان تعرف بعض الحقائق عن حالتها الصحية لئلا يكون زواجها عجلة للتعس والألم والشقاء . فبعض النساء تعسر عليهنّ الولادة لسبب في تكوين اعضاء الولادة . وهنالك بعض الأمراض الوراثية التي لا تنتقل الا بالنساء اشهرها الترف الدموي ولكنهُ نادر جدًّا لا يهمنا بحثهُ هنا

فالحاجة اذاً جلية غاية الجلاء وقد يأتي يوم يصبح الزواج المنعقد بين اثنين احدهما مصاب بمرض معدٍ جريمةً يعاقب عليها . والوالد الذي يهمل البحث عن صحة صهره العتيد باخلاص مسؤول لدى ابنته التي يحق لها ان تعتمد عليهِ في ذلك

العناية بالاطفال

صحة الطفل اساس المدنية

كريم — سمعتك تقول مرةً ان اساس المدنية قائم او يجب ان يكون قائماً على صحة الطفل وان ما تبذله الحكومات والجماعات والعلماء من مجهود في سبيل تحسينها وازدياد نضارتها انما هو في الواقع تحسين في مظاهر المدنية وتثبيت لدعائمها واني اترك على هذا الرأي واعتقد بصوابهِ ولكني أنكر بشدة مذهب القضاء والقدر الذي لا يزال مع الاسف

عقيدةٌ اصيلة في نفوس معظم الامهات ممّا يحرص على أن هذا المجهود من الحكومات والجماعات والاطباء العلماء مثيل يحتاج الى التوسع فيه ومضاعفة الايدي العاملة على إذاعة مراميه من غير هوادة أو تردد

الدكتور — اما عقيدة القضاء والقدر فالافضل ألاّ نذكرها في حديثنا لا بقليل ولا بكثير لقلقلة اصولها بنشر المعارف وتعليم الوالدات كيف يربّين اولادهنّ تربيةً صحيحة الاساس سليمة من شوائب العادات السخيفة والعقائد الواهية

كريم — حسناً واذا خرجنا بممدوح الى النزهة فما هي الاحتياطات التي يجب اتخاذها ؟

الدكتور — ان لا تعرّضهُ للهواء العاصف وان تكون قدماه مغطيتين وان لا يقع على عينيه نور الشمس في حالتَي اليقظة والنوم

كريم — ما هي الفوائد التي يجنيها ممدوح من النزهة ؟

الدكتور — انت تعلم ان الهواء النقي لا يوجد الاّ في الخلاء وهو ضروري لصحة الجسم وتنقية الدم وتنشيط دورته وحاجة الجسم اليه مثل حاجته الى الغذاء سواء بسواء

كريم — ما هي النتيجة التي تظهر على الاطفال اذا تعرضوا للهواء الطلق ؟

الدكتور — تتحسّن قابليتهم للاكل وينتظم عمل الهضم وتتورد خدودهم

كريم — هل ثمة فائدة ما في ان يُعرَّض الطفل للهواء كما تقدم ذكره محمولاً على ذراعَي المربّية وهو لا يزال دون الستة الاشهر من العمر ؟

الدكتور — كلاّ يفضّل كثيراً ان تمرّ له هذه النزهة وهو مسطح في عربة اليد متدثر غير معرَّض للبرد وعصف الهواء

كريم — اهناك ما يمنع ان ينام الطفل وهو في النزهة ؟

الدكتور — كلاّ فان الطفل وهو نائم ليس بأكثر تعرُّض للبرد منه وهو مستيقظ وترى الاطفال الذين ينامون في أثناء هذه النزه أسلم بنية واقل استعداداً للزكام وغير الزكام من الذين لا يخرجون الى النزهة ولا يتسنّى لهم النوم في الخلاء

كريم — ماذا يصنع للاطفال الذين يصابون بالزكام بسهولة او كيف نقيهم من هذا الداء ؟

الدكتور — يجب ان يتربّوا على نظام صحي وان لا يلبسوا الثياب الثقيلة وان يناموا في غرف حرارتها معتدلة كما تقدّم ذكره

وزن الطفل

ثم التفت الى السيدة وطلب منها ان تقف على الميزان وحدها ثم هي وطفلها وبعد ان قيّد ثقل جسم الطفل وكتب له الدواء وزوّد والدته بالتعليمات قال لكريم : لا شك ان

الازدياد الى ان يبلغ الطفل ستة اشهر من العمر وثم يقل ازدياد وزنه الى ٦٠ـ١٢٠ غراماً كل اسبوع حتى آخر العام الاول

كريم — هل ازدياد وزن الطفل الذي يتغذى من اللبن الاصطناعي معادل لازدياد وزن الطفل الذي ينشأ على رضاع الثدي ؟

الدكتور — قلما يكون ذلك في الشهر الاول واما بعده فقد يصبح ازدياد وزن الاول مطرداً واذا حصلت له العناية التامة ازداد نموه عند انتهاء العام الاول عن نموه الثاني الذي ينقص وزنه بسبب الفطام في ذلك الوقت

كريم — لماذا لا يزداد وزن الطفل في الاسبوع الاول بعد ولادته ؟

الدكتور — لان معدته بحاجة الى وقت ما قبل ان تألف لبن البقر وتسيغ هضمه ولا يلزمها في البدء الا القليل منه فقط كي لا يسوء هضمها ويختل نظام سيرها

وفيما يلي جدول يبين معدل نمو الاطفال عند الولادة الى السنة الخامسة :—

عند الولادة يتراوح الوزن من ٧ الى ٩ ليبرا . والطول من ٢٠ الى ٢١ بوصة ودائرة الصدر من ١٣ الى ١٣½ بوصة ودائرة الرأس من ١٣½ الى ١٤ بوصة

وفي السنة الاولى يتراوح الوزن من ٢٠ الى ٢٣ ليبرا والطول من ٢٨½ الى ٣١ بوصة ودائرة الصدر من ١٨ الى ١٩½ بوصة ودائرة الرأس من ١٨½ الى ١٩ بوصة

وفي السنة الثانية يتراوح الوزن من ٢٥ الى ٢٩½ ليبرا والطول من ٣٢½ الى ٣٦ بوصة ودائرة الصدر من ١٩ الى ٢٠ بوصة ودائرة الرأس من ١٩ الى ١٩½

وفي السنة الثالثة يتراوح الوزن من ٣٠ الى ٣٥ ليبرا والطول من ٣٦ الى ٣٩½ بوصة ودائرة الصدر من ١٩½ الى ٢١½ بوصة ودائرة الرأس من ١٩½ الى ٢٠ بوصة

وفي السنة الرابعة يتراوح الوزن من ٣٤ الى ٣٩½ ليبرا والطول من ٣٩ الى ٤٢½ بوصة ودائرة الصدر من ٢٠ الى ٢٢ بوصة ودائرة الرأس ١٩½ الى ٢٠½ بوصة

وفي السنة الخامسة يتراوح الوزن من ٣٨ الى ٤٤ ليبرا والطول من ٤١½ الى ٤٥ بوصة ودائرة الصدر من ٢٠½ الى ٢٢½ بوصة ودائرة الرأس من ٢٠ الى ٢٠½ بوصة .

وقد ظهر ان معدل وزن الاناث يقل عن معدل وزن الذكور بنصف ليبرا واما طولهن فيقل عن طولهم بمقدار يتراوح حسب الاعمار بين ½ و ¼ بوصة .

كريم — اذا كان وزن الطفل عند الولادة ٧½ ليبرا فماذا يجب ان يكون في خلال العام الاول ؟

الدكتور — يجب ان يكون من ١٢ — ١٣ ليبرا عند بلوغه الستة اشهر ومن ١٨ — ١٩ ليبرا عند بلوغه السنة اشهر . وبوجه الاجمال يمكننا ان نقول ان وزن الطفل الصحيح

هذه خير الطرق للتثبت من صحة الطفل وحقيقة سيرها

كريم — وهل لوزن الطفل شأن يعدو عن معرفة كم رطل او كيلو يزن جسمه ؟

الدكتور — لا ريب أن وزن الطفل له شأن لا يقف عند هذا الحد بل يتعداه فيستدل منهُ على صحة الطفل ونموّه ويحسن بكل والدة ان تعنى بوزن طفلها في سنته الاولى وان تحفظ سجلاً خاصًا تدوّن به وزنهُ ومن مراجعها هذه السجل وما دون فيها من ارقام تقف على حالة ولدها الصحية وعلى مقدار تدرّجه تدارج النمو

كريم — كم مرة يجب أن يوزن الطفل ؟

الدكتور — مرّة كل اسبوع في خلال الستة اشهر الاولى ومرة كل اسبوعين في الستة اشهر الثانية ومرة كل شهر بعد ان يتجاوز العام الاول

كريم — ما هو معدل ازدياد وزن الطفل في سنته الاولى ؟

الدكتور — ينقص وزنه غالباً في الاسبوع الاول ويتراوح هذا النقص بين ١٢٠ و ٢٤٠ غراماً واما بعد ذلك فيزداد زيادةً تتراوح بين ١٢٠ و ٢٤٠ غراماً ايضاً ويدوم هذا الجسم السليم البنية يصبح في الخمسة أشهر الاولى ضعفَي ماكان عليه عند الولادة وثلاثة اضعافه عند انتهاء العام الاول .

كريم — هل يزداد وزن الاطفال الاصحاء ازدياداً منتظماً في السنة الاولى ؟

الدكتور — يكون ازدياد وزنهم منتظماً في الغالب إلاّ في بضعة أسابيع بين الشهر السابع والعاشر حيثما يبطل بالمرة ويكون ذلك عند بدء ظهور الاسنان او في الايام الشديدة القيظ .

كريم — هل يدل الازدياد السريع في الوزن على صحة جيدة ونموّ منتظم ؟

الدكتور — كلا فقد يزداد وزن الاطفال الذين يُغذَّون اللبن الصناعي مثلاً دون ان يزدادوا قوة وعافية وذلك لاسباب أذكرها فيما بعد

كريم — هل يدل وزن الطفل في السنة الثانية على حالته الصحية كما يدل عليها في السنة الاولى ؟

الدكتور — لا يكون ازدياد وزنه منتظماً بعد السنة الاولى وعدم انتظامه راجع الى أسباب مطومة تتعلق بفصول السنة والى اسباب لا تزال مجهولة

كريم — متى يجب ان يكون اليافوخ متلاصقاً ؟

الدكتور : يحدث ذلك غالباً في الشهر الثامن عشر ونادراً قبل الشهر الثالث عشر او الرابع عشر واما في الاطفال الاصحاء فقبل بلوغهم العام الثاني

الدكتور شخاشيري

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان ولكن انهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع للمقتطف ويراعى في الادراج وضعه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيما كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحق على المطولة

نجبة دمشق

وصلتنا هذه القصيدة الفاخرة مع خطبة تاريخية نفيسة موضوعها « الرازي » بعد ما طبعت اكثر ملازم المقتطف فرأينا ان تثبت القصيدة هنا مرجئين نشر الخطبة الى الجزء الثاني

أأليك ام لله كان مآبي دار العلوم وكعبة الآداب
أأليك ام لله كان مآبي امّ المشارق منزل الاحباب
بك زُجَّ بولس في السجون لعهد — حارثك الكبير وفرَّ بعد عذاب
واليك ساق ابو عبيدة فيلقاً للفتح فيه خُلَّص الاعرابِ
فلآل عيسى فيك ذكرى ذكرها حيٌّ مداه نهاية الاحقابِ
ولآل احمد انت غرة فتحهم من عهد نجمة قطبه الخطّابِ
الامتان فداك ان نفذ القضا بمكارم كلح الوجوه صعابِ
اخلاص كلٌّ منهما لك كافل وجد الكنيسة فيك والمحرابِ

***

لله غوطتك الفريدة انها شتى الجمائر وقصد كل طلابِ
وشي الزمرّد في اعالي تلها عندٌ فوق الباطح وهضابِ
وثيرٌ ياقوت الثمار اصوله تسقى بفيض لجينها الذوّابِ
يردى ومن يذكر عصابة جلق يذكر بي صيابة انجابِ
يردى يصفق منذ حسّان ومن يزل به ينزل على الترحابِ

يردى امية انشأت في ارضه للعرب عرشاً مسطرٌ جنابِ
والفخر والامجاد في شرفاته والدهر بعض عبيده بالبابِ
غنى ابن عائشة والشدَ معبد فيه بذكر بثينة ورباب
دالوا. ليذكر كل ذي لبث بان المجدَ ليس بقينةٍ وربابِ

***

ما غيبوا في الشرق حتى اطلعوا في الغربِ ما لا يبتلى بنيابِ
عصر المعارف والفنون ولامح — الآثار والتأليف والآدابِ
لله آثار هناك مجيدة بل اي انقاضٍ واي خرابِ
لتكاد تسمع ابن رشدٍ مفتياً فيها امام جماعة الطلابِ
وتكاد تسمع ابن زهرٍ شافياً يحدو اليه العيس كلَّ مصابِ
وترى ابا العباس في سباره عين البصير واصبع المرتابِ
وتكاد تسمع في زواياها صدى انشاد واحد عصره زرياب
زرياب فاتن ارضها وسمائها شيخ الصناعة سيّد الاطرابِ
وتكاد تسمع ابن بطار دقـــــين دمشق يروي قصة الاعشابِ

***

ارثا امية معرض بكليها يدعو الى الاكبارِ والاعجابِ
قد اثبتا صدق الوداد وجددا بين البنين وشائج الانسابِ
سمعاً امية اندلوس وشاهدوا في الشرق ما يقضي بكل عجابِ
عادت نضارة ملككم بمعارفٍ قد جددت للعلم اي شبابِ
بعثت نضارة ملككم بصناعةٍ قد جددت للعصر اي اهابِ
في عرضِ معرضها نشائس جمّةٍ اخاذة بمجامع الالبابِ
يهتزُّ فوق حريرها متلمعاً موج وما هو فيه غير سرابِ
ان المعارف ركن كل تمدنٍ والسدُّ فيه دون كل ثبابِ
ان الصناعة ركن كل تمدُّنٍ والسدُّ فيه دون كل يبابِ
ان تختلف احزابكم في مأزقٍ فعلى الصناعة كتلة الاحزابِ
او تفترق نوابكم في مشكلٍ فعلى المعارف وحدة النوابِ

***

أأكابر الاعيان فتية جلّقٍ واماثل الادباء والكتابِ

اوليتموني من جميل صنيعكم ما ليس يحصي حاسب بحساب
آثار جدّكم سناها ساطع ما بين باب بريدكم والجابي

***

لا زلت جلق بيت كل كريمة للشام ركناً ثابت الاسباب
وكفاك فخراً اذ نزيلك يوسف وثراك فيه مدفن الفارابي

الدكتور
لوريا كلية الطب باريس
يوسف فرج حرير

من المصيب

للاستاذ بندلي جوزي

لا يسعني الا ان أشكر للكاتب عبد اللطيف الطيباوي صاحب الردّ على بعض افكار ابديتها في مقالتي الاولى عن الخراج والجزية في الاسلام حسن ادبه ولطف عبارته ووقوفه في ردّه عند النقد العلمي واساسه « عن القراءة في القلوب » وسوء الظن الى غير ذلك مما لا علاقة له بالنقد العلمي الصحيح. واني اوكد لحضرته باني لا اقصد من كل ما اكتبه الا الحقيقة على قدر ما تتكشف لي وتساعدني معارفي وحالة العلم على ادراكها. واني اكره الجدل الباطل ولا اتعامى عن الحقيقة ان بدت لي في ابحاث غيري وليس لدي من الوقت ما اصرفه في سبيله وهذا سبب اساكي عن الرد على اكثر ما نشرته مجلاتنا من النقد او التقريظ السطحي لكتابي « من تاريخ الحركات الاشتراكية في الاسلام » وهذا ايضاً ما يدفعني الآن الى الرد على بعض اعتراضات الكاتب المذكور

يسمح لي الكاتب الفاضل قبل ان انظر في اعتراضه الجوهري الوحيد ان ألفت نظره الى بعض نقط ثانوية خارجة عن الموضوع الخلافي بيننا وبعيدة عن الحقيقة. من ذلك انهُ ينسب الي التطرّف في التفسير للتاريخ الاقتصادي وهذا غير صحيح والاّ لحصرت كل اسباب سقوط الدولة العربية في سوء سياستها الاقتصادية. واما قلت ان هذه السياسة كانت « من اعظم اسباب سقوطها » وفي ذلك تنبيه الى ان هذا السقوط عوامل اخرى لم تكن بي حاجة الى ذكرها. وهنا يجدر بي ان اقول لحضرة المنتقد ان التفسير الاقتصادي للتاريخ هو اليوم التفسير الشائع في كل العالم المتمدن وبين العلماء على الاخص.

ومنها قوله بعد ان اورد عباراتي عن فحوى القرآن « بان الشطر الاول ليس بالجديد

عند الواقفين على آراء المستشرقين » وهو ايضاً غير صحيح لان اكثر المستشرقين على خلاف ذلك أي انهم ينظرون الى القرآن نظرهم الى كتاب احكام ومتن مفصّلة — وانا اعدّه — الا بضع سور منه — كتاب مبادىء واصول عامة وفي ذلك من الدفاع عن روح القرآن ومقامه ما لو فكر فيه حضرة المنتقد لما قال ان في عبارتي « من الغلوّ والبعد عن البحث العلمي المدعوم بالبراهين ما يجعلها غير جديرة بالمناقشة »

***

ومنها سؤاله كيف جوّزت لنفسي ان اقول ان «النبي العربي لم يفكر قط في بناء مملكة ضخمة» الخ وان اجزم جزماً باتّاً في مسئلة خطيرة مثل هذه دون بحث او مناقشة » وجوابي على ذلك اني لم اذكر هذا الموضوع الا عرضاً في مقدمة مقالتي لانه بعيد جدًّا عن مضمون المقالة كما لا يخفى على القارئ ولم يكن بي حاجة الى الخوض فيه وايراد آراء العلماء لان في ذلك خروجاً عن موضوع بحثي ولا لي الآن رغبة في ذلك لاني أخشى ان لا تفاهم مع صاحب الردّ فانا احاول ان ابني الحوادث التاريخية على نواميس طبيعية يقبلها العقل وحضرته يميل الى ما وراء الطبيعي كما يؤخذ من بعض عباراته. وليسمح لي ان احيله اذا احب التوسّع في هذا الموضوع والوقوف على آراء اشهر المستشرقين فيه الى مؤلفات الامير كايتاني *Annali de Islam 725* والاساتذة *Grimm* « محمد » (جزء اول) و*Wellhausen* « الدولة العربية وسقوطها » و*Goldziher* « ابحاث اسلامية » (ج اول ص ٧٣ —) و*Lammens* « معاوية » (ص ٤٣٤ —) وغيرهم. ويعذرني ان اقصر كلامي على بعض ملاحظات تتعلق باسلوب البحث اكثر منها بموضوعه

قال صاحب الردّ « ولعله (الضمير يرجع الي) تابع في ذلك السير *W. Muir* والبرنس *Caetani* — وهنا ذكر آراء الكاتبين المذكورين (لكنه لم يذكر اسما كتبهما ولا صفحاتها) وختم عبارته بقوله « فاذا كان الاستاذ قد جاراهما في هذا الزعم او انه توصل الى النتيجة ذاتها بنفسه فمن الواجب العلمي ان يذكر ازاء هذا الرأي عدة آراء تناقضه فذكر على سبيل المثال منها آراء الدكتور غولدزيهر والسير ارنولد » فاقول لحضرته اني اعتدت اذا اقتبست رأياً او عبارة ان اذكر مصدرها بالتدقيق كما يرى القارئ في جميع كتبي ومقالاتي العلمية وانه ليسرني جدًّا ان فكري الذي يعترض عليه حضرة عبد اللطيف الطياوي جاء موافقاً لآراء الكتبة المذكورين آنفاً وبينهم غولدزيهر ايضاً الذي لا اعلم لماذا استثناه حضرة المنتقد من جملة علماء الفرقة الاولى الذين ينكرون على النبي العربي رغبته او تفكيره في بناء مملكة واسعة الاطراف تشمل العالم القديم المعروف فقد ذكر العالم الاخير في كتابه *Mohammed*

Studien (ج ١ ص ٧٣ ٧٤) وكتاب آخر « قراآت في الاسلام » ص ٣٤ من الترجمة الروسية الباب الثاني ان المفكر الذي يدافع السيد الطباوي اختلقه الاعاجم او على الاقل بالغوا فيه وساعدوا على نشره بين الناس ليساووا بينهم وبين العرب وقد تناولته الشعوبية ايضاً واعتمد عليه في مقاومتها للعصبية العربية وسيادة العرب المطلقة. امّا *T. W. Arnold* فاني لم اقرأ له شيئاً ولا ارشدني صاحب الرد الى كتاب له معلوم لاطالعه ولا هو ذكر صفحات الكتاب . . .

***

وبعد هذا التمهيد وبعد ان حذّرني من سوء عاقبة التاسي ونبّه الى ان باب البحث « مفتوح على مصراعيه لمن يود ان يدرس بانصاف وتجرد عن كل غرض » اخذ يبني اعتراضه الجوهري الوحيد على فكري المذكور ويؤيده بالبراهين التاريخية وغيرها فقال : « وفي معتقدنا ان القرآن اصدق نص تاريخي يمكن الاعتماد عليه كل الاعتماد عند البحث في حياة الرسول » وهذا الاعتقاد هو اعتقادي ايضاً واعتقاد اكثر مشاهير المستشرقين في الوقت الحاضر . ولو وقف حضرة المنتقد عند القرآن وحده ولم يعدُه الى الحديث الذي لم يعد احد اليوم يعتمد عليه — بعد ابحاث غولدزيهر ولامنس — عند البحث في حياة الرسول لكانت حجته اقوى لأن الحديث يناقض بعضه بعضاً وأكثرهُ كما هو معلوم موضوع لغايات جدلية او مذهبية ناهيك عن ان اكثر الأحاديث التي ذكرها حضرة صاحب الرّد هي من المرسل وأسانيدها ضعيفة او مشكوك فيها كأكثر الأحاديث التي تعزى الى الموالي وأبي هريرة وابن العباس

فاذا اهملنا هذا المصدر المشكوك فيه بقي لدينا القرآن والشواهد التاريخية والأول اهم في بيان افكار النبي والدلالة على ما كان يرمي اليه من الأغراض السياسية وغيرها. ومن يطالع الكتاب العزيز « بانصاف وتجرد عن كل غرض » ويمعن النظر في الآيات التي ذكرها صاحب الرد ويقابلها على غيرها ثم يراجع بعض التفاسير القديمة لا يسعهُ الاّ ان يؤمّن على ما قلته في مقدمة مقالتي عرضاً من ان النبي لم يفكر قط في بناء مملكة واسعة كمملكة اسكندر والرومان الخ وان ابعد ما كان يرمي اليه ان تنتشر دعوته بين الأمة العربية وان تتوحّد هذه الأمة سياسيًّا ودينيًّا واداريًّا ولا يقدح في ذلك ما جاء في بعض الآيات من العبارات المعمّمة في الظاهر للدعوة كقوله « وما ارسلناك الاّ كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن اكثر الناس لا يعلمون » او قوله « وما ارسلناك الاّ رحمة للعالمين » لأن المراد هنا « بالعالمين » « وبالناس كافة » العرب فقط كما يظهر من

مقابلة هذه الآيات على غيرها من الآيات التي بيّن فيها النبي نظره الأساسي الى دعوته وهو انهُ بُعث للعرب خاصةً وان كتابه عربي مبين وان الله بعث ويبعث الى كل امة رسلاً وانبياء من بينها حتى لا تكون لها حجة يوم القيامة الى غير ذلك مما بسطناهُ في مقالة خصوصية في هذا الموضوع نشرناها سنة ١٩٠٧ باللغة الروسية

ولكن هب ان نظرية النبي هذه قد تطورت مع الزمن وتحت تأثير ما احرزه من النجاح وهو ما لا ينكرهُ اليوم احد وانهُ صار قبل وفاته يدعو « الناس كافة » الى الدخول في الاسلام افينتج يا ترى من هذا انهُ كان ينوي ايضاً ان يشيد مملكة ضخمة تضم بين اضلاعها العالم القديم كله و« ان لنشر الدين . . كان يتلوه عادة ملك سياسي لا صلة مباشرة له بالدين » كما يحاول ان يقنعنا صاحب الرد؟ نعم قد يكون ذلك لو سلمنا ان الاسلام لم يكن لينتشر الاَّ بالجهاد وان دعوة النبي كانت قائمة عليهِ فقط وهو ما لا يقول بهِ اليوم احد من كتبة المسلمين حتى ولا صاحب الرد الذي أحس بغلطهِ فزاد على الجهاد « الموعظة الحسنة وغيرها من ضروب الدعوة » ثم فسر كلة جهاد بمعناها الاصلي لا معناها الاصطلاحي الفقهي كما يستفاد من عبارته « ان النبي كان يرى من الواجب عليهِ كرسول امين لله ان يجاهد في سبيله لنشر الدين بين جميع الناس »

***

ان هذه الاعتبارات وان كثيراً غيرها مما لا يتسع المقام لذكرها تجعل آيات القرآن المذكورة غير حاسمة في موضوع الخلاف وكأني بصاحب الرد قد انتبه لذلك فعمد الى التاريخ آملاً ان يجد فيهِ ما يؤيد نظريته الا انهُ لم يوفق — كما يظهر لي — الى ذلك لان ما استشهد بهِ من الحوادث والاخبار التاريخية لا يفي بالغرض كما يرى لما يلي .

قال حضرتهُ « واما التاريخ فيثبت ما جاء بالقرآن والحديث فالاصول؟ العربية تجمع على ان النبي انفذ جيشاً تحت قيادة زيد بن حارثة الى مؤتة وهي تجمع كذلك على ان النبي قاد بنفسهِ جيشاً الى تبوك والظاهر أن الرسول كان يمهد السبيل لفتح عام لولا ان قبضهُ الله الى جواره » نعم ان هذه الاخبار صحيحة ونحن اول من آمن بها وصدّق الاَّ اننا لا نستطيع ان نستنتج منها ما استنتجهُ صاحب الرد لا تا نعلم علم اليقين انهُ لم تكن بين الغزوات المذكورة وبين الفتوحات العظيمة التي قام بها خلفاء النبي بعد وفاتهِ صلة مباشرة لان الغرض منها كما يقول كاتباني كان امّا النهب (غزوة مؤتة سنة ٨ هـ) واما الدفاع (غزوة تبوك سنة ٩ هـ واما الاثأر (غزوة اسامة سنة ١١ هـ) لا نشر الدين ولا « لتمهيد السبيل لفتح عام »

« كما يظهر » لصاحب الرد والا لو كان الغرض منها نشر الدين فقط او تمهيد السبيل لفتح عام لذكره المؤرخون واصحاب السير

***

واضعف من ذلك في الدلالة على صحة نظرية صاحب الرد برهانهُ التاريخي الثاني وهو قوله «ان النبي ارسل الى كسرى وقيصر والمقوقس والحارث امير غسّان — ملوك العالم المعهود حينئذٍ وحكامهُ — يدعوهم فيها الى الاسلام » اذ المحقق اليوم عند مشاهير المستشرقين الذين طرقوا هذا الموضوع ان هذه الارساليات من وضع كتبة الدور الاول لخلافة بني العباس بدليل ما فيها من التناقض والاغلاط التاريخية والسياسية والمنطقية وغيرها مما يجده القارئ المتزيد في كتاب الامير كايتاني (ص ٧٢٥—٧٣٧) والاستاذ *Grimm* المذكور سابقاً يؤيد ذلك ان ابن اسحاق صاحب اول واصدق سيرة للنبي لم يذكر هذه الارساليات كما يستفاد من كلام ابن هشام الذي غير وحذف ما شاءت اهواؤه من تأليف سلفه فانهُ لما ذكر الارساليات لم يستشهد بابن اسحاق كعادته بل ساق الكلام عن نفسه وفوق ذلك فان الارساليات — ان سلّمنا جدلاً أن النبي ارسلها عام ٦ للهجرة وهو في الحديبية اي قبل ان يوحد الامة العربية وينشر دعوته ولو في القسم الشمالي من الجزيرة وبعد ما لقيه من ابي سفيان والملأ المكي من الكيد والمقاومة وما اصابه وقتئذٍ من الفشل الذي اضطر معهُ ان يعود الى المدينة ولم يقض واصحابه شعائر الحج — لا تدل الاّ على شيء واحد وهو أن النبي اخذ من ذلك الوقت يفكر في نشر دينه بين الامم المجاورة لبلاده بالاقناع والموعظة الحسنة لا في جمع هذه الامم تحت لوائه الابيض وتشييد امبراطورية ضخمة كما يريد صاحب الرد . على اني ارجح مع المستشرق *Grimm* ان فكرة انشاء دين جديد عالمي « للانس والجن » لا تظهر الا في العصر الاول للهجرة اي بعد الفتوحات الكبيرة التي فتحها بنو امية . فان صح هذا الرأي او بالاحرى هذا الافتراض كان ظهور الدعوة الدينية تابعاً لظهور الامبراطورية العربية لا سابقاً لها او بعبارة اخرى ان الفتوحات الواسعة التي قام بها العرب في العصر الاول للاسلام هي التي اوحت هذه الفكرة لا ان الحروب . . . التي هب الخلفاء الى اثارتها على الامبراطوريتين القديمتين كانت من مظاهر هذه الدعوة » كما يرى صاحب الرد على اننا لا نبت الآن في هذه المسألة تاركين البحث فيها الى فرصة اخرى اذا حملنا على ذلك

باكو الاستاذ ب . جوزى

باب الزراعة والاقتصاد

بحث في التبغ وضرائبه

لمدير مصطفى الشهابي
مدير الاملاك بدمشق

﴿زراعته في الشام﴾ ليس موضوعات هذه المحاضرة البحثُ في الارض الصالحة للتبغ وكيفية بذر بزوره في المنبت ونقلُ النبتات (الشتل) الى مستقرها وتهيئة التربة بالحرث والتسميد والبعدُ الذي يجب ان يترك بين النبات وكيف تزاد في الكوتين او تنقص اي يجعل التبغ ثقيلاً او خفيفاً وكيف يزداد الاحتراق في السيكارة او ينقص ثم كيف يجنى المحصول ومتى وكيف يجفف ويعالج حتى يختمر فأن هذه الابحاث المهمة توجد في كتب الزراعة وقد ذكرتها بايجاز في « كتاب الزراعة العلمية الحديثة » والذي يهمنا الآن هو معرفة اقاليم الشام التي يزرع التبغ فيها وهل تجود في تلك الاقاليم الاصناف التي عرفت بلذة دخانها كالاصناف التركية واشباهها ام لا . فاقاليم الشام من حيث زراعة التبغ على قسمين قسم يمكن زرعه فيه بلا اسقاء وآخر لا ينمو التبغ فيه مالم يسق

فالقسم الاول يقتصر على سواحل الشام والاقاليم القريبة من الساحل كجبال النصيرية ولبنان وفلسطين وجبل حلون ذلك ان الامطار فيها غزيرة فلا ينقص ارتفاعها في السنة على ٥٠٠ ملمتر وقد يزيد الى ٨٠٠ في بعض السنين عدا ان الهواء يكون رطباً لقرب البحر كما تكون الاندية كثيرة ولهذا يكون بالامكان زرع التبغ في البعل من الارض حيث يجد ذلك النبات الماء الكافي لنموه . اما القسم الثاني فهو عبارة عن سائر انحاء الشام ومنها السهول الداخلية وهي اهم اقاليم الشام واعظمها شأناً فهنالك لا يوجد التبغ بلا اسقاء لقلة الامطار وجفاف الهواء . واجود التبغ في بلاد الشام هو الذي يحصل في جبال النصيرية كالكليمي والتاصوري والمهلوبي وبليه الدوراني في الباير والبوجاق وكرد طاغ والساحلي في اللاذقية واطرافها واللبناني والعربي في لبنان وفلسطين والاسود وابو ريحه في اللاذقية وفي كفر سوسة من قرى دمشق . ويقدر معدل محصول اللاذقية وجبال النصيرية بمليون كيلوغرام من ورق التبغ الجاف وكذا معدل المحصول في لبنان . والذين اعتادوا تدخين التبغ التركي

كتبغ البلقان والباغرة والسمسوني وينجه واشباهها لاسيما اذا كان صافياً لم يغش باضافة اصناف رديئة اليه يدركون على الفور الفرق الكبير بينهُ وبين اصناف التبغ الشامية. ذلك ان التبغ التركي يكون خفيفاً وذا لون اصفر ورائحة خصوصية دقيقة لاتري في معظم التبغ الذي يزرع في انحاء العالم . ولطالما تساءلنا مع كثير ممن يهتمون بهذه الامور الاقتصادية عن الاسباب التي تمنع حصول تبغ جيد في بلاد الشام يضاهي التبغ التركي بجودته ولماذا لاينتج في بلادنا من بزور الاصناف البلقانية تبغ يساوي تبغ تلك البلاد في مقدار النيكوتين واللون والاحتراق والرائحة الزكية خاصة . ويجب ان نعترف بأن العلم لم يكشف بعدُ عن حقائق هذه الاسباب وكل مايمكننا ان نقوله هو ان لبلاد البلقان وشمالي الروم جملة مزايا من حيث حرارةُ الجو وهطولُ الامطار والريحُ والرطوبةُ ونوعُ التربة تجعل التبغ الذي ينتج فيها ممتازاً يفوق مثيله في باقي البلدان. ومن الغريب اننا اذا اخذنا اصنافاً مختلفة من الحنطة مثلاً وزرعناها في شتى الاقاليم حيث تختلف الاحداث الجوية كل الاختلاف ثم عمدنا الى محصول كلٍّ من هذه الاصناف فصنعنا منهُ خُبزاً فان طعم الخبز يكون واحداً تقريبا في الاصناف كلها ومن النادر جداً ان نجد شخصاً يتمكن من تفريق الاصناف بعضها عن بعض بسبب اختلاف طعم الخبز فقط. اما في التبغ فالامر على عكس ذلك فاننا لو زرعنا بزوراً من صنف واحد ولكن في اقليمين مختلفين وتعهدنا نبتات كل صنف — بالعناية نفسها من حيث جعلُ بناء التربة واحداً وتهيئةُ الارض والمسافةُ بين النبتات والتسميدُ والاسقاء والعزق والحني ومعالجة الاوراق الى آخرما هنالك من الاعمال الزراعية والصناعية فان المحصول لا يكون واحداً في خصائصه بل يكون لكل اقليم تبغ يختلف عن تبغ الاقليم الثاني بالرائحة واللون والاحتراق . وكل من يدخن يستطيع ان يفرق بسهولة تبغ الاقليم الاول عن تبغ الاقليم الثاني . ولهذه الاسباب نجد ان التبغ البلقاني والتركي لا يجود في بلاد الشام اي ان هذه البلاد ليست صالحة لانتاج تبغ يضاهي بجودته تبغ البلقان والروم لان عامل الجو والتربة ليس كفيلاً بذلك ومع هذا فان التبغ الذي تنميهُ تربتنا يمكن تجويده حتى يصير مقبولاً في الجملة ومتى اعتاد الانسان تدخينه يستغني به عن التبغ التركي

﴿ طرائق جباية رسومه ﴾ قلت ان الحكومات في انحاء العالم لما ايقنت بعدم الفائدة من اضطهادها المدخنين رأت ان من الحكمة المباح باستعمال التبغ على ان يكون من وراء ذلك مورد مهم يغتذي به بيت المال ولهذا نجد معظم حكومات العالم تجبي من التبغ على اشكال شتى ضرائب عظيمة جداً وهي تبرر عملها بكون التبغ لايعد من حاجات الانسان المبرمة وكل من لايريد دفع هذه الضرائب عليهِ بأن يقلع عن عادة التدخين . وفوق ذلك

لما كان الافراط باستعمال التبغ يضر بصحة مستعمليه فان ثقل الضريبة يدعو الى التقليل منهُ والدول على قسمين قسم احتكر زراعة التبغ وصناعتهُ وتجارتهُ وآخر ترك للشعب حرية التصرف بهذه الامور . فمن القسم الاول فرنسه وأوستريه واسبانيا والبرتقال ورومانية ويوغوسلافية والدولة العثمانية . ومن القسم الثاني انكلترة والمانيا وبلجيكة وهولاندة ومصر وغيرها . ففي فرنسة احتكرت الحكومة زراعة التبغ وتجارتهُ منذ ايام نابليون سنة ١٨١١ ولا تزال على ذلك الى اليوم ولديها مصلحة واسعة من مصالح الحكومة تسمى « المديرية العامة لحصر الدخان » وهي تابعة لوزارة المالية . وهذه المديرية هي التي تأذن للفلاحين بزرع التبغ وتراقب النبات طيلة حياته وتشتريه من الفلاحين بعد ان ينضج لقاء اثمان تقطعها وزارة المالية وهي التي تبتاع التبغ الاجنبي لخلطهِ بتبغ البلاد وتنظر في اعمال المعامل التي تصنع فيها السيكارات وسائر ما يصنع من ورق هذا النبات كما تنظر في فتح الدكاكين التي تباع تلك المصنوعات فيها . اما من الوجهة المالية فان ادارة الضرائب غير المباشرة هي التي تهتم بأمر البيع واستيفاء اثمان المبيعات

واحتكار اوستريه للتبغ يرجع الى اكثر من قرنين وقد كانت الحكومة باعت حقها من شركة تدعى شركة حصر الدخان كما كانت الحال عليه في الدولة العثمانية اوكما هي الحالة عليه في سورية في زمننا هذا . ثم في سنة ١٨٧٣ اخذت تلك الدولة على عاتقها امر النظر في شئون زراعة التبغ وتجارته . وفي سنة ١٨٥٠ امتد الاحتكار الى حكومة المجر ولما رأت تلك الحكومة شدة مقاومة الزراع والتجار سمحت لكل زارع بمائتي متر مربع من الارض يزرعها تبغاً لحسابه . واحتكرت دولة ايطالية التبغ سنة ١٨٦٩ فباعت الامتياز بادئ بدء من شركة ثم انتزعتهُ منها سنة ١٨٨٣ واستمرت التبغ مباشرة . اما اسبانية فقد سارت على عكس الدولتين المذكورتين فهي قد احتكرت التبغ مباشرة ثم رأت نفسها غير قادرة على ضبطهِ فمنحت احدى الشركات امتيازاً بحصره

وتجارة التبغ ومصنوعاته حرة في انكلترة لكن زراعتهُ ممنوعة وكل من يزرعهُ يكون عرضة لضبط المحصول عدا انهُ يغرم غرامة فاحشة . ولكن لافراد الشعب حرية ادخان ورق التبغ والسيكارات من البلاد الاجنبية وحرية تأسيس معامل لصنع السيكارات وفتح دكاكين دون ان تراقبهم الحكومة البتة . وتكون فائدة الدولة في استيفاء ضريبة كركية على ورق التبغ او على مصنوعاته عند ما تدخل البلاد الانكليزية . وهذه الطريقة هي كما ترون سهلة لا تكلف الحكومة نفقات طائلة في سبيل مراقبة زرع التبغ وصنع السيكارات وبيعها كما هي الحال في الدول التي احتكرت هذه الامور . ويفيد انكلترا ان تكون الطريقة المذكورة

منبعة لأنها جزائر يصعب على المصدرين ادخال التبغ اليها بدون ان يصطدموا بعيان المكس اما الدول التي يسهل اجتياز حدودها فانها تخسر خسارات عظيمة اذا لجأت الى هذه الطريقة

وزراعة التبغ حرة في المانية وكذا صناعة السيكارات وبيعها . والحكومة تستوفي ضريبة عن زروع التبغ إما بنسبة وزن المحصول او بنسبة المساحة المزروعة . وتستوفي ايضاً المكس عن ورق التبغ والمصنوعات التي تدخل البلاد الالمانية . وفي انروسية ترى ان زراعة هذا النبات وصناعة مصنوعاته والاتجار بها هي حرة ايضاً والحكومة تستوفي المكس عما يُشترى من البلاد الاجنبية كما تستوفي ضريبة تسمى «رابندرول» عما يصنع في البلاد الروسية وهذه الضريبة تستوفيها الحكومة على الشكل الآتي وهو انها تضطر اصحاب معامل التبغ والسيكارات على وضع مصنوعاتهم في غُلُف تبيعهم اياها ويكون ثمنها عبارة عن ضريبة نسبية تتبدل حسب اثمان تلك المصنوعات

اما في الدولة العثمانية (وهي التي يهمنا البحث فيها اكثر من سائر الدول) فأن احتكار التبغ ومصنوعاته بدأ في سنة ١٨٨٤ ميلادية او سنة ١٣٠٠ رومية اذ منحت الدولة احدى الشركات الدولية امتيازاً بحصر الدخان لمدة ثلاثين سنة ثم مددتها حكومة الاتحاديين ١٥ سنة فصارت مدة الامتياز تنتهي في ١٤ نيسان (ابريل) من السنة الحاضرة. لكنه بعد ان سُلخت البلدان العربية عن الدولة العثمانية على اثر الحرب الكبرى وضعت حكومات فلسطين والعراق وشرقي الاردن الاعتراف ببقاء امتياز الشركة المذكورة كما التزمه تركيا نفسها في بلادها . وكل هذه الحكومات اطلقت الحرية في زراعة التبغ واخذت تستوفي المكس عن تبغ البلاد الاجنبية وضريبة على محصول التبغ الذي يزرع في ديارها . اما في سورية ولبنان فدخلت سلطة شركة حصر الدخان كما كانت ايام الدولة العثمانية وصدر اخيراً قرار من المفوضية العليا الفرنسية بتمديد مدة الامتياز ثلاثة اشهر اي الى ١٤ تموز (يوليو) سنة ١٩٢٩ ريثما يُبَتُّ في السياسة التي يجب اتخاذها تجاه زراعة التبغ وصناعة السيكارات والاتجار بها في سورية ولبنان

واهم شروط هذه الشركة تحتكر صناعة السيكارات وتجارتها في البلاد العثمانية لقاء مبلغ سنوي تدفعه الحكومة وتمنع زراعة التبغ الا في بعض الولايات والألوية التي تجود زراعته فيها . وقد كانت ولايات الشام وحلب وبيروت ولواء القدس من جملة الأماكن التي لا يجوز زرعه فيها ماعدا اللاذقية وجبلة وصهيون وصيدا وصور وبأمكان اصحاب التبغ الذي ينتج في البلاد العثمانية ان يبيعوه على عهدتهم في الديار الأجنبية لكنهم يمنعون عن الاتجار به في داخل البلاد وهم اذن مضطرون الى بيعه من شركة الريجي دون غيرها لقاء اثمان تحددها كما تشاء . وتدعي الشركة ان تلك الاثمان تكون عادلة في الجملة ولكن شتان بينها وبين

محصول التبغ الأهلي في الاسواق التجارية . وهذا الفرق بين المبلغ الذي تفرضه الشركة على ارباب زراعة التبغ ثمناً لمحصولهم وبين الثمن الذي يباع به ذلك المحصول في السوق التجاري هو السبب الاعظم لوجود أناس اتخذوا بيع الدخان خلسة مهنةً لهم وصاروا يصطدمون من حين الى آخر مع محافظي الشركة وعمالها حتى سالت الدماء مراراً عديدة وحتى صار عدد القتلى في الدولة العثمانية السابقة منذ منحت الشركة امتيازها الى اليوم يعد بالالوف . ولا يستغربن احدٌ ان تسوء الحال الى هذا الحد وان يخاطر عدد عظيم من افراد الشعب بحياتهم واموالهم في سبيل بيع التبغ خفيةً ذلك ان الفرق بين الثمن الذي تشتري به الشركة التبغ والثمن الذي تبيعه به هو عظيم جداً قد يبلغ ٩٠٠ — ١٠٠٠ في المائة احياناً مثاله ان الشركة تدفع اليوم الى الفلاحين في اللاذقية وجبال النصيرية ٤٠ — ٥٠ قرشاً سورياً ثمناً متوسطاً للكيلو غرام الواحد من ورق التبغ الجاف على حين ان الورق نفسه يباع في الاسواق التجارية خفيةً بخمسة مجيديات اوستة اي بخمسة امثال الثمن الذي تدفعه الشركة الى الزراع تقريباً فمن البديهي اذن ان يكون عدد المتصدين للبيع الخفي كبيراً وان يشاركهم بعض باغي تبغ الريحي في عملهم لأن تلك الشركة لا تمنحهم من ارباح ما يبيعونهُ من التبغ والسيكارات سوى ٩ في المائة من اثمانها ومن يمكنهُ ان يكتفي اليوم بهذا الربح الضئيل لا سيما اذا كان عليه نفقات كبيرة يضطر الى انفاقها واذا كان دكانه في مكان يقل به المشترون . وتقول شركة حصر الدخان انهُ لا يمكنها شراء تبغ البلاد الشامية بأكثر من الاثمان التي تباعه بها اليوم لأن ثمن الكيلو غرام الواحد من التبغ التركي الجيد لا يساوي في الجملة اكثر من ليرة سورية وهو الثمن الذي تشتريه به وتبغ لبنان واللاذقية واطرافها هو برأيها غير مرغوب فيه في بلاد الشام وقد اعتاد الشاميون تدخين تبغ الشركة المركب في مجموعهِ من ٣٠ في المائة من تبغ اللاذقية وجبل النصيرية و ٧٠ في المائة من التبغ التركي فلا يجوز ان تدفع للفلاح الشامي ثمناً كبيراً لتبغه الرديء مع العلم بأن التبغ التركي يفوقهُ كثيراً بلذة دخانه . وتقول انها اذا جعلت ثمن تبغ اللاذقية ولبنان كبيراً تزداد زراعته وتضطر الشركة الى شراء كل المحصول دون ان يكون بامكانها تصريفه لأن الشام اعتاد تدخين التبغ التركي في المقادير التي تبيعه الشركة اياها اما البلاد الاجنبية فهي لا تلتذ بتبغ اللاذقية ولبنان

يتضح مما ذكرت ان محاكمة شركة الريحي للمسئلة على هذا المنوال تدعو الى تشجيع زراعة التبغ في بلاد الشام لا سيما في سواحلها حيث تجود زراعته دون اسقاء . ومما لا ريب فيه انه لو كان بيت المال واحداً في سورية ولبنان وجبال النصيرية لكانت اصلح طريقة لاستيفاء رسوم التبغ هو ان تجعل زراعته وتجارته وصناعة السيكارات منه حرة وان تستوفي

الحكومة ضريبة على محصول التبغ البلدي ومكساً على ما ينقل الى البلاد من التبغ الاجنبي اما في الحالة الحاضرة فالبلغاريون وسكان اللاذقية وجبال التصيرية يرون ان من فائدة الشعب والحكومة معاً ان تطلق حرية زرع هذا النبات وحرية الاتجار به على الوجه المذكور. وفي سورية الداخلية ينقسم اصحاب الرأي قسمين فمنهم من يرى ان حرية زراعة التبغ وتجارته تدعو الى رفع الشعب ارباح مهمة هو في حاجة اليها لينتعش اقتصادياً. ومنهم من يرى ان شدة الحرية تسبب ضياع مبالغ طائلة على بيت المال لأنهُ من الصعب على الحكومة ان تتمكن من ضبط حدودها الواسعة لا سيما لكس عما يُنقل الى الداخل من تبغ لبنان واللاذقية والديار الاجنبية. واذا اتُّبع رأي الفريق الثاني يكون امام الحكومة احدى طريقتين وهما اما احتكار زراعة التبغ وتجارته مباشرة على ان تنشىء مصلحة لهذا الغرض كما في فرنسة وغيرها واما منح امتياز بذلك لأحدى الشركات لقاء مبالغ معينة تدفع الى بيت المال على ان تكون الشروط غير مضرة بأرباب الزراعة بل داعية لتوسيع زراعة التبغ في هذا البلاد

فالطريقة الأولى تكلف الحكومة نفقات طائلة عدا ان الحكومات قلما تكون صالحة لأعمال الاحتكار من الوجهة الاقتصادية وهي قد تكون اشد وطأة على اصحاب التبغ من الشركات بما لديها من الوسائل كالشرطة والدرك. اما الطريقة الثانية وهي الحكرة بواسطة الشركات فانها طريقة انفع لبيت المال نفسها في الوقت نفسه انفع للأجانب اذا كان اصحاب اسهم الشركات من غير ابناء البلاد. ومهما تكن الطريقة التي تتبع فمن الضروري ان ترتكز قاعدة اقتصادية مهمة وهي توسيع زراعة التبغ في بلاد الشام حتى يبلغ مقدار التبغ التركي الذي ندخله الى ادنى حد مستطاع فنحن ندخن اليوم في داخل الشام وحده نحو مليون ومائة الف كيلو غرام من التبغ التركي سنوياً وثمن هذا المقدار يذهب من جيوبنا ضياعاً. وندخن اربعمائة الف كيلو غرام من تبغ اللاذقية وجبال التصيرية بواسطة شركة الريجي ونحو مليون كيلو غرام من تبغ تلك المنطقة مع تبغ لبنان وهذا المقدار الاخير يباع خفية

ويكون توسيع زراعة التبغ على الصورة الآتية وهي اذا اطلقت حرية زراعة ذلك النبات وتجارته يجب ان تكون الضريبة على محصول الشام صغيرة بعكس المكس على ما يدخل من البلاد الاجنبية. اما اذا اتبعت طريقة الاحتكار فمن الواجب تقدير اثمان رابحة لمحصول الشام الذي تبتاعهُ الحكومة او شركة تحتكر من ارباب الزراعة وان تقدر هذه الاثمان بواسطة رجال لا ينتمون الى الحكومة ولا الى الشركة. ثم يجب ان يقلل الشراء من التبغ الأجنبي حتى يعتاد ابناء الشام تدخين التبغ الذي تُنبته بلادهم. فتتمنى ان يوفق المحللون لقضية الريجي الى صيانة فائدة بيت المال من جهة وفائدة ارباب زراعة التبغ وتجارته من جهة ثانية والسلام

بنك التسويات الدولي

أهم النتائج التي أسفر عنها مؤتمر الخبراء الذي انعقد هذا العام انشاء هذا البنك . فكل المقترحات الاخرى ليست جديدة بل هي تعديلات لمشروع داوز في حين ان مشروع انشاء البنك هو المقترح الوحيد الذي يصح تسميته بالجديد. ولذلك لفت اليه الانظار وينتظر ان يكون عاملاً قوياً في انشاء تعاون دولي مالي . ولم يتبق على الخبراء الا تقديم اقتراحاتهم فيما يتعلق بدقائق المسألة للجري عليها عند اجراء التسوية . وكانت أول خطوة لصح باتخاذها الغاء اللجنة الخاصة بالتعويضات لأنها اظهرت تحاملاً على المانيا والقت على عاتقها مسئولية وقوع الحرب وقررت ان من الواجب الزامها بالتعويض . وسيكون البنك الجديد بعيداً عن السياسة وينحصر عمله في المبالغ السنوية التي تسددها المانيا ثم توزيع ما تجمع على الدول المستحقة . كذلك سيكون من مهمة البنك تسليم البضائع التي وافقت المانيا على تقديمها لمدة عشر سنوات للحلفاء كجزء من التعويض

وقد يتساءل البعض عن السبب في انشاء بنك للقيام باعمال من السهل انهاؤها بين المانيا واعدائها السابقين مباشرة. والجواب ان تجارب الاعوام السالفة اوحت بوجوب انشاء هيئة مستقلة تخلي المانيا تدريجاً من التبعة وتوفر عليها عملية التوزيع . ومن السهل تفهم الفائدة التي تنتج من وجود وسيط لا صبغة سياسية له لانهاء هذا الامر الذي قد يؤدي الى سوء تفاهم بلا موجب. فقد كانت الفكرة في البدء موجهة الى انشاء مجلس اثناء لادارة موضوع دفع التعويضات ولكن اتضح بعد ذلك ان الحكمة تقضي بانشاء بنك ليكون رابطة دولية اقتصادية لعلّه يحقق الحلم الذي طالما تجلى لكثيرين من الساسة

كانت البنوك التابعة لمختلف الدول قبل الحرب غير مرتبطة بعضها ببعض وكان يقوم بعملية الاتصال بينها افراد من كبار الماليين ولما كانت الحركة المالية بعد الحرب تستدعي ايجاد بنك مركزي ليقوم بعمليات التصفية فقد اقترح بعضهم في مؤتمر جنوى عام ١٩٢٢ وجوب اجتماع رؤساء البنوك التي تصدر البنكنوت بين آن وآخر ولكن لم يوضع هذا الاقتراح موضع العمل طيلة هذه المدة في حين ان التعاون الاقتصادي بين الدول اصبح محسوساً ولم حدوثه بصفة غير رسمية وعلى يد بضعة افراد . فمن الطبيعي ان يحاول رجال المال تنظيم هذا التعاون بعد ان أحسّ العالم أجمع بوجوبه. ومن الفوائد المنتظرة من انشاء هذا البنك مدّه البنوك بقروض وقت الحاجة . وهناك عمليات دولية كثيرة يسهل اجراؤها عن طريقه لذلك فيكون من السهل تنظيم حركة الذهب واقلال النكية المتداولة منهُ بواسطته ولهُ

فوائد ثانوية لابدَّ ان تنتج عن ايجاد اداة مالية دولية. لذلك رحب المشتغلون بالامور المالية بالبنك الذي طرحهُ للبحث مشروع يونغ

وسيكون لمجلس ادارة هذا البنك الحق في اجراء تعديلات في لائحته الداخلية حتى لا توضع هيأته الادارية تحت رحمة تشريع اية دولة من الدول أو تحت رحمة تشريع مفتعل توجده هيئة دولية تحاول تطبيق ما تراه في صالحها. واما الضمان فقائم على ان اعضاء المجلس سيكونون من غير الساسة المشتغلين بالشؤون الاقتصادية ولن تعين الحكومات المديرين حتى لا تتبع عند اختيارهم اسرة سياسية او وطنية. وكذلك لن يمثل هؤلاء المديرين هيئات ذات مصالح خاصة تعرضها على اجتناء الربح لأن المهم هو ان يكون رائد مجلس المديرين خدمة السلام العام والصالح العام قبل كل شيء. ولذلك اقترح ان يمثل هؤلاء المديرون بنوك الاصدار في مختلف الممالك فهذه البنوك هي اقلُّ تأثراً بالسياسة وأقل اهتماماً بالربح من غيرها من الهيئات. وأظهر المشروع وجوب وجود سبعة رؤساء للبنوك المركزية الخاصة بالدول السبع المتصلة بالمشروع وهي فرنسا والمانيا وبريطانيا وبلجيكا وإيطاليا واليابان والولايات المتحدة ولما كان اجتماع هؤلاء الرؤساء بين آن وآخر متعذراً اقترح ان يعين كل رئيس منهم وكيلاً عنهُ ليقوم بهذه العملية

ومن ضمن المقترحات انهُ يصح لبنك فرنسا وبنك المانيا انتخاب عضو جديد عند حلول ميعاد تسليم سنويات التعويضات الالمانية وذلك للمساعدة على التوزيع وأيضاً للاشراف على التسلُّم والتسليم فيكون مجلس المديرين والحالة هذه مكوّناً من اربعة عشر عضواً (يضاف اليهما عضوان عند الحاجة) ولكن يصح ان يزيد عدد اعضاء هذا المجلس اذا وافقت بنوك الاصدار الموجودة في الممالك الاخرى على الاشتراك في البنك ولن تكون الزيادة اكثر من تسعة مديرين جدد ينتخبهم الاربعة عشر عضواً من قائمة تحوي اسماء مرشحي بنوك الاصدار التي ستشترك في مشروع البنك. وبذلك لن يزيد مجلس المديرين عن ٢٣ (او ٢٥) مديراً يكون لهم سلطة مطلقة ولهم حق تعيين الموظفين واصدار القرارات وتعديل النظام

وستكون مدة التعيين خمس سنوات تنتهي بعدها مدة الخمس بالتتابع لكن يصح اعادة انتخاب من انتهت مدتهُ ثانية. اما الذي يضع نظام البنك مبدئيًّا فهي لجنة تنتخبها بنوك الاصدار للدول السبع ويمثل كل بنك عضوان واذا لم يتيسر لبنك انتخاب عضوين يصح لبقية الاعضاء انتخاب شخصين من المملكة التي يعجز بنكها عن الانتخاب

وسيكون رأس مال البنك عند التأسيس ١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ دولار سيدفع منه ٢٥ ٠٠٠ ٠٠٠ دولار فقط ولكن ستكون الاسهم مسئولة عن القيمة التي لا تدفع وستكون قيمة السهم واحدة في مختلف الممالك السبع وستجري عملية الاكتتاب بواسطة بنوك الاصدار فيها. واذا ما

انضمت ممالك اخرى سيكون نصيب الممالك الاصلية ٥٥ ٪ من الاسهم ولن يكون للسهم حق في التصويت بل سينتقل حق التصويت الى بنوك الاصدار المشلة للمملكة التابع لها حامل السهم (مع ملاحظة نسبة ٥٥ ٪) فوائد هذه لن يكون للساهمين عمل الا الاستثمار

ولن تزيد الفوائد التي ستدفع على الاسهم عن ١٢ ٪ بأي حال وسيضاف ما يبقى الى احتياطي البنك والى احتياطات بنوك الاصدار التابعة للدول الداخلة في الموضوع ما عدا المانيا وسيقتطع ٧٥ ٪ من الارباح لهذه الغاية واما الباقي وهو ٢٥ ٪ فتضاف لحساب المانيا لتسديد المطلوب منها في السنوات التالية بشرط ان تودع المانيا في البنك المذكور مبلغ ٤٠٠٠٠٠٠٠٠ مارك ذهب بفائدة لمدة طويلة

وللبنك الحق في قبول الودائع وفي الاقراض وفي الاستثمار وبالاختصار في عمل كل ما تعمله بنوك الاصدار عادة ولكن لا يسمح له بالطبع باصدار بنكنوت باسمه وسيطلب منه انشاء احتياطيات مشابهة لتلك التي يحتفظ بها بنك الاصدار ولان البنك سيعاون على اقلال كمية الذهب المتداول سيلزم على الاحتفاظ بجملة احتياطياته ذهباً وعليه ان يحتفظ بما قيمته ٤٠ ٪ من الودائع عن ١٥ يوماً او اقل اما عن الودائع لمدة تزيد عن ١٥ يوماً فعليه ان يحتفظ بما قيمته ٢٥ ٪ منها . سيقول البعض ان انشاء هذا البنك سيخلق مزاحماً لغيره من البنوك ولكن اساس الفكرة هو ان لا يزاحم لان هذه المزاحمة تضر الفكرة ذاتها وكذلك سيحتم على البنك ان لا يتعامل في السوق المالي في اي بلد كان الا بعد موافقة بنك الاصدار التابع لهذا البلد اضف الى ما سبق ان مديري بنك التسويات يمثلون البلدان المذكورة وسيكونون دائماً على اتصال به وبالطبع سيعارضون كل محاولة ترمي الى الضغط على سوقهم المالية

اذن فللبنك المقترح انشاءه مرميان أحدهما اساسي وهو توزيع التعويضات الالمانية وأهم فائدة تنتج من قيامه بهذه المهمة هو نقل مسألة التعويضات من ايدي الساسة الى ايدي الماليين الأكثر ميولاً من الساسة للاصطباغ بالصبغة الدولية وبذلك تمحي روح العناد. كذلك في حالة اضطرار المانيا الى عدم تسديد كل المطلوب منها يبدي مجلس المديرين حكمه ويتلافى هذا التقصير باصدار سندات مضمونة من الحكومة الالمانية (قصيرة الأجل)

وأما المرمى الآخر فهو تنظيم اجتماعات لممثلي بنوك الاصدار لحل المسائل المالية الدولية العويصة في جو هادىء ليتيسر ايجاد دواء لأدوائها وكذلك سيعمل البنك على تقوية الرابطة المالية بين الدول ويمحي الغيرة التي كثيراً ما منعت الدول من مساعدة بعضها البعض في الملمات الأمر الذي نتجت عنه كوارث دولية عديدة

عمر عنايت

معرض الصناعة الوطنية بدمشق

لا ينمو الكائن الحيّ نموًّا صحيحاً تكتمل فيه اسباب القوة والجمال الاّ اذا كان يملك في كيانه قوة حيوية تمكنهُ من تناول عناصر الحياة من جوهِ وأرضهِ ليحولها دماً وغضروفاً وعضلاً او عصيراً وورقاً وثمراً . اما انهُ يعمد الى الدم يقدمهُ حيّ قويّ شفقة واحساناً اوالى جلد يؤخذ من غير الكائن نفسه فأمر لا يلجأ اليهِ الاّ في حالة مريض قد اشفى

ولقد اثبت الفلاسفة من افلاطون الى سبنسر ان الأمة كائن حيّ فما يلزم للكائن الحيّ من اسباب النمو وعناصر الحياة يلزم لها . انها لا تكون قوية الاّ اذا توافر لها في جوّها وأرضها ونفوس ابنائها وعزائمهم عناصر النموّ الحيوي الصحيح لكي تبقى حية على الدهر ترد عنها العوادي قوى العزم والتوليد والابداع الكامنة في كيانها . والنموّ لا يكون صحيحاً الاّ اذا جاء من الداخل . فكرة الثلج التي تتضخم وهي تتدحرج من قمة جبل مكسوّ بالثلج تنمو ولكن نموّها خارجي ، وهو غير النموّ الحيوي الصحيح في الأحياء والامم . ولكن البزرة الصغيرة التي تطمر في التربة الصالحة تستمد منها عناصر الغذاء تنمو ونموّها حيوي لأنها تحول كل عنصر من عناصر الهواء والتراب الى مادة حية هي مادتها

لذلك اخذتنا نشوة من السرور الذي يعجز القلم عن وصفهِ حين هبطنا عاصمة الأمويين وزرنا معرض صناعتها الوطنية فدهشنا لما رأيناهُ فيهِ من آثار الدقة والاتقان في مختلف الصناعات — من صناعات المنسوجات الحريرية الى صناعة الجلود الى صناعات المفروشات الخشبية — وهي تضاهي ابدع ما شاهدتهُ في الغرب دقة في الصنع ورخصاً في الثمن وان نقصت منهُ استكمال عناصر الذوق الفني — الى صناعة الادوات النحاسية التي اشتهرت بها دمشق الى صناعات الخزف « السيرمايك » . ولا ننسى صناعة المنسوجات الصوفية فانها على حداثتها تبشر بمستقبل باهر . سررنا بآثار الاتقان هذه لانها تدل على ظواهر النمو الحيوي الصحيح الذي تجري ضياؤه في عروق الامة السورية الكريمة ، هذه الامة التي لم تفقدها محن النهضة السياسية عن القيام بنهضة صناعية لا بد منها لكل استقلال يستحق ان يدعى كذلك . فكل بلاد لا تستطيع ان تخرج لشعبها جانباً مما يحتاج اليهِ ليستغني عن بعض الوارد اليهِ من الخارج وليسد بهِ الدين الذي يترا كم عليهِ بسبب هذه الواردات للبلاد سائرة الى الافلاس ، والاستبداد الاقتصادي في هذا العصر شر انواع الاستبداد وركنها الاقوى.

لم نسرّ هنا بآثار الاتقان البادية في معرض الصناعات لانا لم نشاهد ما يماثلها او ما يفوقها في معارض الغرب ولكن مشاهدتها اثارت شعور الرجل الذي يرى بين يديهِ كائناً يتعهده بعنايتهِ ويقطر عليهِ دم قلبهِ لانهُ موقن انهُ سائر في طريق النمو الى مرتبة الكمال

مكتبة المقتطف

الحياة العقلية

او دروس في علم النفس

تأليف البروفسور ودورث استاذ علم النفس في جامعة كولمبيا . ترجمة الاستاذ احمد سامح الخالدي مدير الكلية العربية في القدس واستاذ التربية فيها في ٧٠٥ صفحات من القطع الصغير بحروف بنط ٢٤ ورسوم توضيحية كثيرة

لعلَّ هذا الكتاب الممتع من افيد الكتب التي اخرجتها المطابع العربية هذه السنة . فالموضوع الذي يعالجه هو موضوع الساعة بين الفلاسفة والمفكرين . لان علم النفس منذ استقلَّ واستوى مع سائر العلوم على اساس تجريبي اتصل بشؤون الحياة العملية اتصالاً وثيقاً كالتعليم والتهذيب والصناعة والصحة والتجارة والآداب . ومؤلف الكتاب من اعلام الاميركيين في تهذيب هذا العلم الفني وتوضيح مسائله ونشر اصوله وحقائقه على الطلاب. وناقلهُ الى العربية عالم مفكر عالج شؤون الحياة العقلية نظراً وتجريباً وكاتب مجيد امين في نقل المعاني بليغ في ادائها . وشركة مكلان التي تولت الانفاق على طبعه بالعربية لم تدخر وسعاً في اخراجه في حلة قشيبة وبحرف كبير واضح لا يتعب عيون الطلاب وعهدت في ذلك الى مطبعة المعارف فقامت بالعمل على اتم وجه واوفاه . واضاف الاستاذ الناقل الى الكتاب معجماً للالفاظ والعبارات البسيكولوجية والفسيولوجية الواردة في متن الكتاب وما ترجمها به فكان ذلك عملاً علميًّا جليلاً للمشتغلين بهذا العلم من كتَّاب وقرَّاء . ومن الالفاظ الجديدة التي اعتمدها في هذا الكتاب ولودنا لو تمَّ لفظة «رجْع» بدلاً من «ردالفعل» في اللفظة الجديدة معنى ردّ الفعل وتفوقها في انها لفظة مفردة يسهل تثنيتها وجمعها والنسبة اليها . وهي علاوة على ذلك جديدة لا يلتبس معناها الجديد بمعنى لها قديم مشهور . وحبذا لو جارى المؤلف غيرهُ في ترجمة *Gray matter* بالمادة السنجابية بدلاً من المادة السمراء لان اللفظة الاولى اشتهرت بين دارسي علم الفسيولوجيا

اما مباحث الكتاب شتى فيتعذر علينا التبسط فيها وكل فصل يصحُّ ان يقال فيه ما قالهُ الرئيس ولمن في فصل « العادة » في كتاب علم النفس الذي وضعهُ الفيلسوف وليم جيمس قال : « كل مثقف يجب ان يستظهر هذا الفصل» او ما هو بمعناهُ . فنشكر لناقل هذا الكتاب اليد التي اسداها الى العلم في الشرق بنقل كتاب مفيد هذا النقل الامين البليغ

ادارة الصفوف

وللاستاذ الخالدي كتاب آخر مفيد كلَّ الافادة لا بدَّ ان يجد فيهِ المدرسون في انحاء البلدان العربية مرشداً الى افضل طرق التعليم والتهذيب . وقد اعتمد مؤلفهُ الفاضل على كتابٍ وضعهُ الاستاذ بجلي في ادارة الصفوف ولكن بعد ما طبق المبادىء والاصول على ما تحتاج اليهِ المدارس الشرقية من الاسئلة والامتحانات. وفيهِ فصول تناولت احدث المباحث التعليمية وتطبيقها كمقاييس الذكاء واختبارات في سرعة القراءة والفهم ولنظام العرفاء . وفي الكلمة التي افتتح بها الكتاب يبشرنا الاستاذ بان هذا الكتاب هو الاول من سلسلة ينشرها قسم التربية في الكلية العربية بالقدس . وما من رجل يغار على الشرق ويرجو لهُ التقدم والفلاح الاَّ ويرحّب بمثل هذه الكتب المفيدة التي تقوّم فيهِ طرق التربية والتعليم

الجيولوجيا

تأليف الدكتور حسن بك صادق — وكيل مصلحة المناجم والمحاجر — صفحاته ٢٣٤ مزدانة بالصور — وفي آخره خريطة جيولوجية ملونة لقطر المصري

في مكان آخر من هذا الجزء بحثنا بحثاً موجزاً في غاية الجيولوجي واساليبهِ في الكشف عن الحقائق حملنا على كتابتهِ ونشره ظهور هذا الكتاب الجيولوجي المتقن الذي وضعهُ عالم من نخبة علمائنا حائز لأعلى الدرجات العلمية بانكلترا متمرس بهذا العلم من وجهتهِ العملية في مصلحة المناجم والمحاجر وكاتب يعرف كيف يقرّب الحقائق من الاذهان بنثر صافي الديباجة خالٍ من التكلف والتعقيد . لذلك قررت وزارة المعارف العمومية استعمالهُ للتدريس في المدارس الثانوية وحسناً فعلت . ومما يزيد رونق الكتاب وفائدتهُ اشتمالهُ على مئات من الصور جانب كبير منها صور مصرية اختها المؤلف بنفسهِ لتوضيح مبادىء الجيولوجيا العامة للطلبة المصريين بامثلة من بلادهم

حياة المسيح لبايني

تأليف جيوفاني بايني — ترجمة الارشمندريت انطونيوس بشير

بايني مؤلف ايطالي في الطبقة الاولى بين الكتاب ولد سنة ١٨٨١ وشُغف بالادب من صغرهِ . فكتب في المجلات وحرّر مجلة اسمها « الصوت » بالاشتراك مع صديقٍ لهُ فالتفَّ حولها نفر من ابرع كتّاب ايطاليا . وكان في عقيدتهِ محيِّراً مشككاً وطالما كتب ناقداً هازئاً هادماً فما زالت سنة ١٩٢١ حتى ادهش أصدقاءهُ ومريديهِ بكتاب انقلب فيهِ

الساخر الهادم رجلاً مؤمناً يميل الى التأمل والتصوف — هذا هو الكتاب الذي بين أيدينا الآن

كثرت الكتب التي كتبت عن المسيح في العقد الاخير . بابيني . لدوغ . جبران خليل جبران وغيرهم . ولكل كتاب غرض وطريقة . فجبران شاعر فيلسوف نظر الى المسيح بعيون سبع وسبعين شخصية حقيقية وخيالية عاصرت السيد وعاشت معهُ . فهو يلسان الشاعر يتكلم آناً وبلسان الخطيب آناً آخر . بلسان مريم المجدلية حيناً وبلسان صياد او تلميذ او عشار حيناً آخر . وهكذا يجلو لنا شخصية السيد المسيح من نواحيها المتعددة . إما لدوغ فأكثر ميلاً الى التاريخ والتحليل البيكولوجي . واما كتاب بابيني فصوت خارج من قرارة النفس لان الرجل كان كافراً فاهتدى . وكان محيَّراً فاستقرَّ . وكان شاكّاً فآمن . وفي كل ذلك كانت شخصية السيد المسيح الباهرة هي التي احدثت فيه هذا الانقلاب . فصوتهُ انما هو صوت جيله القلق المضطرب المحيَّر بين الشك واليقين والالحاد والايمان . لذلك نال هذا الكتاب رواجاً لم ينلهُ كتاب من نوعهِ وترجم الى لغات عدة . ورأى الاستاذ نعوم مكرزل صاحب الهدى النيويوركية ذلك فحسنَّ بهِ ان يبقى مطويّاً عن ابناء العربية فشار على الارشمندريت انطونيوس بشير صاحب مجلة الخالدات بترجمته ففعل وقد قامت بطبعهِ مطبعة مكتبة العرب بالفجالة لصاحبها يوسف توما البستاني

الدليل العام للقطر المصري والخارج

لسنة ١٩٣٠

لقد اصبح اصدار دليل جامع كهذا الدليل عملاً شاقاً بقدر ما هو عمل مفيد . فجمع الحقائق والاسماء والعناوين ونمر التليفونات من قطر كالقطر المصري سكانهُ اربعة عشر مليوناً ثم تبويبها وترتيبها ووضع فهارس لها واخراجها في مجلد يضم الفي صفحة كبيرة عمل دونهُ خرط القتاد . ولكنهُ عمل مفيد لأن موظفي الحكومة على اختلاف اعمالهم والتجار والاطباء والصحافيين يحتاجون اشد الحاجة اليه . ماذا تطلب ؟ عنوان فلان في مكتبهِ او بيتهِ ونمرة تلفونهِ في كليهما ؟ لك ما تريد افتح باب الصحف ان كان صحافيًّا او باب التجار ان كان تاجراً او باب الأطباء والصيادلة اذا كان طبياً او صيدليًّا ترَ الاسم والعنوان ونمرة التلفون . فوزارات الحكومة كلها مبوبة تبويباً متقناً وفيها اسماء الموظفين جميعهم وأعمالهم وأماكن سكنهم . والمديريات كذلك . والمجلد يحتوي على طائفة كبيرة من الصور . . . ومما يدهش لهُ انهُ صدر يوم تأليف الوزارة العدلية محتوياً على بيان كامل لأعضائها . فهنيء الشركة القائمة بهذا العمل وتمنى لدليلها ذيوعاً هو جدير بهِ

مطبوعات أخرى

(لبنان وسوريا) قبل الانتداب وبعده بحث يتناول حوران وجبل الدروز وجزيراتهما وتاريخهما الحديث والانتداب الفرنسوي في لبنان وسوريا حتى آخر عهد الجنرال غورو بقلم الشيخ بولس مسعد وقد نشر تباعاً في المجلة السورية

(جمعية الشبان المسلمين) هذه مجلة اسلامية علمية تهذيبية تصدرها جمعية الشبان المسلمين مرة في الشهر ويحررها نخبة من اعضائها برآسة الدكتور يحيى احمد الدوديري . وفي مقالات الجزء الاول سيرة اديسون . والحركة الفكرية في المغرب الاقصى . ومصر الاقتصادية في الصحف الغربية وغيرها من المباحث التاريخية والادبية والدينية

(اليزيدية) رسالة موجزة في ٤٤ صفحة من القطع الصغير وضعها السيد عبد الرزاق الحسني ونشرتها مجلة « المرشد » العراقية وحملتها هدية لمشتركيها

(الاغاني الشعبية) مجموعة من الشعر العامي الطريف الذي ينظمه سكان الارياف في العراق ويستطيع قارئها ان يتدرس فيها حياة الاعراب الاجتماعية الادبية والسياسية . جمعها ونشرها السيد عبد الرزاق الحسني وطبعت بمطبعة النجاح ببغداد

(صديق العائلة) مجلة شهرية تبحث في الشئون الصحية . مركز ادارتها رقم ٣ بميدان سوارس وعنوانها صندوق بوستة رقم ٦٠٠

(الجمعيات التعاونية) ونظامها في مصر . هذا افضل كتاب وضع في التعاون في مصر . وقد اشرنا اليه قبلا في المقتطف عن ظهور طبعته الاولى ونقلنا فصلا منه . وضعه الدكتور توفيق حامد المرعشلي صفحاته تمانمائة من قطع المقتطف وقد طبع بمطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر

(التربية الوطنية) الدكتور المرحوم شلبي وهو قسمان الاول يتناول المبادىء العامة التي ينطوي عليها الاجتماع البشري وارتقاؤه ونظمه السياسية والثاني خاص بالقطر المصري وتاريخه السياسي من اقدم العصور الى الآن لان « الوطنية وافراضها لا تحقيق الا بدراسة تاريخ البلاد الخاص بالعظمة والمجد » وهذا الكتاب ايضاً طبعة ثانية وصفحاته ٢٣٩ قطع المقتطف مزدانة بالصور

(الحولية الخلدونية) كتاب جامع لشتى البذر والحقائق والسير تنشرها مجلة التربية والتعليم في بغداد وقد سمتها « الخلدونية » نسبة الى الفيلسوف الاجتماعي « ابن خلدون » والبذر كلها مصورة حتى تتجسم الحقائق بالصور احياناً تغني عن شرح طويل كما نرى في صفحتي « الاقدم والاحدث » وفصل الاكتشافات والاختراعات وعجائب الدنيا السبع

(الاسلام) دين الانسانية . رسالة انكليزية في ٢٢ صفحة صغيرة وضعها الاستاذ محمد علي احد مترجمي القرآن الشريف الى اللغة الانكليزية . والرسالة مقدمة بقلم النورد هدلي . وتطلب من مطبعة التجارة بلاهور الهند

(نبي الاسلام) وهذه رسالة انكليزية اخرى لمؤلف نفسه جاء فيها على سيرة الرسول الكريم وختمها تعاليقه على ذكرى انقضاء ١٤٠٠ سنة على « العصر الذهبي للانسانية »

(الصلاة في الاسلام) للمؤلف نفسه . صفحاتها ٢٠ من القطع الصغير

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه وعلى اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله اياه فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر تكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) اكتب كتاب العصر واشهرهم

بغداد . من هم اكتب كتاب العصر الأحياء وهل هم اشهر الكتّاب

ج . اذا اطلقنا على لفظة الكتابة او معانيها وجب ان نطوي تحت لفظة « كتّاب » الفلاسفة والعلماء والصحافيين والرواتيين والشعراء . ولكن اذا اردنا بالكتابة حصر معناها بالاداة الفنية التي يستعملها بعض الناس لوصف الحياة وتقدها انحصرت دائرة نظرنا في كتّاب الروايات والقصص والدرامات . فاذا قصرنا نظرنا على هؤلاء عرضت لنا عقبة جديدة وهي ان من الكتّاب من يكون مشهوراً في بلدهِ مجهولاً في غيرها . فتوماس هاردي كان الى حين وفاته اكتب كتّاب الانكليز ولكن موضوعات رواياته كانت انكليزية ريفية لا يهتم بحوادثها غير الانكليز وان كانت اغراضها الادبية والفلسفية والاجتماعية عامة كالحياة نفسها . لذلك سنقصر اختيارنا على الكتّاب الذين لهم شهرة عالمية او على الاقل شهرة في اعظم بلدان اوربا واميركا . ونبدأ بالانكليز فنختار برناردشو الذي دعاهُ اميل لدفج « اكتب كتاب العصر » وولز وغلزورثي ، ومن الفرنسيين رومان رولان وبول بورجه واندره موروى . ومن الالمان توماس مان واميل لدوج . ومن الطليان بيرانديلّو وداننزيو والكاتبة جرازيا ديلده . ومن الاميركان سنكلر لويس واوجين اونيل . ومن النمسويين ارثر شنتزلر . والروس مكسيم غوركي والبلدان السكندينافية نوت همسن وسغرد اوندست وسلما لجرلوف . والبلجيك موريس مترلنك . ولعل برناردشو وولز ولدوغ ورومان رولان وداننزيو وغوركي ومترلنك اشهرهم واكثرهم . وقد ذكرنا اميل لدوغ واندره موروى بين هؤلاء الكتاب مع انهما ليسا رواتيين بمعنى العصر المتقدم . لأنهما عرضا لكتابة السير على طريقة جديدة فأبدعا فيها ابداع . فكتب الأول سير بسمارك وغليوم والمسيح وبيتهوفن وكتب الثاني سير شلي ودزرائيلي فجمعا فيها كتابهُ بين التاريخ المحقق والقصة

الأخانة . ويصح أن نضيف اليها لتن سزاشتي الانكليزي وغمالائيل برادفورد الاميركي فانهما من اعلام هذا النوع من الكتابة وان كانا اقل شهرة عالمية من زميليها . وسنعرض لهذا البحث في مقالة فنوفيه من حقه قدر ما يتسع لهُ المقام لأن ذكر اسماء الكتاب لا يفيد شيئاً اذا لم نذكر طرفاً من سيرهم وتقديراً لنتائج قرائحهم

ولكن هل اكتب الكتاب هم اشهر الكتاب؟ لا ريب في ان بين الكتاب المشهورين طائفة من اكتب كتاب العصر كبرنردشو وولز ولدوغ ومترلنك . كذلك بينهم كتّاب لا ينطوي سفر حياتهم حتى ينطوي سفر ذكرهم. ونحن لا نرتاب ان في زوايا الادب المهملة كتّاباً من الطبقة الاولى . على ان هؤلاء اصبحوا قلالاً في هذا العصر . فاصحاب دور النشر يبحثون في كل البلدان عن كل كاتب جديد مبتدع لينشروا لهُ كتبه رغبة في الربح منها اذا ذاعت شهرتهُ ويستعملون لذلك كل اساليب الترغيب والدعاية والاعلان

(٢) اقدم الكتب العربية

نيويورك . ما هي اقدم الكتب العربية وما هي اسماء مؤلفيها وأين تباع وما هو ثمنها

ج . ان اردتم كتب الخط فأقدمها على ما نعلم هي الصفحات التي نشرتها السيدتان اغنس سمث لويس والدكتورة مرغريت دنلوب جبسن سنة ١٩٠٨ في رسالة لها . والصفحات منقولة عن صورة شمسية لأقدم الكتابات العربية . راجع وصفها في مقتطف نوفمبر ١٩٠٧ صفحة ٨٧٦ وتلوها نسخة من الانجيل موجودة الآن في طورسينا كتبت سنة ٤٣٨ للهجرة وخطها قريب من الخط الكوفي وقد نشر المقتطف سطوراً منها في م ٣٢ ص ٣٦٨ حين الكلام على آثار طورسينا وهذه الكتب لا تقدّر بثمن . واذا اردتم كتب الطبع فأقدم كتاب عربي المزامير وقد طبع في مدينة جنوه سنة ١٥١٦ وذلك بعد استنباط الطباعة بالحروف بنحو ستين سنة او سبعين وكان استنباط الحروف العربية للطباعة في مدينة البندقية بين سنة ١٥١٠ وسنة ١٥١٤ وفي مكاتب اوربا العمومية قليل من الصلوات العربية التي طبعت حينئذٍ . ومن اقدم الكتب العربية المطبوعة قانون ابن سينا طبع برومية سنة ١٥٩٣ وكتاب اصول الهندسة لاقليدس طبع فيها سنة ١٥٩٤

(٣) زراعة قصب السكر

مصر . من اول من زرع قصب السكر في القطر المصري وفي اي زمن كان

ج. قصب السكر ينبت بريًّا ولا بدَّ من ان يكون الناس انتبهوا الى حلاوته من قديم الزمان. والظاهر ان اهالي الهند استخرجوا السكر من قبل زمن التاريخ . وفي تاريخ هيرودتوس اشارة صريحة اليهِ . وذكر سترابون المؤرخ ان في الهند قصباً يستخرج منهُ العسل . وكان سكر الهند يرسل الى اوربا في القرن الاول من

التاريخ المسيحي واسمهُ باليونانية سكاري من سوكرا باللغة السنسكريتية. وقد ذكر الصينيون انهم تعلموا استخراج السكر من الهنود في سنة ٧٨٠ ق.م والظاهر ان العرب نقلوا زراعة قصب السكر الى مصر واوربا بعد ما فتحوا بلاد الفرس ويقال ان الصينيين تعلموا تكرير السكر من المصريين . وكان لقصب السكر زراعة واسعة في مصر في زمن صلاح الدين الايوبي

(٤) بلادة الكبد

بحر الغزال . ما سبب بلادة الكبد

ج . قد يكون سببهُ احتقان في الكبد ناتج عن المأكولات الضارة او المشروبات الروحية او الملاريا او الاقامة في البلدان الحارة . ومن اسبابه عدم وصول الغذاء الى الامعاء لزكام في الاثني عشري واقنية الصفراء . اما الادوية التي تزيد افراز الصفراء فهي كثيرة ويجب ان يصفها طبيب بالمقدار الفاوني . ومنها بعض المياه المعدنية كماء هونيادي وماء كرلسباد . فهذه المواد تؤثر في الكبد نفسهِ وتزيد افراز الصفراء . وقد لا يكون لاخذها اقل فائدة بل قد ينتج عنهُ ضرر وخصوصاً متى كان السبب انسداد اقنية الصفراء فيفضل حينئذٍ اخذ المسهلات ولا سيما الكاومل فانهُ لا يزيد افراز الصفراء ولكنهُ يفتح لها سبيلاً

(٥) اصل المسيحيين السوريين

دمشق . هل اصل دم المسيحي السوري او الروم الارثوذكس في سوريا من اليونان او الفينيقيين

ج . لقد كان في سوريا سكان من الاراميين وغيرهم قبلما دخلها الفينيقيون فاختلطت انسابهم بانساب الفينيقيين ثم بانساب الامم التي تسلطت على سوريا من اليونان والرومان والاقباط والعرب والترك . ولم يكن هذا الاختلاط على درجة واحدة في كل سورية . ولكننا لا نظن ان الدم اليوناني كثير في سورية كالدم الفينيقي والاثنان اقل من الدم الارامي القديم وقد يكون اقل من الدم العربي الغساني في جهات دمشق وحوران . وهذا كلهُ رأي وتقدير لان تحقيق هذه المسائل من الامور الصعبة المعقدة . راجعوا مقالة هذا الجزء الاولى

(٦) الخراج في الثدي ومنعه

س ... كتبت الينا سيدة تقول انها اصيبت بخراج في ثديها لما ارضعت طفلها الاول وانها على وشك ان تضع طفلاً ثانياً . فماذا يجب ان تفعل لتقي الخراج في ثديها قبل الولادة وحين الرضاع

ج . اسباب الخراج في الثدي ترجع الى مصدرين اولاً العدوى من مصدر داخلي كجذور الاسنان او اللثة او اللوزتين . والثاني العدوى من مصدر خارجي . فالام تهمل غالباً العناية بحلمة ثديها في اثناء الرضاعة وبعدها فتمسها بيدها من غير غسلها وتنظيف اظافرها او تضع قماشاً غير معقم او تطيل مدة ارضاع فتتشقق الحلمة وهكذا تطرق المكروبات الى داخل الثدي فتحدث الخراج . فالواجب على السيدة المحترمة العناية بأسنانها ولوزتيها وغيرها من اماكن العدوى المركزية قبل الولادة وحفظ حلمتي الثديين من العدوى بعدها

باب الأخبار العلمية

خطوات الطيارة في الصيف

الغراف زبلين

اصبح البلون الالماني المسيَّر غراف زبلين من اشهر السفن الهوائية التي امتطت اجنحة الهواء. ففي السنة الماضية طار من المانيا الى اميركا حاملاً للمرة الاولى في تاريخ البلونات المسيَّرة نفراً من الركاب ومقداراً كبيراً من البريد. وفي اوائل هذه السنة رحل رحلته المشهورة الى بلدان الشرق الادنى ثم عقبها برحلة اخرى في ابريل الى البلدان التي حول الجانب الغربي من البحر المتوسط فزار فرنسا واسبانيا والمغرب الاقصى فاجتاز مسافة ٣٤٠٠ ميل في ٥٧ ساعة. وفي مايو زار فينا عاصمة النمسا. وفي ١٦ مايو حاول ان يطير الى اميركا ثانية حاملاً مائقة طنان من الرسائل والاكياس البريدية فاضطرَّ ان يرجع على اعقابه وهو لا يزال طائراً فوق شواطىء اسبانيا لان عطلاً اصاب محركاته الاربعة وكان قائده يأمل ان يصل به الى مقره في فريدركسهافن ولكنه اضطرَّ ان ينزل الى الارض في بلدة كورس الفرنسية بعد ما وقف محركان من محركاته عن الدوران في ١٧ مايو وكان قد قضى سابحاً في الجوّ ٣٨ ساعة ونصف ساعة بمحرك واحد. فلبث في كورس حتى جاءت المحركات الجديدة. وفي اول اغسطس رحل رحلة اخرى الى الولايات المتحدة فوصلها في ٩٣ ساعة فاختصر بذلك نحو عشرين ساعة من الوقت الذي استغرقتهُ رحلتهُ الاولى اليها. ثم عاد من اميركا الى فريدركسهافن عن طريق باريس فبلغها في ٥٥ ساعة. وكانت هذه السفرة بين اميركا وفريدركسهافن المرحلة الاولى من طيران الزبلين حول الارض وهو الطيران الذي يظلُّ مذكوراً بها ابد الدهر. فانهُ يدأ رحلتهُ هذه في ٨ اغسطس سنة ١٩٢٩ في لاكهرست باميركا وانتهى فيها في ٢٩ اغسطس اي ان رحلتهُ حول الارض استغرقت ٢١ يوماً ساعاتُ الطيران الفعلي منها ٤٨٨ ساعة وست دقائق او ١٢ يوماً وست دقائق. وكانت مراحل هذه الرحلة كما يأتي. من لكهرست باميركا الى فريدركسهافن مسافة ٦٢٠٠ ميل اجتازها في

٥٥ ساعة و٢٤ دقيقة. من فردريكسهافن الى طوكيو باليابان مسافة ٦٨٠٠ ميل اجتازها في ١٠١ ساعة و٥٣ دقيقة. من طوكيو الى لوس انجلوس مسافة ٥٥٠٠ ميل اجتازها في ٧٨ ساعة و٥٨ دقيقة. من لوس انجلوس الى لايكهرست ٥٣٠٠ ميل اجتازها في ٥١ ساعة و٥١ دقيقة. وكان من ركابه في هذه الرحلة اللايدي درمندهاي الصحافية المعروفة في هذا القطر والسر هيوبرت ولكنز الرائد القطبي المشهور

عيد بلريو الفضي

في ٢٥ يوليو احتفل في انكلترا وفرنسا بانقضاء ٢٠ سنة على فوز بلريو الطائر الفرنسي بعبور المانش على متن طيارة وذلك في ٢٥ يوليو سنة ١٩٠٩. ففي ذلك اليوم التاريخي المشهور قام بلريو بطيارته من كاله متجهاً الى دوفر وهي على ٢٢ ميلاً منها فنزل فيها بعد نصف ساعة. وفاز بجائزة مالية قدرها ٢٥ الف فرنك. اما في ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٩ فقد امتطى بلريو — وقد اصبح الآن من صانعي الطيارات في فرنسا — طيارة من الطيارات الحديثة التي تصل بين باريس ولندن واعاد بطيارته فوق المانش ذكرى ذلك اليوم الخالد في تاريخ الطيران حيًا سخر منه الناس لما انبأ عن قرب انتظام المواصلات الجوية بين فرنسا وانكلترا. وقد احتفلت به مدرسة السوربون تقديراً لعمله الجليل

٣٦٠ ميلاً في الساعة

في السابع من شهر سبتمبر الماضي تبارت انكلترا وايطاليا في سباق الطيارات البحرية لاحراز كاس شنيدر ففاز في المباراة الطائر الانكليزي اذ بلغ متوسط سرعته نحو ٣٢٩ ميلاً في الساعة او نحو ٥٣٠ كيلو متراً. وتلاه بعد ايام الطائر الانكليزي اورلبار فبلغ متوسط سرعته على مسافة ثلاثة كيلو مترات في خط مستقيم ٥٧٥ كيلومتراً او ٣٦٠ ميلاً في الساعة اي ستة اميال في الدقيقة وهي نصف سرعة الصوت تقريباً. وكانت اسرع سرعة بلغتها الطيارات التي دخلت المباراة الاولى من هذا النوع سنة ١٩١٣ لا تزيد على ٤٥ ميلاً وربع ميل في الساعة فبلغت الآن بعد ست عشرة سنة ثمانية اضعافها

التحليق في الجو

حلق الملازم بولوسوسك الاميركي في ١٠ مايو الماضي الى علو ٣٩١٤٠ متراً وتلاه الهرولي نوبهوفن الالماني بعد اسبوعين فحلق الى علو ٤١٧٩٥ قدماً وقد طلب كلاهما ان يعتبر الارتفاع الذي بلغه قصب السبق في هذه الناحية من الطيران

جبابرة الجو الجديدة

على غلاف المقتطف هذا الشهر يرى القارىء صورة طيارة مائية المانية تم بناؤها حديثاً وجربت على بحيرة كونستانس. وقد بلغت من الضخامة والقوة ما لم يسبق لمثيل في تاريخ الطيارات. ففيها ١٢ محركا تسير قوتها ٦٣٠٠

حصان وفيها متسع لمائة راكب او اكثر جلوساً ونياماً عدا قائدها وملاحيها ومكان لمقادير كبيرة من الامتعة واكياس البريد

وقد وردت الانباء البرقية بأن الانكليز اتموا صنع البلونين الضخمين اللذين ينوون تسييرهما الى الهند من جهة والى كندا من جهة اخرى وهما (ر ١٠٠) و (ر ١٠١) وجربوا احدهما فنجحت التجربة . فسعة كلٍّ منهما خمسة ملايين من الاقدام المكعبة من الغاز وفيه مكان لمائة مسافر مع امتعتهم ولمقدار كبير من الرسائل . وطول البلون الواحد ٧٢٠ قدماً وقطره ١٣٢ ومقدار ما يرفعه في الجوّ ١٥٦ منا ٣٤ طناً يتقاضى عليها اجرة كركاب وبريد . وقوة محركاته اربعة آلاف حصان وسرعته ٧٠ ميلا في الساعة ويستطيع ان يسير ٣٥٠٠ ميل بحمل كامل من غير أن ينزل الى الارض . وفيه غرفة طعام تتسع لخمسين راكباً وفيه خمسون غرفة نوم في كل منها سريران وغرفة متسعة للجلوس والمطالعة والرقص

عبور الاتلنتيكي

كان طيارو فرنسا الشجعان في طليعة الطيارين الذين حاولوا ان يعبروا الاقيانوس الاتلنتيكي على متن طياراتهم . ولا يزال القراء يذكرون ما اثاره فقد تجسر وكولي من الحزن والاسى لما نزلت بهم الطيارة في عرض الاوقيانوس الاتلنتيكي ولم يعرف مستقرها . وما زال الفرنسيون من سنة ١٩٢٧ يحاولون الفوز بهذه الامنية فلم يقدّر لهم الفوز الا في صيف هذه السنة اذ قام اثنان من طياريهم بجان اسولان ورنيه لفقر على متن طيارتهما العصفور الاصفر — من بلدة اولد اورتشرد بولاية ماين الاميركية في ١٤ يونيو الماضي متجهين الى اوربا فاضطرا الى الانحراف عن خط التدبرغ المستقيم لاشتداد المواصف في وجههما فاتجها الى اسبانيا واضطرا الى النزول فيها على شاطئ كومبّاس بقرب سانتندر . ومما جعل رحلتهما شاقة اكتشاف فتى اميركي مختبىء في الطيارة بعد ما صارا فوق البحر فزاد ثقل الطيارة عن المقرر وتعرضت للخطر غير مرة

وتلا ذلك فوز طائرين اميركيين — روجرز ليمز ولوس يانسي — باجتياز الاتلنتيكي على متن طيارتهما « باث فيندر » ولكنهما اضطرا كزميليهما الفرنسويين ان ينزلا على مقربة من المكان الذي نزلا فيه لنفاد البنزول مع ان غرضهما كان الوصول الى رومية من غير ان يقفا في الطريق . على انهما استأنفا الطيران الى رومية في اليوم التالي فوصلاها سالمين

وحاولت جماعات مختلفة من الطيارين البولونيين والفرنسيين الاسوجيين والاسبان اجتياز الاتلنتيكي من الشرق الى الغرب ففشلت كلها . وقد ظلت طيارة الاسبانيين — نومنشا — ستة ايام طافية على وجه الماء على مقربة من جزائر الازورس الى ان عثر عليها الطراد الانكليزي ايفل وجميع رجالها احياء

دوقة بدفورد

في الاسبوع الاول من شهر اغسطس الماضي فازت الدوقة بدفورد الانكليزية بالطيران من انكلترا الى الهند ذهاباً وأياباً في ثمانية أيام . وكان لفوزها هذه رنة في محافل الطيران العالمية . والى القارىء بيان الرحلة ومراحلها: الجمعة ٢ اغسطس من لمبني بانكلترا الى صوفيا عاصمة بلغاريا ١٣٥٠ ميلاً . السبت ٣ اغسطس من صوفيا الى حلب ٨٥٠ ميلاً . الاحد ٤ اغسطس من حلب الى بوشير على خليج فارس ١٠٩٠ ميلا . الاثنين في ٥ اغسطس من بوشير الى كراتشي بالهند ١٠٦٠ ميلا

ثم عادت بالطريق نفسها في اربعة ايام فوصلت كرويدون في ٩ اغسطس . وكانت تبدأ رحلتها كلَّ يوم عند بزوغ الفجر . واطول مدة تحلقت في الجو كانت ١٥ ساعة وقد ارسل اليها ملك انكلترا برقية تهنئة

١٧ يوم في الجو

فازفي اوائل الصيف طياران اميركيان بالبقاء في الجو ٢٤٦ ساعة وكانا في اثناء ذلك يملآن احواض طيارتهما بانابيب تمدُّ اليها من طيارة اخرى تحلق فوقها . وتقدر المسافة التي قطعاها في اثناء ذلك بنحو ١٧ الف ميل اي نحو ثلاثة ارباع محيط الكرة الارضية . ولكن في ١٣ يوليو امتطى طياران اميركيان آخران طيارة من صنع كرتس وروبرتسن وحلقا بها فوق مدينة سانت لويس فظلاَّ محلقين ١٧ يوماً ملآ احواض طيارتهما ٤٧ مرة في اثنائها ولما نزلا الى الارض كان المحرك لا يزال دائراً وانما نزلا تلبية لطلب المستر روبرتسن مدير المعامل التي صنعت طيارتهما وشملها برعايته

الأستاذ بافلوف

لم تقض الشيوعية في روسيا على البحث العلمي كما يُظَن . بل هي في كثير من نواحيه تقود العالم اليوم . فالاستاذ ايفان بافلوف الفيزيولوجي الروسي المشهور يحسب زعيم علماء الفيزيولوجيا في جميع الأمم . منح سنة ١٩٠٤ جائزة نوبل الطبية لبحثه في فسيولوجية الهضم . وعني حديثاً بدرس أثر المراكز العصبية العليا — المخ والمخيخ — في سيل اللعاب وابتدع لذلك طريقة بارعة رفعته الى المقام الأول بين علماء الأرض . لذلك احتفلت امم الأرض ببلوغه سن الثمانين ودعي الى الولايات المتحدة لالقاء خطب فيها وترجمت مجموعة خطبه الحديثة الى اللغة الانكليزية ونشرت في الشهر الماضي

ولد في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٤٩ وتلقى العلوم العالية في جامعة بطرسبرج (لننغراد الآن) ثم اشتغل بالمباحث الطبية وأبدى براعة خاصة في المباحث التجريبية . فأرسل الى المانيا وبقي سنتين يدرس في معامل لدوغ وهيدنهان ثم عاد الى روسيا فشغل

مناصب تعليمية عالية فيها والتف حوله جماعة من الطلاب يصح ان نسميهم مدرسة باڤلوف الآن لجريهم على اساليبه العلمية في البحث. فادارت مباحثه الاولى (ابتداء من سنة ١٨٧٨) على فسيولوجية الدورة الدموية. ولما دعي سنة ١٩٠٦ الى لندن لالقاء خطبة هكسلي التذكارية رحّب به الانكليز اعظم ترحيب. وسنة ١٩٠٧ انتخبوه عضواً اجنبيًّا في جمعيتهم الملكية وسنة ١٩١٥ منحوه وسام كوپلي لمباحثه في فسيولوجية الهضم

تجربة التلفزة

يعرف قرّاء المقتطف ما هي التلفزة. هي الرؤية عن بُعد فكأن بصر الانسان قد زاد بها قوة ونفوذاً فيرى ما هو حادث في اماكن تبعدعنهُ ولا يصل اليها بصره — يرى الحوادث في ابان حدوثها منقولةً اليه على اجنحة الاثير. ومن اشهر المستنبطين في هذا الفرع من الفنون اللاسلكية المستر بايرد الانكليزي. وقد سبق لنا وصف اسلوبه وما بني عليه. وسنعود الى ذلك في فرصة اخرى

انما يهمنا الآن ان نبلغ القراء ان المستر بايرد جرّب تلفازه بتجربة علنية عامة في ٣٠ سبتمبر الماضي. فاقام في محطة الاذاعة التلفاز المرسل واقام في فندق ساڤوي بلندن ومركز البريد العام والمعرض اللاسلكي باوليا وفي منزله الخاص تلافيز لاقطة ودعى الى هذه الاماكن المختلفة طائفة من رجال العلم والصحافة والصناعة فشوهد اولاً السر امبروز فلمنغ ثم شوهد الاستاذ اندريد ثم الماجور تشرش محرر مجلة الرياسة. فكان الحضور يرون حركات هؤلاء الرجال وسكناتهم واضحة كل الوضوح. وقد القى السر امبروز فلمنغ خطبة موجزة بيّن فيها ارتقاء اللاسلكي والفوائد الجمة التي تجنى من التلفزة في المستقبل. وشركة بايرد تذيع كل يوم من تلفازها المرسل ما يستطيع صاحب كلّ تلفاز لا قطر ان يتمتع برؤيته. ومما يدعو الى الاعجاب ان شركة بايرد لم تصنع حتى الآن الا نحو ثلاثين تلافيز لاقطة. ولكن ان تقرأ من الهواة بنوا تلافيز لاقطة جرياً على التعليمات التي تنشرها مجلة «التلفزة» واستعملوها يوم التجربة العامة فنجحت

ولا نغفل في هذا المقام ذكر البابا الذي اطلعنا عليه في مجلة العلم العام الاميركية ان طريقه استنبطت لجعل التلفزة بالالوان الطبيعية

عيد الفلكي هول

في ١٥ اكتوبر الماضي احتفل علماء الفلك بانقضاء مائة سنة على ولادة الفلكي الاميركي اصاف هول مكتشف قمري المريخ فوبو وديموس. ولد في ١٥ اكتوبر سنة ١٨٢٩ في بلدة غوش بولاية كونكتيكت ويُتم وهو في الثالثة عشرة من عمره فترك مدرسة القرية الابتدائية ليشتغل بالتجارة على انهُ كان ذكيًّا مجتهداً فلم يترك ساعة من ساعات فراغه الا دأب على العلم فحذق

الرياضيات ودخل جامعة مشيغن لتلقي العلوم العالية فيها . وسنة ١٧٥٧ عُيِّن مساعداً في مرصد جامعة هارفرد وكان راتبهُ الاسبوعي ثلاثة ريالات اي نحو ٢٤٠ غرشاً في الشهر. وسنة ١٨٦٢ انتظم في سلك المرصد البحري بوشنطن وفي السنة التي تلتها عيّن استاذاً للرياضيات في البحرية الاميركية. وسنة ١٨٧٥ عهد اليه في ادارة تلسكوب كاسر قطره ٢٦ بوصة فكشف به في ١١ اغسطس ١٨٧٧ عن قمري المريخ وكان كپلر قد تنبأ بوجودهما . فنحتهُ الجمعية الفلكية الملكية وسامها الذهبي . وبعد ما استقال من منصبه في البحرية الاميركية عين استاذاً للفلك في جامعة هارفرد وذلك سنة ١٨٩٦ فظل يشغلهُ الى ١٩٠١ وتوفي سنة ١٩٠٧

اللاسلكي في الفنادق الاميركية

تقوم الآن الدعائم الفولاذية الضخمة التي تتكوَّن منها اصلاب صروح اميركا الفولاذية التي تسمى « ناطحات السحاب » مقام جهاز لاسلكي متقن لنقل الانغام الموسيقية والاغاني بالامواج الكهربائية اللاسلكية الى غرف الفنادق لاطراب النازلين فيها . ومخترعا هذه الطريقة هما الدكتور ساتيرلي الخبير في اشعة رنتجن بأميركا والمهندس لويس كالوزمي النمساوي

تُكَيِّف الاجهزة اللاسلكية المركزية الرئيسية المعدة لتلقي الاغاني والانغام في الفندق حتى تطابق تموج الامواج الاثيرية التي تذيعها محطات الاذاعة في منطقة نيويورك ويقوم أحد الاعمدة العادية المقامة عليها الاسلاك اللاقطة للامواج اللاسلكية بالتقاط الانغام فتلتقطها أجهزة الاستقبال كالمعتاد . وهناك سلسلة من الرقاصات اللاسلكية متصلة بالاجهزة المستقبلة وبالدعائم الفولاذية للصروح أيضاً تطلق أمواجاً كهربائية جديدة تخترق الدعائم الفولاذية وتصل الى جميع أنحاء الصرح

وما على الضيف الذي يرغب في التمتع بالملاهي اللاسلكية الا أن يضع ذكر « كوبس » جهاز الاستقبال المودع في حجرته في بؤرة النور الكهربائي فيصل التيار الكهربائي بالجهاز فيدور ثم يوجه (النزيل) اسلاك الجهاز الى المحطة اللاسلكية التي يتوق الى سماع أنغامها . ولما كان موقع الفندق النيويوركي الذي تم فيه هذا الاختراع غير شائق بطبيعته فقد كان اقبال النزلاء عليه من قبل ضئيلاً بحيث لم يكن يشغل من غرفه بالضيوف اكثر من ١٠ في المائة من عددها . ولكن بعد توزيع الاغاني اللاسلكية على حجره غصَّ بالنازلين فيه من كل حدب وصوب . وقد اتضح أن نفقات توصيل الانغام الى الغرف بالوسيلة المتقدمة تقلُّ ٩٠ في المائة عما اذا تم التوصيل بالاسلاك ولذلك يقول الدكتور ساتيرلي إن جهازه هذا سيركب في نحو ١٠٠ صرح في جميع أنحاء الولايات المتحدة

مؤتمر الدواجن الدولي

يعقد في يوليو ١٩٣٠ مؤتمر دولي للدواجن في القصر البلوري بلندن وقد اجابت ٣٤ امة من الامم التي وجهت اليها الدعوة بقبولها الاشتراك فيه

ضوء الشمس في خميرة البيرة

اصبحت خميرة البيرة من المواد الغذائية التي تعالج بضوء الشمس الصناعي الذي يتولد من المصابيح الكهربائية القوية وغدا القرص الواحد من الخميرة السابقة الذكر يحتوي على فوائد صحية تعادل ما يكتسبه المرء من التعرض لأشعة الشمس مدة تتراوح بين ساعتين وثلاث ساعات . لأن المادة المفيدة التي تحتويها الخميرة بعد معالجتها بالمصباح الكهربائي المولد للأشعة التي فوق البنفسجي وهي الفيتامين الدالي (نسبة الى حرف الدال في الابجدية) تشبه الفيتامين الذي يكتسب من زيت كبد الحوت (البكلاه) . ومع ان الرأي العلمي القاضي بالحصول على ضياء الشمس بطريقة غير مباشرة حديث العهد ، فقد بادرت طائفة من الشركات التي تصنع المواد الغذائية الى تركيب المصابيح الكهربائية ذات النور المماثل لنور الشمس لمعالجة ما تصنعه من المواد الغذائية . وأساس هذا الرأي ان العنصر المكون للعظم (أي الفيتامين الدالي) إذا حرمه امرؤ في غذائه العادي أتيح له تعويضه إياه إمَّا بالتشمس في الشمس وإمَّا بالتعرض لنور المصابيح الكهربائية التي ينبعث منها ضياء يكاد يضارع ضياء الشمس الطبيعي وأما بأكل المأكولات المعالجة بضوء الشمس الصناعي

ذلك ان أشعة النور التي فوق البنفسجي الموجودة في نور الشمس وفي نور بعض المصابيح الكهربائية هي العامل الاصلي في الطرق الثلاث

وقد تستهدف المواد التي تحت الجلد والتي في الاطعمة أيضاً لتغير كيماوي واضح بتأثير الاشعة فيتحول الارجوستيرول في الاطعمة الى فيتامين دالي وحينئذ تتجلى قوتها المنعشة

اما اثبات كون التغذي بالاغذية المشمسة يؤثر في الجسم كتأثير التشمس الطبيعي او الصناعي فيرجع تاريخهُ الى عام ١٩٢٤ حينما غذى الدكتور هاري ستيبوك الاستاذ بمدرسة ويسكونسن الجامعة طائفة من فئران كان قد حبسها في مكان مظلم محجوب مشمسة فشفاها من الكساح

واما اضافة خميرة البيرة الى قائمة الاغذية المشمسة تشبثاً صناعياً فليس الا خطوة جديدة الى الامام في سبيل « ادخار ضياء الشمس في القوارير » وبذلك يتاح للمرء الذي لا يستطيع الاقامة على ساحل البحر أو على الجبال الحصول بلا شك على فوائد الشمس الصحية وهو في بيته عن يد خبراء العلم الذين تمكنوا من ادخار ذلك الضياء في الغذاء الذي يتناوله

التليفون اللاسلكي في الطيارات

اخترع السيو مارسيل منجيه المهندس الفرنسي جهازاً لاسلكياً جديداً يولد أمواجاً كهربائية قصيرة المدى يستطيع بها الطيار المحادثة اما تليفونياً واما تلغرافياً مع اصدقائه الذين على الأرض . ومتى وصلت الرسالة الى سطح الأرض والتقطتها الأجهزة المعدة للاستقبال أعادت تصديرها بقوة كهربائية جديدة تبعث منها الى الجهات المرسلة اليها الرسالة وذلك على اسلاك التليفون . ويزعم المخترع انه يتيسر له بجهازه هذا المحادثة التليفونية الى بعد يتراوح بين ١٢٠٠ ميل و١٥٠٠ ميل وارسال الاشارات التلغرافية الى بعد ٦٠٠٠ ميل

مرضع ميكانيكي

عرض حديثاً في شيكاغو حامل ميكانيكي لرضاعة الطفل يوفر على الأم مشقة القبض على (الرضاعة) ريثما ينتهي الطفل من رضاعه ويتكوّن هذا الجهاز من ذراع مرنة مثبتة بقاعدة ثقيلة (مثل قاعدة المصباح الكهربائي الذي يوضع على المكاتب وذراعه) وفي طرف الذراع مشابك تقبض على القارورة فيمكن توجيهها الى أي اتجاه . حتى اذا ما فرغ الطفل من رضاعه رفعت القارورة وحينئذ يمكن ثني الذراع المرنة الى اسفل فيتيسر ايداعهُ في حيز صغير حتى يحتاج اليه مرة أخرى

نجاح مؤلف

وضع كاتب الماني يدعى ارخ ماري رمرك رواية موضوعها « مكيدة مخيمة على الميدان الغربي » وصف بها اهوال الحرب كما رآها وعاناها جندي بسيط فنالت رواجاً عظيماً في المانيا وفرنسا وانكلترا والولايات المتحدة . فقد اطلعنا في مجلة الترري ديجست الأميركية ان مجموع النسخ التي بيعت من هذا الكتاب بلغ ١٥٧١٠٠٠ منها ٨٠٠ الف في المانيا و ٢٤٠ الفاً في اميركا و٢١٩ الفاً في فرنسا و ١٩٥ الفاً في انكلترا . وقد قدرنا المؤلف ربح من كتابه هذا بما لا يقل عن مائة الف جنيه ! فتأمل

عالم هندي

نقلت الينا مجلة ناتشر خلاصة خطبة علمية للعالم الهندي الاستاذ موكرجي في موضوع كيماوي غويص هو موضوع الصفات الكيماوية والطبيعية للذرات الكوليدية وهو فرع جديد من فروع الكيمياء . واشارت الى ان خطبة الاستاذ المذكور ومباحثهُ تدلُّ على الخطوات الواسعة التي خطاها البحث العلمي في الهند « وانهُ لو اتيح لنخبة علماء اوربا واميركا سماع خطبته هذه لاصغوا لها بغاية ولذة » وهذا قليل نفاخر به ونتمنى ان يكثر امثال الاستاذ موكرجي في بلدان الشرق

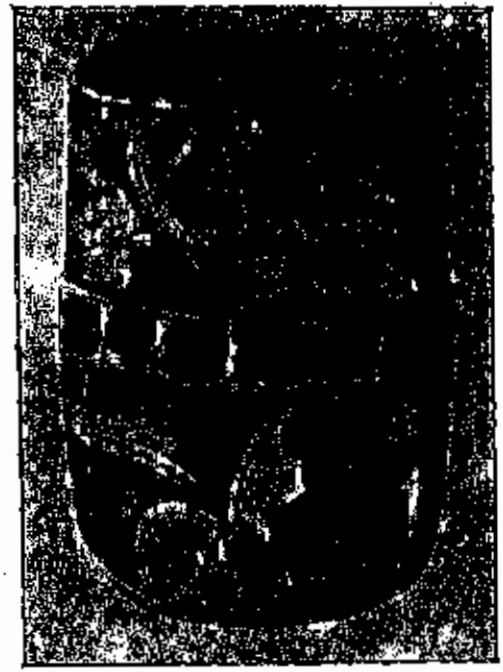

اناء رخامي منقوش

اناء خزفي بديع

درتان من درر فن « المايا » وجدتا في اميركا الوسطى

مقتطف ديسمبر ١٩٢٩

انظر صفحة ٤٩٢